مهرجان القرآن الكريم الثاني

الجمهورية العراقية
وزارة الإعلام
مديرية الثقافة العامة

السعر (٢٥٠) فلسا

١٣٩٣-١٩٧٣

دار الحرية للطباعة - - بغداد

مهرجان المربد الشعري الثاني

الجمهورية العراقية
وزارة الأعلام
مديرية الثقافة العامة

مهرجان المربد الشعري

الثاني

١٩٧٢

اعده واشرف على طبعه

محمد الجزائري

محفوظ داود سلمان

عبد الرحمن مجيد الربيعي

مقدمة

● تحت شعار « الشعر والثورة » انعقد في البصرة من الاول حتى الخامس من نيسان مهرجان المربد الشعري الثاني ، بمبادرة من وزارة الاعلام وانطلاقا من ايمان الثورة بريادة الشاعر في امته وبأن له دوراخطيرا يؤديه ورسالة نبيلة يحملها ..

لان الثورة تؤمن ، بأن الشاعر العربي لا يستطيع ان يلعب دوره باصالة وتميز ، مالم يستوعب الحي والتقدمي من تراث امته ، وينطلق منه لاكتشاف الحاضر بخصائصه وابعاده ، واستشراق المستقبل بكل ما ينطوي عليه هذا الاستشراف من دلالات الريادة والثورة .

● لقد حضر هذا المهرجان اكثر من مائتين وخمسين شاعرا وباحثا واديبا ، من عراقيين وعرب ومستشرقين القى فيه اربعون شاعرا قصائدهم على ثلاث امسيات جرى نقدها من قبل ثمانية نقاد ، في جلسات صباحية، اسهم فيها تسعة باحثين بدراسات تتعلق بالشعر والثورة . خصص اليوم الاول منها للفراهيدي الخليل بن احمد حيث القى الدكتور مهدي المخزومي محاضرة بعنوان « عبقري من البصرة » ، كما القى الدكتور علي الزبيدي محاضرة عن « الخليل الموسيقار » والقى الدكتور طارق الكاتب محاضرة عن العروض والارقام في موازين الشعر لدى الخليل

● كما ازيح الستار عن تمثال للفراهيدي قام بنحته الفنان نداء كاظم وقامت مديرية التخطيط والمشاريع بوزارة الاعلام بتهيئة وتصميم موقع التمثال وقاعدته .

● وافتتح السيد وزير الاعلام الاستاذ شفيق الكمالي معرضا لفناني البصرة التشكيليين اسهاما منهم في المشاركة بهذه التظاهرة الثقافية .. كما اقام الفنان الفلسطيني مصطفى الحلاج معرضا تشكيليا في قاعة المهرجان .

● واننا اذ نشير الى ذلك ، فبودنا ان نوضح بأن الكتاب هذا ، لايضم سوى القصائد التي القيت والنقد الذي رافقها والابحاث التي تعلقت بموضوعات الشعر والثورة ·· على ان الكتاب لم يضم ثلاث قصائد للشعراء معين بسيسو ود· خليل حاوي وهناوي الشياظمي لعدم حصولنا على نصوصها للاسف ··

● وكما جرت العادة في العام الماضي ، نأمل ان يكون هذا الكتاب وثيقة اخرى تضاف الى وثيقة مهرجان المربد الشعري الاول ·

جلسة الافتتاح

١ نيسان ١٩٧٢ البصرة

كلمة السيد رئيس الجمهورية

نص كلمة السيد رئيس الجمهورية المناضل المهيب احمد حسن البكر القاها نيابة الاستاذ شفيق الكمالي وزير الاعلام ٠

ايها الاخوة

احييكم ٠٠ وارحب بكم في المربد مرة ثانية وآمل ان يبقى موسما للشعر والفكر كما كان شأنه ٠٠ اليه يفد ذوو الرأي ٠ وفيه تروج الكلمة النيرة المعطاء ، وان يكون مصدرا من مصادر الحضارة والتمدن ، بما يثار فيه من آراء ، وما تطرح من قضايا يتردد صداها في حواضر الوطن العربي ٠

ولا أعدو الحقيقة التاريخية اذا قلت ان المربد كان رافدا ثراً أغنى الفكر العربي بما أمده به من أسباب التفتح والانطلاق ٠

أن المربد على ما أرى لم يكن يعني قصائد جرير والفرزدق والراعي النميري وسواهم من فحول الشعراء بقدر ما حفزت تلك القصائد اذهان الباحثين الذين أرسوا اللبنات الاولى في صرح الحضارة العربية الشامخ ٠

ايها الاخوة

اننا بقدر حرصنا على صيانة التراث العربي واحيائه والمحافظة عليه فاننا في ذات الوقت نعلم علم اليقين ان الجمود والركود والوقوف عند أثر الغابرين مظهر من مظاهر الموت ، ومن هنا فاننا أحرص على الانطلاق الى آفاقنا الجديدة ضمن ملامحنا الذاتية،وسيان عندي شاعر ينسج على منوال الماضين مترسما خطاهم وشاعر استهوته البضاعة المحدثة ولا أقول الحديثة ـ فكلاهما غريبان الاول غريبعن زمنه والثاني دخيل على بيئته.. ولا اعتبر الصراع بينهما صراعا بين القديم والجديد وانما صراع بين الموت والنزوة .

اننا نريد ادبا يلتزم قضايا الشعب المصيرية في هذه المرحلة الخطيرة، والامة العربية تعيش في يوم له ما بعده .. وهي تحارب ضد عدو شرس ذيادا عن حياتها بالذات . فالمخططات والمشاريع الاستعمارية لا يمكن ان تمرر الا بعد ان تفقد الامة العربية خصائصها الاصيلة ومن هنا أخذنا نجد ان التخطيط لمحو ملامحنا القومية صار ضمن الستراتيجية الغربية في غزو ثقافي رهيب .

ان صمودنا الاول يجب أن يتم ضد الغزو الثقافي لان التراجع امامه يعني انهيار كل الجبهات التى نقاتل فيها .

ان الامة عندئذ تفقد روحها وتفقد تبعا لذلك دواعي النضال مهما كانت كبيرة واساسية .

وفي الختام ، ايها الاخوة .. فاننا لا نريد الاحتفال بالمربد لمجرد احياء ذكرى وانما نريده أن يكون اكثر من ذلك حركة وفعالية وتعبيرا .

وأجد أن المشاركين فيه مدعوون الى طرح نتاج حي يكون له صداه في ارجاء وطننا العربي الكبير بما يلتزم من قضايا الشعب المصيرية وما يطرحه من افكار تعي الواقع وتعبر عنه .

شكرا لكم .. والسلام

كلمة السيد محافظ البصرة

الأستاذ سعدي عباس عريم

السيد ممثل السيد رئيس الجمهورية

الاخوة أدباء العروبة

ضيوفنا الاصدقاء

سلام الله عليكم ورحمته

بفخر واعتزاز نلتقي مرة اخرى على أديم هذه المدينة الخالدة احياءا لذكرى أعرق سوق ثقافية ما يزال التاريخ يحمل اشعاعها ، ويستعيد امجادها خالدة ، وتزهى ذكراها بثورة تموز العظيمة ٠

ايها السادة :

ان اقامة هذا المهرجان والاصرار على تغذيته من قبل وزارة الاعلام ورعايته من قبل السيد رئيس الجمهورية يعكس عمق ايمان الثورة والحزب بثراء تراثنا السخي والرغبة في تعصيره بقدر ما يشير الى صلابة جذر الحضارة العربية التى يشكل الجانب الثقافي ركنا أساسا فيها والذى بقي شامخا رغم كل الاعاصير المجتاحة والتجاوزات الغازية ٠

وانه لمن الاصالة الواعية المبدعة ان يتجاوز مهرجان المربد الانماط السلفية اشكالا ومضامين ليحتضن النماذج المعاصرة والعطاءات الشابة المحدثة وبذلك يحقق شرطا رئيسا من شروط نجاحه كأداة من أدوات البناء الجديد للنهضة العربية المعاصرة ٠

أيها السادة :

ان تموز في ثورته التقدمية اذ يكرم التراث ورجاله فانما يكرمكم انتم شعل هذه الامة وورثة أولئك العظماء الذين تركوا لنا كل شيء وما أخذوا أي شيء ٠

ولقد أكد ميثاق العمل الوطني الذى طرحته قيادة الحزب والثورة وأعلنه قائدنا المناضل المهيب أحمد حسن البكر أكد على التراث والافادة منه وتهيئة مستلزمات تطويره ودعم العاملين في حقوله كما أكد على ثورية ثقافتنا المعاصرة وتسخيرها لصالح قضية الجماهير ومستقبلها الاشتراكي والاجهاز على الفكر البرجوازي ومـــا يروج من قيـــم العبث والانهزام واللامسؤولية ٠

وهكذا تكون الثورة قد وضعت الفكر في موقعه وشخصت ابعـــاده الفنية والوظيفية من حيث كونه فكرا شعبيا ديمقراطيا متطورا يســـتمد جذوره من التراث الاصيل ويحمل روح العصر وطموحات الانسان المتقدم ويتزاوج مع الفكر العالمي في أروع مسيرة حضارية كفاحية مشتركة يشكل مهرجانكم هذا جانبا من جوانبها حين يستمع غدا الى أصوات من بـلدان صديقة تشارك في هذه التظاهرة الصاعدة ٠

أيها الاخوة :

ونحن نعيش مهرجان المربد هذا أرى أن من المناسب أن اشير الى أن قطرنا المناضل سيحتفل في السابع من نيسان بذكرى تأسيس حزبنا العظيم حزب البعث العربي الاشتراكي كما ان شعبنا يستعد ايضا للاحتفال بضخ النفط من آبار الرميلة والذي هو ثمرة من ثمار استثمارنا لثرواتنا النفطية والمعدنية استثمارا مباشرا ، وانه لمن الفخر حقا ان تكون البصرة محور هذه الاحتفالات وأرض أعراسها الزاهرة وهكذا يعود المربد من جديـد لا للشعر وحده بل للشعر والشعب والثورة ، وهنا لا يسعني الا ان أقول لكم : اطمئنوا فلن يموت المربد ولن يكون نيسان الا ربيعه الاخضر وشبابه المتجدد ٠

ومرة اخرى اهلا بممثل السيد الرئيس وأهلا بالسيد الوزير نفسه ومرحبا بكم في بصرتكم الثائرة المتجددة ، بصرة العروبة والكفاح ، بصرة التقدم والنضال آملين أن تكون اقامتكم ومشاهداتكم هنا خير انطباع على عمق اصالة ثورتنا في مسيرتها الظافرة بقيادة قائدنا المناضل المهيب أحمد حسن البكر والسلام عليكم ٠

كلمة جامعة البصرة

الدكتور ناصر حلاوي

السيد ممثل السيد رئيس الجمهورية المحترم

السيد المحافظ المحترم

حضرات السيدات والسادة

الحديث عن المربد ومهرجانه لا يخلو من الاشارة الى التاريخ والماضي . فقد بدأنا مهرجان المربد الاول انطلاقا من مربد الامس وتشبها به . على أن فكرة احياء المربد كانت تأخذ بنظر الاعتبار الحاجة الفكرية الملحة لابرازه . كما كانت الحاجة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية اساسا لنشوء مربد الامس . فقد كان الفرد العربي قديما يشعر بالحاجة للوصول الى سوق المربد وغيرها من الاسواق والحضور فيها . وكانت حاجة الشاعر العربي أشد وأقوى . فالمربد يمثل له المنبر الذي بوساطته يسمع صوته ويسمع صوت الاخرين . وقد استمرت هذه الضرورة قرونا بعد الاسلام كما تعلمون .

ان العناية بأحياء هذا المظهر العقلي والفكري والاجتماعي في عصرنا هذا ذو دلالة رمزية اكثر منها حقيقية · فالظروف التي أوجدت المربد القديم لم تعد قائمة الان · ولقد كان للموقع الجغرافي الذى كان فيه المربد وطبيعة التكوين الاجتماعي لسكان البصرة آنذاك أثر في أن يستقطب المربد انصار القصيدة التقليدية وممثليها من الاعراب واللغويين والرواة · ومع ذلك فقد أدى مربد الامس دوره في خلق ثقافة عربية ذات اصالة ، ونشاط فكري مهم كان الادب والشعر واللغة مظهرا من مظاهره ليس الا ·

ولسنا نريد لمربد اليوم أن يكون كمربد الامس في كل مظاهره ، بل لا نستطيع ان يكون هذا كذلك · وقصارى ما نأمله ان يكون مربد اليوم حاجة من حاجا ت العصر لا ترفا فكريا ·· ان يكون تظاهرة أدبية تستوجبها ضرورة لقاء شعراء الامة وادبائها ومفكريها من ناحية ، وضرورة تثبيت أسس القصيدة العربية الجديدة وقيمها في ضوء معطيات العصر وحاجاته من ناحية أخرى · وفي هذا يكمن اساس نجاحه فضلا عن استقراره ·

وما من شك في ان الشاعر العربي المعاصر مازال يتلمس طريقه نحو شكل معبر وقيم جديدة اصيلة نابعة من ماضي هذه الامة وحاضرها · وقد اشار ايليوت مرة الى ان الادب الخالد ليس الجديد كل الجدة ولا المنفصل عن التراث ، وانما ذلك الذي يستند الى التراث · ومن هذا المنطلق ينبغي أن يقيم مهرجان المربد السابق واللاحق باعتباره اداة وصل بين الماضي والحاضر ، وبمقدار ما يفلح في اقامة هذه الصلة الخـــلاقة المبدعة يكون نجاحه او فشله ·

ولا ننكر في أن الحديث التقى بالقديم في المهرجان السابق شعرا ونقدا وفكرا · ولكنه كان لقاء الخطوط المتوازية لا المتقابلة · كان الشعر العمودي والفكر العمودى ــ اذا صح التعبير ــ يشق طريقه شقا · وكان الشعر الجديد يقتحم الميدان بجرأة · على أن كلا من الشعر العمودي ــ على قلة ما أنشد منه ــ والشعرالحر اجهد نفسه في الظهور بمظهر الحداثة والعصرية والالتزام · ولعل بعضا مما أنشد من شعر عمودي برهن على أن ليس كل ما يكتب منه يحتضن الفكر التقليدي وبالمثل فانه ليس بالضرورة ان يكون الشعر الجديد ممثلا للفكر الجديد · فالعبرة ــ كما أرى ــ ليست في الاشكال وحدها ·

حضرات المدعوين :

اننا نؤمن بان استمرار اللقاء والحوار في المهرجان وخارجه كفيل بان يضع القصيدة العربية على أرض صلبة ، وان يحدد بوضوح اكثر اسسها ومهامها ·

وأحسب أن تحديد أسس القصيدة العربية ومهامها انما ينبثق من دراسة واقع عالمنا العربي والمرحلة التاريخية التى نعيشها ٠

هذة المرحلة التاريخية التي تتميز بميزات ثلاث : الثـــورة ٠ والصمود ٠٠ والبناء ٠

وما زلنا ـ شعراء كنا ام غير شعراء ـ بحاجة الى ان نعي العـــلاقة الجدلية بينها

فالثورة بلا صمود تقهقر
والبناء بلا أساس ثورى قصر من رمل
والصمود بالضرورة يعني الثورة من أجل البناء

على أننا عندما نثور ونصمد ونبني انما نفعل ذلك من اجل انساننا العربي وحضارتنا الجديدة ، التي هي جزء من حضارة الانسان التقدمي في العالم ٠

ايتها الفضليات ايها الافاضل
باسم جامعة البصرة ارحب بكم في البصرة
وباسم جامعة البصرة اشارككم الثقة فيما تعقدونه على مهرجانكم من آمال ٠
وشكرا ٠

كلمة اتحاد الادباء العراقيين

الأستاذ محمد مهدي الجواهري

السيد ممثل السيد رئيس الجمهورية
ايها الحفل الكريم
السيد المحافظ

باسم اتحاد الادباء في العراق أرحب بكم اجمل ترحيب ، وانحني اجلالا لذكرى اسلافنا العظام الخالدين التي تهيىء لنا نحن حضنة الحرف العربي الاصيل من شتى أرجاء الدنيا العربية ان نتلاقى الفينة بعد الفينة ، والفرصة بعد الاخرى على هذا الصعيد هنا ، وعلى ذاك هناك لنجدد العهد بأشواقنا ولنبعث من جديد ذكرياتنا ، ولنشيع الصفاء والحب والاشراق في نفوسنا ، ثم لنرتفع شيئا فشيئا الى مستوى قضايانا المصيرية المشتركة على هدى من ينصرنا اكثر فاكثر بواجباتنا الملقاة على عواتقنا تجاه اوطاننا ، وأمتنا ، وانسانيتنا ، ذلك اننا لن نبلغ هذا المستوى ابدا ما لم يرتفع بنا الصفاء،والحب والاشراق الى ذروة منها ـ ومنها وحدها قبل كل شيء ـ يكون بوسعنا الاطلال على من حولنا ..

تلك ايها الاخوة المحتفلون هي جوهر العبر التى يمكن بها بل ويستوجب ان نستخلصها من **هذه اللقاءات ونحن نجتمع** فيها من كل حدب وصوب على ذكرى هذا العظيم وذاك ، وذياك من شيوخنا العظام الاعلام ، والا فلماذا بوسعنا ان نلتقى ونسمر ونتفرق من دون كل هذه الجهود السخية الكريمة ، ومن دون كل هذه التجشمات ، ومن دون كل هذه المناهج ، والبرامج ، بل وبوسعنا في كل يوم شئنا ان نتبارى في القاء البحوث ، والخطب والكلمات والقصائد ؟

ايها الاخوة المحتفلون

ان الحضارةالعالمية التى وسعها الحرف العربي ، والفكر العربى ، والمجتمعات العربية من عهد الخليل بن أحمد ومن قبله حتى عهد المتنبي ، والمعرى ، واخوان الصفاء ، وابي العلاء ، والتى فرضت نفسها على كل بقاع الدنيا كان قوامها قبل كل شيء اخر الاخلاص حتى حدود الايمان للفكر ، وللفن ، وللعلم ، والصبر على الضير في سبيلها حتى حدود الحرمان والانقطاع ، والداب في سبيل التزود منها حتى حدود الموت ، وكان ثمار ذلك كله الابداع ، وكانقطاف تلك الثمار الخلود ، لقد كان سحر الكلمة ، وسحر الفكرة ، وسحر المعرفة ، وسحر الرأي ، وسحر الحكمة ، وسحر اكتشاف المجهول الى جانب رؤية الغاية ، والهدف روعه اكتشاف المجهول ، وشجب المألوف ، وتحدى الفاسد ، والمزور ، والمغلوط ينسى شيوخنا البررة الخالدين كل ما في الدنيا من مغريات ، وكل ما فيها من متع ، وكل ما فيها من مال ، ومن جاه ، ومن مناصب ، ومن اجل هذا سيبقى الخليل ما بقيت الدنيا ، ويبقى معه المجد وانا التقط نماذج لموضوعات ولآليء من عقود ـ الفذ الجاحظ ، والمجدد ابو نؤاس والنار بشار ، والمتحدى ابو العلاء ، والجبار المتنبى .

تلك ايها الاخوة لمحات من أسس الحضارة العالية التى وسعتها المجتمعات العربية في ابهى زينتها ، وفي الذروة من تفتحها ، وتلك هى سنة كل حضارة ، وتلك هي سنة حضارة العرب حتى يومنا هذا .

ايها الاخوة اقسم لكم ـ ان كنت بحاجة الى قسم ـ ان كل هذه الخواطر واللمحات والاحاسيس واضعاف مضاعفة منها عنت لى اولا ، ثم ملكت على نفسي ، ثم جاشت نفسي بها منذ ان وضعت واياكم امس في المربد ، واليوم في مهرجان الفراهيدى وجها له مع اطياف الاعلام العباقرة الخالدين ، مع شخوصهم ، مع حركاتهم وسكناتهم ، مع حلقات دروسهم ، مع مساجدهم ، وبيوتهم واختصاصهم ، ورأيت لزاما علي وقد شحنت بهذه الطاقة ان أجد متنفسا لها وان بحروف معدودات ، والحقيقة هى ان هذه الطاقة رأت لزاما لنفسها ان تتنفس .

وانا لا أدعي لنفسي مجد الانفراد بها ، ان شركائى في ذلك من بينكم لابد ان يكونوا كثيرين ، فلاكن الناطق بلسانهم اذ اضيف الى ضرورة تأملنا لهذه العبر التى تتيحها لنا هذه اللقاءات . والى ضرورة الاخذ بها ضرورة تجنبنا ـ بحجة الدفاع عن شيء جديد لم يفرض نفسه بعد التهجم المفتعل على تراثنا الاصيل فيالبقية الباقية من حملة هذا التراث ، اولا

فان ذلك ليبدو أمرا مضحكا ، اذ يحق معه التساؤل بحق وبمنطق ، ولماذا تحتفون بلغة الخليل ،وبحرف الجاحظ وبفكر المعرى ، وبثورة المتنبى ، ونغم ابى نواس اذا كنتم حريصين على شتم من ينحى بها ، ومن يحميها ، وحتى الى شتم من يصورها ، ومن يتمشى بها بيسر وسهولة مع كل حاجات العصر ، وأحاسيس الناس ، وضرورات المجتمع ٠

وانتم ايها الشباب الموعودون الاعزة ، ان الزبيب ليفخر ان اوله كان حصرما ، وان الحصرم ليفخر انه سيصير زبيبا لا شك في ذلك ، ولكن الشك والشبهة ان يحل الواحد منهما محل الاخر ، انه الكفر بعينه ، لقد قلناها الف مرة ومرةوسنقولها بهذا المقدار ان لغة الخليل النقية ، واحرف الجاحظ الذهب ، وفكر المعرى الخلاق ، ونغم ابى نواس الساحر ، وغضب المتنبى المتفجر سوف يأتى عليها كلها ومن يساوق بينها بابعد مما فرضت عليها من حدود ، وبأفسح مما وجدت عليه من صعيد ، وباكثر تنوعا وتجاوبا مما كتب لها ان توقع من أنغام ، ولكنا قلنا مع ذلك وسنظل نقول للمرة الواحدة بعد الالف ان ذلك لن يتم بالسهولة التي يريدها الطامحون والطامعون المستعجلون ٠٠ ذلك ان ديمومة الدأب ، وعمق الاكتشاف ، وبعد الرؤية الى جانب الموهبة الخلاقة ، ثم الصبر المرير على ذلك ، وعلى تطور المجتمعات العربية كلها أيضا من بعض اشراط الساعة الموعودة ، وان ذلك كله من البداهة بحيث يعجب المرء ان يكون هناك من يجرأ على تجاهلها ، اما من هو جاهل بها فشيء اخر ٠٠ شيء هو ادهى وامر ٠

اقول هذا وانا معجب ومحب ومتفائل بخطوات الرواد الاوائل على هذا الدرب الجديد الطويل الشاق ٠

وشكرا للسيد الرئيس الذى رعى احتفالنا هذا وشكرا للسيد الوزير الشاعر المنغم على وتر الخليل الذى أخذ على عاتقه احياء الذكريات الحلوة لشيوخنا وعباقرتنا ومفكرينا الاصائل الاوائل ٠٠

وسلام عليكم ايها المجتمعون ٠

الامسية الشعرية الاولى

١٩٧٢/٤/٢

مقاطع للألم

سليمان العيسى

في مهرجان الشعر العاشر بدمشق
قدمت مجموعة من الاطفال قالوا عني ما اردت ان اقول ..
وكم تمنيت لو أظفر هنا بمجموعة من اطفال البصرة
يقولون عني ما اريد أن اقول ..
انني اكتب للاطفال ..
احاول ان أتنفس برئة جديدة ..
لقد تعبت ..
تعبت من التنفس برئة معطلة ..
اسمي مدرج في أمسية الشعر الاولى ..
واطفال البصرة ليسوا معي لينقذوني ..
فلتكن هذه المقاطع للالم ..

* * *

احتراق

سليمان العيسى

ماذا أقـــدم للدرب التي صبغت ... بالموت ينفُضُ جيلا عن أظافره ؟
ماذا أقولُ ؟ أيُعفي همستي وتر ... أذبتُ عمري صـــلاة في مجامره ؟
ماذا اقـــدم للحرف الذي وئدت ... براءتي ، قبل شعري ، في مقابره ؟
من المرارة أســـقي كل هاجسـة ... والعُمقُ الموت روحـاً في خناجره
من المرارة ــ لا تسأل ــ سند منها ... لكي نحدث جيـــلا عن مصـــائره

***

يا غامسا في سواقي النـور ريشته ... يحمـــل القبر نبضا من مشاعره
وباحثا عن قلاع المجـــد في وطن ... يحـــدد الغزو دنيـــاه بحافره
آمنت ملء عروقي فيه ، ملء دمي ... ملء اختـــلاجه حلمي في محاجره
ومزقت خطـــوة المحتـل اقنعة ... اهالها الطفـــل دهرا فوق ناظره
اغمسْ بوهج الضحى عينيك لا جزَع ... تواجه الـــداء مثلي من مصادره
اسق البراعم من أطفـــالنا أمـــلا ... دفنتـــه وهو في انـــدى بواكره
اكتب لهم ، قـــل لهم : إنا بعافية ... يلفنـا المجـــد في ضافي مـــآزره
والماحقات التي تـــذرو جماجمنا ... طلائـــع النصر ، في حالي ازاهره
اكتب لهم ، لا تزحزح عن حقيقتنا ... شيئا من السـر ، سترا من ستائره
امجد الأمـــل الاعمى ، أقدســـه ... استنشق الصبح من ريـا غدائره
طفولةُ الجرح أغـلى ما نعمت به ... كـــم احترقت بقربي من سرائره

طفولة

سليمان العيسى

ورفت نسمة خضراء .. فوق جراح قرميدة
وكان البيت خلف مطارح الزيتون أنشودة
وقريتنا بفرع سحابة عجفاء مشدودة
وكنت حفيفَ سنبلةٍ من الحرمان مقدودة
ودالية .. وراء الصمت .. في عينيَّ ممدودة
اعبْ قصيدتي منها واسقي الجوع أغرودة
ولاحت كوّة بيضاء
ورملُ سماء ..
والقيتُ الخطى في التيه .. يصبغ دربيَ الحدْمُ
شريد ؟ كيف ؟ هذا الرمل بالأضواء يزدحم
وحصتنا من الدنيا العريضة فوق ما اتهموا
وثروتنا كنوز الله .. خلف الليل تقتسم
ونحن العالم المسحوق .. لا رفض ولا ألم
وكان الشعر إعصاري وكان الثورة النغمْ
وقلت الجمر ، قلت الريح ، قلت ...
ولبت الرممُ ..
وكان نداؤنا فجراً وكادت تشرب القممْ
ونصلب فوق شهقتنا .. بشهقتنا .. ونُقتَسمْ
وما كانت كنوز الله خلف الرمل أسطورة
ولا كنا رؤى في مذبح الاوهام منحورة
ولو قطعوا جذور النور .. في نظراتنا العطشى
ولو نحتوا لكل تنهد لم يرضهم نعشا

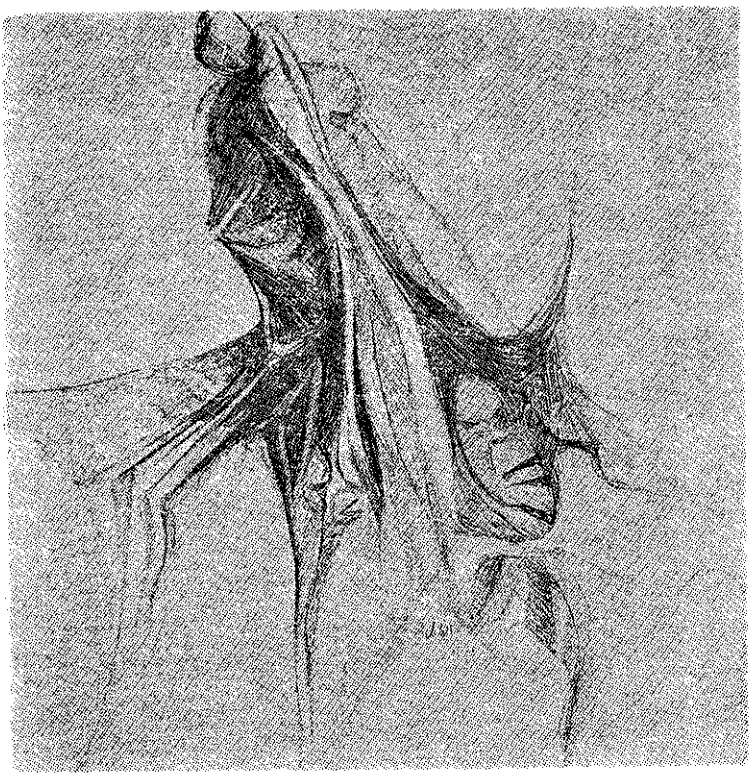

انا ابن المارد المسحوق
وصوت زئيره المخنوق
على ظهري صخور غدي
وحلم النار في جسدي
ابا ابن النسمة الخضـــراء فـــوق جراح قرميدة
ورجع حفيف ســـنبلة من الحرمـــان مقـــدود،
وشـاعر صـــخرة بالـــدهر ، بالتاريخ ، مشـــدودة
أعب قصيدتي منهـــا واســـقي الثـــأر أغرودة
وددتُ لو اكتشفت عصاك يا من تســـرق النورا
وتغتال العيـــــون ، وتشتري البرق الذي يُورى
وددت٠٠ وددت٠٠ لكن لست ـ وأسفا ـ سوى شاعر
تغني النار في كلمـــاته ٠٠ ويقهقـــه الســـاحر

قصيدة العمر

سليمان العيسى

قصيدة طويلة ٠٠ كانت اغنيتي للوحدة ٠٠
للاتحاد ٠٠٠ ماذا تهم التسمية ؟
قصيدة طويلة ٠٠٠ أكلت عمري ٠
استغرقت كل ما قلت ٠٠ وما سأقول ٠

بقايا من اليرموك ٠٠ سيف محطمُ
بكفي ، ومهر يزرع النار في دمي
أضاميمُ من ريش النسور تركتها
« بحطين » ٠٠ يا ريش الاله تكلم !
دمٌ من صلاح الدين يجلد غربتي
ومن عمرَ المختار ٠٠ يا فجر حوِّمِ
عطشنا ٠٠ فنَدَّ القبر منك بقطرة
وصلٌ على ومض اتحادٍ وسلِّمِ !
عطشنا ، قتلنا في الدجى الف مرة
ذبحنا على أسوار حلم محرم
لنا الموت ، والنابالم اما تململت
قبوري ،وغنى موكب النور في فمي
لنا الموت ، أقسى ما جرعت خناجر
تحورن من جلدي ، وقطعن معصمي

***

شبعنا احتلالا يا ترابي وذلة
شبعنا فخذ ليلي وكوبي وعلقمي
ولو سل سيفي ما بكيت هزيمتي ٠٠
حسام صلاح الدين بيع بدرهم

***

خلاصي ، سألت الياس عنه فردني
الى أمل يقتات شوك جهنم
خلاص ملايين العطاشى ، يبيدني
ويلهو بسحقي منسم بعد منسم
أطلي على ليل اختناقي ، تيبست
لهاتي ، وملتني اناشيد مأتمي
أطلي علينا وحدة ، طيف وحدة
بريقا ، سرابا ، كيفما شئت فاقدمي
وهبتك عمري ·· ما وهبت سوى الظما
اليك انا الحادي القتيل ، انا الظمي
أطلي على جوعي المدمر ، وانزلي
على خيمتي السوداء قطرة بلسم
أطلي على الاطفال لا يتشردوا
ومن اجلهم يا ليلنا الخالد ابسم
أطلي عليهم في الضجيعة وحدهم
لهم وحدهم شقي التراب وبرعمي
لهم وحدهم · · ان تعبري بجباهنا
فغضي ، ألفناه سكوت المسلم

★★★

من النكسات السود والبيض صرختي
على شفتي ·· لم تنطفىء ·· لم تجمجم
من النكسات السود والبيض قادم
باغنيتي ، من كل ما كل من دمي
لنا الوحدة الكبرى ، سأقرع بابها
بآخر نبض من رجائي المحطم
انا الميت ، ألفيت السماوات كلها
اذا ما نشوري كان محض توهم
تشبثت بالعظم الرميم · · وعائد
الى زحمة الدنيا بنعشي واعظمي
بكل قتيل في الطريق ألمه
أضيء طريق النصر نصري المحتم

رأيت الله في غزة

يوسف الخطيب

حليبك في دم الشهداء ساقية
تهيم على جهات الارض
ثم تصب في بحرك ..

حليبك خمر دالية ..
يعب كؤوسها الندمان
ثم يكون من دمهم طلى ثغرك ..

حليبك غيمة بيضاء
تشرب منك وهج الجرح
ثم تغوص في صدرك ..

وليلة أن برحتك
ضعت في الاحقاف
أشرد عنك .. في اثرك ..

وعدتك عند بستان القيامة ..
اسرجي فرس الصباح
وجنّحي الدنيا على قبرك ..

هبي ان النجوم توارت الليلة
فتلك تضيء فيك بنادق الثوار
هبي ان شح فيك الزيت
في الشعلة

فتلك صدورهم دفقت نبيذ النار
لانكِ انتِ ، في واحد
هي البستان ·· والندمان ·· والخمرة ··
لان جبينك المارد ـ

هو الثوار ·· والثورة
وقلبك وردة مشكوكة في الرمح
وهو على أكف غزاته جمره

وانت الان مكة كل قافلةٍ ··
وغار حراء كل نبي
وانت الان طير البعث
يهبط معبد اللهب
يحط الليل ··
ينفخ في قراب السيف
روح الحرف
بين قبائل العرب ··

وانت الان آمنة
وانت حليمة الصحراء
وانت الان جبريل القصيد
وسُورة الشعراء
وجرحك صار مائدة المسيح
وزمزم الشهداء ··

وأعلم ان فوق الطور
من خشبي ، ومسماري
سأصعد فيك جلجلتي
وبعد ·· يكونني الانسان
فخلّي بيننا وعدا
خلال الليل والبستان

وجزّي خصلة من فوق خدك
نار تذكاري
ولو اني نسيت اليك ما النسيان
وهاتي قبلة لفمي

وهاك دمي
على شفتيك
لون شقيقة النعمان

لاني فيك غصت غيابة الجب
واصعد فيك طور الحزن ، والحبّ
وها اجراس قافلة
تجيء الي عبر سفوح جلعاد
فسوف اشيد مئذنتي
على بوابة السلطان
واقرأ فيك ادعيتي واورادي

وأنشد فيك انشادي
أحب حبيبتي ..يا ليل
خذ بوحي واسراري
وتحت ربيع شرفتها
فتحت جروح قيثاري
فناد علي كل الحي
من عسس وسمار
يظل لدي قبل الموت
قبل البعث ..
غمز فراشة النار
وعمر قصيدة تتلى
وادعية
وعمر عناق
وعندئذٍ ...
يشبّه للمدينة
أن وصل اثنين .. كان فراق ..
حليبك فى دم الشهداء .. منك .. اليك ..
انت ، وهم ، خلوص البحر في المزن ..
وانت ، وهم ، نشيد الحب والحزن

نهايتــه ..
بدايته على الكون ..
ونحن هنا .. على الاحقاف
سكنى الليل والجنّ
فنادينا ...

يظل لنا اذا ناديت
شبه القلب ، والاذن
وشبه الدمع في العين

ونحن على ارائكنا
نمد الآه .. تلو الآه ..

ونحيي للصباح ولائم العرق
ونغسل عارنا بالعطر ، والدّبق
ونحن هنا ..

نعمر من مجاعتنا بيوت الله
لكي ننساه بين خرائب الاقصى ..
لكي ننساه ..

ولكني صعدت اليه طور سنين
رحت اليه حتى قمة المأساة

ويا قومي ، ابشّركم ..
رأيت الله ..
وكنتُ ، وكانت الاشياء

دُخانا فوق وجه الغمر
وهو يعيد بدءَ الكون من سيناء

ويا قومي ..
رايت الله بين حرائق الحرب
يضم لصدره الدنيا

يصب الغيم في النابالم
يطبع قبلة الحب ..

ويا قومي .. رأيت الله في غزّه
يؤرجح فوق نور ذراعه طفلا
الى اعــلى

ويمسح في سكون الليل
ادمع امه الثكلى

رأيت الله في الساحات
يغمض أعين القتلى
ويسقي فى مدافنهم
غصون الاس والدفلى

رأيت الله يأتي الكوخ ، والخيمة
يزق صغاره السغبين باللقمة
يطوف على شبابيك السجون
يضيء فوق شفاههم بسمة ..

رأيت الله يبرح' قبة الجامع
وينزل في صدور المؤمنين
ويملأ الشارع ..
رايت الله روح العزم في الناس
امام سرية يمضى
ويكمن خلف متراس

رأيت الله وجه الشمس
فوق عباءة السحب
يجيء مدينة الابطال
يسقى الارض غيث الصبر
في جام من الغضب
رايت الله يرفع من خرائبها
منارة كل بحار
وها انا فوق صدر اليم .
أمخض موج اقدارى
واسأل عنك .. واغزّاه ..
في مقل النجوم
ونورس الصارى

واعلم ان ما بيني وبينك
أفق اسوار

ولكنى اعتليت اليك صهوة همتى
وجنون اصرارى

وانت البحر ·· والبحار ·· والمرسى ··
وحمّى الاهل والدار

ومنك ، اليك ، اسفاري ··
وها أنا ، في عباب اليم

يسألني نزيف جبينك المصلوب
اكليلا من الغار

ولكن ·· آه لوتدرين ··
ذاك العام لم نفلح مواسمنا
وكل حصادنا الصيفي
كان طحالب العار ··
وانت على بهيم الليل

وحدك كنت دالية الصباح
وكنت اغنية من النار
اردّدها على سوط الخليفة
آه ··

أحدس يا ملاك الموت
من سيكون زواري

أحس حفيف اجنحة
تحلّق فوق اسراري ··

ونحن على ارائكنا
نمد الآه ·· تلو الآه ··

ونحيي للصباح ولائم العرق
وانت ·· هناك ··

يشمخ فيك وجه الله
وجرحك ريشة الشفق

وانت جزيرتي ·· وانا
اليك سفينة الافق

وانت قصيدتي ·· وانا
نزيف الحبر في الورق

وانت عناق اخيلتي
وانت قلادة العنق
وثغرك حبتا كرز
وعطرك غابتا حبق
وصدرك جرتا عسل
وشعرك نخلتا عذق
ونام على يديك الدهر ··
نام البحر ··
واستيقظت فوق وسادة الارق
لانك انتَ صقر قريشنا
وبقية الرمق
لانك انت اخر راية لم تهوِ
فاصطفقي ··
لانك انت طير البعث
فاحترقي ··
وعبر رمادك انبثقي
حليبك في دم الشهداء دالية
تذوب على لظى ثغرك
وهم ساقوك حتى الصبح
ما شربوه من خمرك

وانت ،وهم ، عناق الموج والرمل
وانت ، وهم ، مزاج الدمع والكحل
وانت ، وهم ··
بلا اهل
بلا اهل
بلا اهل

فشقي ثوبك العربي عن سترك
ودقي صدرك المسبي في الليل
ونادينا باعلى الطور
نسهر ليلة البستان في حجرك
لان هناك فصح البعث
ينهض من دجى قبرك

مأساة الاعوام العشرة

مليكة العاصمي

سابقت الوقت الى قبري ، فوجدت الموتى اكداسا في الارض
حزت مأساة الاعوام العشر اياديهم ، فقأت اعينهم
أهلي جرهم الحزن الى الاسحار فماتوا
في وقت جد بعيد أنزل ذل في اعماق
سكان الليل • اصابتهم مأساة الايام الثكلى
جلدوا بالمجان ولم نرفع صيحة انكار تعلن حقهم القاطع
مارسنا ضدهم الانكار الفاجع
ظلوا مدفونين زمانا لم نأبه
كان الجبن عميقا فينا ، أفزعنا سوط لوح في الاجواء
يهددنا ، فجبنا لم نقبض ذيل السوط ولم نصنع
سيفاً بتارا يقصمه اجزاء
شعر الاهل بالام الخيبة في سجنهم المرعب
مارسنا ضدهم التغريب فخلونا
لسياط الجلادين تؤدبنا
سكان الليل افاقوا هذا الليل
ناقة جيراني اضحت تمشي ارجلها في اعلى
نصب السياف الانطاع بكل ممرات البلدة
من ارسل تنهيدة اعياء قطعت رأسه
نص القانون
من ابصر زهرة دفلى تجلد في اقبية مجهولة
حقا أجهل هل اخطأت السهم المرمى
عفوا ، أم نشهد دورا من لعب الاطفال
ظل الصحو يعربد في الاحداق فنبه اطفال الحارة
صرخوا ملأوا الدنيا اصواتا صاعقة مكسورة
ما ردد صوت الصبيان صدى ، او هبت ريح تملأ جمعهم النابض
انشودة هذا الجيل مقدسة
ما أثمر صوت يفعم اغنية الاطفال

الفرحة خارج القلب

مليكة العاصمي

- ١ -

جوع في قلبي يموء ، تلاحقني الوحدة
اغسل ما علق بقلبي من ادران البغض
آخر ما صنعت بي الايام
زجت بي في الحب الباسم في ارجاء المهد الوسنان
يؤرجحني عصفور الشرق الاسمر في صمت النبلاء

- ٢ -

آخر ما صنعت بي الايام
زجت بي في النور الوردي بلا أحلام
حجبت عالمي الارحب
حيث أصيد الوهم واسبح في الافاق المسحورة
حيث اللحظة اغنى من كنز سليمان ومما طمر القارون
حجبت عن الرؤيا المتجددة الخضراء
انام واصحو ما في عيني غير ظلام اللؤلؤ
الثـابت
من قال بان الراحة في النوم
الا ان الراحة في اليقظة
حين نفتح اعيننا ونصارع هذا العالم ، حتى
نبتز اللذة
حين نخوض باحشاء الارض ، ونحتال
على الجدران وعتبات الارصفة العمياء
لكي لا تصدمنا .

- ٣ -

آخر ما صنعت بي الايام
عزلتني عن آلام الاهل واحزان الاصحاب

أقامت اسوارا تحجب مأساة الانسان
على عيني ، فلا أمضي الا وسط الحيطان المجلوة
أحضر افراح الاهل ولا اسمع شيئا اذ تحتد مآتمهم
صرت اذا ما نقل الناس الاخبار عن الحزن
فغرت فمي حينا اذ اني لا أفهم ما يعنون
وأصرف نفسي لمشاغلها المرحة
لما مات ابي كان لزاما أن أستدعي عن ولائم الحزن
واقيم الاتراح بكل مكان
علمني الخبراء بان انفخ فى النافور بكل مناسبة
كي اعلن عن هذا الحزن
فنفخت بدون مناسبة ، ما عبرت
علمت بان الحز
مصدره نبع فى القلب .

- ٤ -

آخر ما صنعت بي الايام
نزعت مني اللذة
ما عدت اذوق العتمة في مرحي
فى كل تفاهات الليلات المزدهرة
قتلت في قلبي نبضه
كتمت رعشة ايمان اليوم وايمان الغد
كانت تعلن عن وجود الكائن في صدري
صارت ايامي تافهة بلهاء
صارت ميتة ترسم الضحكة فى شفة
يابسة برداء الموت
شحاذا صرت امام الفرحة والحزن ، لانى
فارغة المضمون
احتاج الى لحظة تفكير ذهني
والى احدى رنات الالم النابض

الليلة الاولى

مليكة العاصمي

*** من مداري اليك افقدك**

فاجأني مع المساء
يا ليته يزورني كل مساء
يقفز في اتجاهي حائط الحديقة القصير

مجلسه قبالتي بعيد
كنجمتين ترنوان وتعبران
مدارنا ليس سواء
ونحن في هذا المساء
سنفترق

يمضي وحيدا في الصقيع والمطر
ووحدتي تغمرها الاحزان
والسجائر المدوسة
وذكريات كلمة محبوسة
حروفها نار ونور
تضيء في دمائي وتثور :

« اني احبك »
يا سيدي
احب فيك غربتي التعيسة
احب فيك غربتي المريضة
لا تنصرف
الله لو طبعتني
الله لو وضعت كفك البارد
مثل حمامة السلام
على جبيني الملتهب
تمنحني الامان
تطفر احزاني
ويهمي دمعي الخضيب
ثم انام في استراحة عميقة
على يديك
يد السلام مثل كف المسيح
كما تنام قبره

قاطرتان في اتجاه مختلف
تستشعران القرب من محطة
فتبطئان
وتزحفـان
ثم تسيل كل منهما على طريق
لعلنا سنلتقي كثيرا
انما ، طريقنا عن بعضنا غريب
وفي مسيرك الطويل في اتجاهي
تخطىء الطريق
منجرفان في خضم تيار رهيب
بلا لقاء للابد

لسوف يمضي بعد بضعة هذا المساء
يتركني لليلي الموحش الرهيب

ثم سأبكي بعده
لاخر الليل
ولا انام ٠٠ لا انام
يظل طيفه يصحبني
لكنـه
يظل طيفا في الظلام
يا حبي الذى بلا حدود او رجاء
من قبل ان تدير وجهك الكئيب
شبك يديك في يدي
ونادني ٠٠ الى اللقاء
ولا تسر
بل انحني على وليدك الصغير
قبل ان ينتهي اللقاء

مدارنا ليس سواء
ونحن في هذا المساء
سنفترق
ستغرق السماء جسمه
بدمعات الرحيل
واستمر في سريري
الفارق البليل
مجلسه بعيد

يقتل وهمي ان اضم
كفـه
كنجمتين ترنوان
وتعبران

الفداء بين رائده وجاحده

صالح الجعفري

مهداة الى رائد الفداء الحسين بن علي

لح فـــوق تاج الفاتحين شـعارا واســـطع بدرب الثـائرين منارا
دوار الاولى ســـيم المذلة ان فـي مقدورهم ان يصبحـوا احـرارا
واقهر بمفردك الجمـوع ميممـــا فيما قصـــدت الواحد القهـارا
ما قيمة الانصـار ان لم تلق من اســـيافهم وقلوبهم انصـــارا
والفتح ان تحيـا العصور مكرما لا ان تقـود الجحفـل الجرارا
وتسـير كالقمرين يتخـذان من فلك القـلوب الثـائرات، مدارا
وتعيش مرفـــوع الجبين متوجا بالغـار تأبـى ما حييت العـــارا
امنكس التيجان بل ومحطم الاوثان لا أشـــراً ولا اســـتكبارا
ومذلّ ناصـية اليهـــود ورهطهم في الله لا بغيـا ولا استـــعمارا

لولا اجتثثت فروعهم كأصولهم ... فتطهر الاسلام دارا دارا
فوحق ما عانيت ما ولدوا ولا ... يلدون الا فاجرا كفارا
أضناك ان دما كأن الله لم ... يأخذ له عهدا يطاح جبارا
فتمرغ العسلان فيه تشفيا ... فيزيدهن تحرقا وأوارا
شربته ظامئة اليه وقبله ... نهشت لحوم الطيبين مرارا
ضاقت به الارضون فاتسعت له ... كبد السماء تضمه استئثارا
ما اشرق القمران الا خلته ... قد صيغ حول النيرين اطارا
وكأنما قطع السحائب لونت ... لتظل نصب عيوننا تذكارا
خفقت كما شئ اللواء طريقه ... نحو العلاء مظفرا كرارا
وكأن ومض البرق سيفك صارخا ... بين الدماء مجلجلا هدارا
لا تثمر الثورات الا عندما ... تسقى الدماء الزاكيات غزارا

* * *

رمز الفداء الحر لم ار فاتحا ... الا وكنت لواءه الخطارا
بل ما تحفز بعد يومك ثائر ... الا وكنت به دما فوارا
ألف يمر ومثله ألف وما ... اوقدت يصلي كل صقع نارا
كذب الالى قالوا غلبت فهذه ... الدنيا تعج باهلها ثوارا
شعشعتها فتفجرت طاقاتها ... نورا ونارا غابة وصحارى
ما عدت بعد اليوم وحدك فالتفت ... ترها تحوطك يمنة ويسارا
ان كان خانك اقربوك فانما ... اوفى بعهدك ابعدون غيارى

* * *

هذي فيتنام الشموخ تعهدت ... ان توقظ الدنيا وذا جيفارا
يتموسمونك قائدا جبارا ... يترسمونك ثائرا مغوارا
علمتهم ان الحقوق مردها ... ان تستشير الصارم البتارا
فترد كيد الاقوياء بنحرهم ... وتمد من ايدي الضعاف قصارا
وتحق حق الله بعد جحوده ... وتعيد دار الظالمين بوارا
وتحيل وجه الارض بحرا مائجا ... بدماء قومك خلصا ابرارا
اورثتهم شرف الاباء فما لووا ... جيدا ولم يستسلموا اقرارا
لقنتهم خطط الحروب سوى التي ... لم ترضها الاحجام والادبارا
الصامدين صمود قاعدة الرحى ... لا يسأمون الكرب مهما دارا
تنداح عن جنباتهم حمم الردى ... رمما تشظى كالهباء صغارا
تخذوا من الفانتوم هيض جناحها للغانيات قلادة وسوارا
هلك العبيد الاثمون وشمسهم ... تنعى ضحاها قصة وحجارا
يتعقب التاريخ ما ابقوا فما ... يلقى ولا لوجودهم آثارا
نقض الزمان بناءهم وعهودهم ... واعادهم لضلوعه اسرارا
ويمر طيفك بالعصور فتنحني ... متصاغرات عنده اكبارا

حليتهـن عواطـلا وحميتهـن ذواعـــرا وهديتهـن حيـــارى
ان شـب عصر كنت فيـه نضارة او شـاب عصر كنت فيـه وقـارا
اعزز عليـك ابا الفداء باننـا خنا بنيـك قرابـة وجـوارا
ما ذر منهـم نابت فى تربـة الا شـحذنا منجـلا وشـفارا
امنوا اليهـود وغدرهم لكنهـم لم يأمنونا مسـلمين نصـارى
لم نؤويهـم والمزعجات حرمنهـم طيب المنـام فمـا تركن قرارا
الا لتقنص شـارديهم بعدمـا حـرق اليهـود عليهـم الاوكارا
ما أبرمت أيماننـا عهـدا لهـم الا حنثنـا ناكثـين مـرارا
وأمضهّن جـريرة وجريمة ما اجترها المتهودون سـرارا
الاشجعون اذا خلوا بظـلالهم والأجبنون محاورا وحـوارا
وكان من جمـع ابن اوى قبلهـم ببنـات اوى قالها واشـارا
من كل منتحل الوصاية بين من طالـوا عليـه ارشـدين كبارا
او كلّ مرتضـع العمالة ناقـع في لجتيهـا بيئـة ونجـارا

* * *

عبـد الخيـانة انت اخطـأ حفرة من ان تبيـع السادة الاحرارا
افرح حزنت فرب فرحة سـاعة غمتك ان ابقت عليـك نهـارا
والمسجد الاقصى الشـريف مصـدع الفقرات لا اسـسا ولا اسـوارا
ما عاد يمنـع نفسـه منهم فهـل يحمـي قريبـا أو يكـرم جارا
بالامس يرفـع بالفلادة صـوته واليـوم ينعـى اهله الاخيـارا
لا شـيخ يعمر ركنـه وعظـا ولا حجراتـه تلقى بهـا عمـارا
قدحت معاولهـم عـلى حجراتـه فتطايرت اضـلاعهن شـرارا
لولا انتظـار الوعد قلت لربـه ادرك حريمك قبـل ان ينهـارا
لاهُمّ صفحك قـد تداعت ريحنا حتى نسينا صـدها اعصـارا
لسنا بحيث اردتنـا وتريـدنا فاثأر لنفسـك ان اردت الثـأرا
الاكثرون حصى ولـكن لم يعـد يكفي لان نعتـد منـه جمـارا
يتضاحك الشـيطان من جمراتنا فكأننـا نلقي عليـه نثـارا

تحياتي الى البصرة

لميعة عباس عمارة

خذي من نشوتي حمره ... ومن عهد الصبا شطره
ومن حبي ومن مرحي ... ورشي الليل بالخضره
ليزهر ألف جيكور ... يناغي بالهوى بدره

* * *

ومن هدبي خذي خجلي ... لابقى في الندى عبره
تمس السعف والليمون ... تمسح عنهما الغبره
خذي كفي التي بردت ... لدفء شتائكم مره

* * *

حبيبتك طيبة ندرت ... وفنا جنح الفكره
وانساناً تواضعه ... يفوق تواضعاً (جزره)
ينافس مده كرما ... ويفرش للقِرى صدره

* * *

سليه الشط كم ذكَرٍ ... سكبت عليه ، كم حسره
تداخل فوقه زمني ... فضيع ليله فجره
على شاطيه من عمري ... خفايا مازجت عمره
أنا من تمره شفة ... ومن أفيائه سمره

* * *

حبيبي موطني ، طفلي ... رضيت على الأذى عذره
أتغضب وجنتاه اذا ... خصصت بقبلتي (ثغره) ؟

الى الخبازة

تمنيت شعري كتنوركم تستدير الحروف به ارغفه
تغذي المساكين ، كل الجياع على الارصفه ،
ولكن شعري واأسفاه ، يظل حروفا ، ترف على الشفة المترفه

أكبر مني كان الحب ، فكان الصمت ، وكان هروبا للاحلام .
شبهتك ، أحببت شبيهك ، أدركت لماذا أجدادي عبدوا الاصنام .

الى امرأة كانت تحبه

أغـــار منـــك ؟ محـــال أحببتِـــه أنتِ قبلـــي
وكنت بالامســـ عينـــي وكنـــت بالامســـ كلي
ماضـــيَّ أنتِ تمـــادى فأصبـــح اليـــوم ظلـــي ٠

لا تقل للابد
حبني اليوم أو
حبني فجر غد
حبني دون حد ٠

للشعر

لعنـــة اللاعـــن يا شـــعر عليك ما الذي أوقعني بـــين يديـــك
كل أســـرار الـــورى مكتـــومة وخفي الهمس مفضـــوح لديك ؟

* * *

كم ســـبيل هربا لذنا بـــه ولمحنـــا في الحنـــايا مقلتيـــك
دعـــك مني ٠ كل جـــرح قاتل كل بؤس جـــاء يقفو خطونيـــك
أنت لو كنت صـــلاحا وهـــدى ما توســـلنا بشـــيطان اليك

عراقية

تدخنين ؟ لا
أتشربين ؟ لا
أترقصين ؟ لا
ما أنتِ ؟ جمع لا ؟
انا التي تراني
كل خمول الشرق في ارداني
فما الذي يشد رجليك الى مكاني ؟
يا سيدي الخبير بالنسوان
ان عطاء اليوم شيء ثان
حلقْ فلو طأطأت لا تراني

لميعة عباس عماره

الخطاب

نزار قباني

أوقفوني ..
وانا اضحك كالمجنون وحدي
من خطاب كان يلقيه أمير المؤمنين
كلفتني ضحكتي عشر سنين
سألوني ، وانا في غرفة التحقيق ، عمن حرضوني
فضحكت ..
وعن المال .. وعمن مولوني
فضحكت ..
كتبوا كل اجاباتي .. ولم يستجوبوني
قال عني المدعي العام ، وقال الجند حين اعتقلوني
انني ضد الحكومة ..
لم اكن اعرف شيئا ..
عن غسيل المخ ، أو فرم الاصابع
في بلادي .. ممكن ان يكتب الانسان ضد الله .. لا ضد الحكومة
فأعذروني ، أيها السادة ، ان كنت ضحكت
كان في ودي أن أبكي ..
ولكني ضحكت ..

***

كنت بعد الظهر في المقهى .. وكان البهلوان
يلبس الطرطور بالرأس .. ويلقي كل (ما يطلبه المستمعون)
عن حزيران .. الذى صار مع الايام (ما يطلبه المستمعون)
واحتفالا مثل عيد الفطر والاضحى .. أراجيح .. وكعكا .. وفطائر
وزيارات مقابر ..
كنت استرجع افكاري ، وكان المخبرون
كالجراثيم ، على كل الفناجين .. وفي كل الصحون
كنت أصغي كألوف البسطاء الطيبين
لكلام البهلوان
وهو يحكي .. ثم يحكي .. ثم يحكي ..
مثل صندوق العجائب
وتذكرت ليالي رمضان
واراجوز الذى كان له الف لسان ولسان
وتذكرت فلسطين التي صارت حقيبة
ما لها في الارض صاحب
كان في حنجرتي ملح ، وحزني كان في حجم الكواكب
فاعذروني ، ايها السادة ، ان حطمت صندوق العجائب
وتقيأت على وجه أمير المؤمنين
وكبير الياوران
واسترحت ..
كان في ودي ان ابكي ..
ولكني ضحكت ..

***

نشروا في صحف اليوم تصاويري .. على اول صفحة
واعترافاتي على اول صفحة ..
فضحكت ..
قدموني للاذاعات طعاما ، ولاسنان الصحافة
جعلوني ـ دون ان ادري ـ خرافة

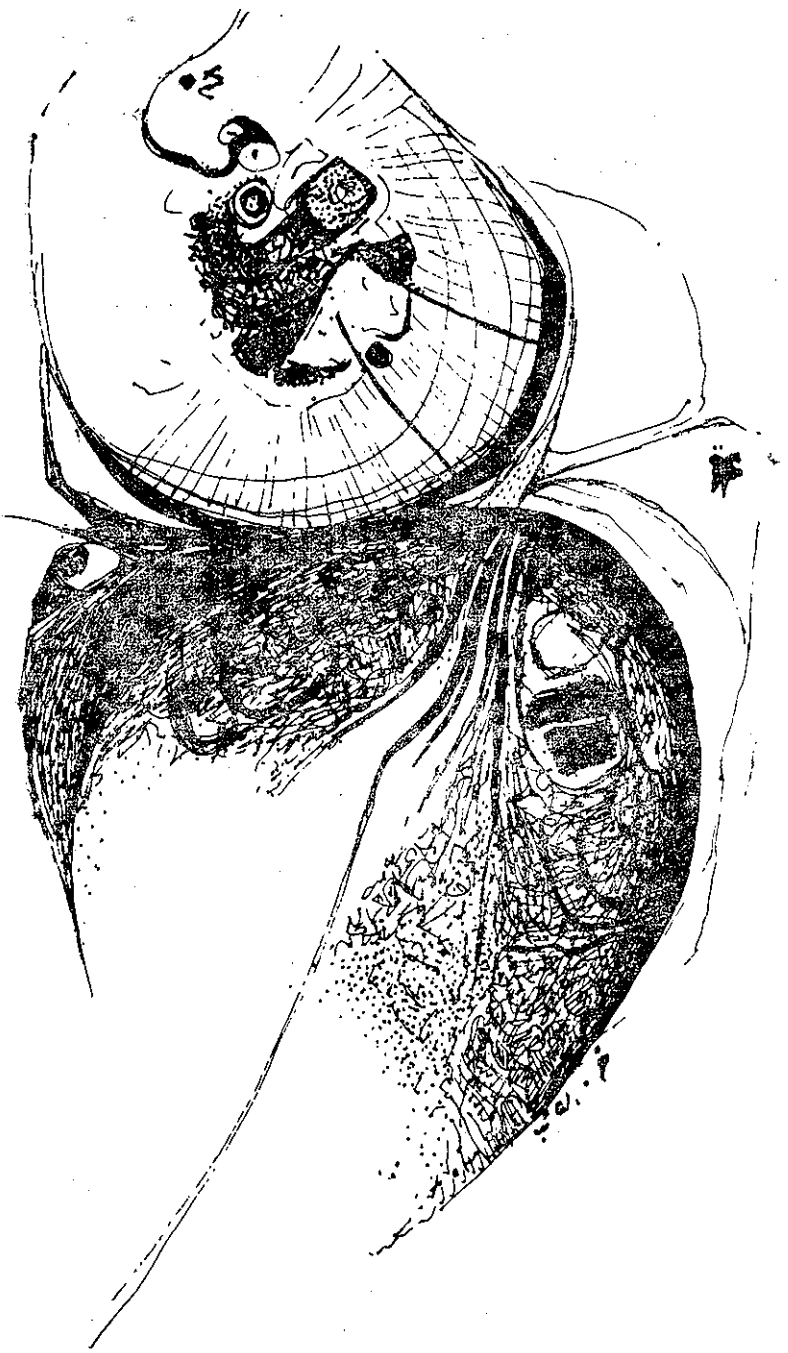

ربطوني بالسفارات .. واحلاف الاجانب
فضحكت ..
انني لم اشتغل من قبل قوادا ، ولا كنت حصانا للاجانب
انا عبد من عباد الله مستور ، ومغمور ، ومجدود المواهب
اسمع الإخبار كالناس ، واستقبل مأمور الضرائب
زوجتي طيبة القلب ، وعندي ولدان
وابي .. حارب ضد الترك في الشام ومات
انا لا أفهم في الصرف ، وفي النحو ، وفي علم الكلام
غير اني لم اعد أفهم ، من بعد حزيران ، الكلام
لم اعد أهضم حرفا من اكاذيب امير المؤمنين
صارت الالفاظ مطاطا ..
وصارت لغة الحكام صمغاوعجين ..
خدروني بملايين الشعارات .. فنمت
وأروني القدس في الحلم .. ولم ..
اجد القدس .. ولا احجارها .. حين استفقت
فاعذروني أيها السيادة ان كنت ضحكت ..
كان في ودي ان ابكي ..
ولكني ضحكت ..

***

كنت في المخفر مكسورا كبللور كنيسه ..
نافخا (سورة ياسين) بوجه القاتلين .
لم اكن املك الا الصبر .. والله يحب الصابرين
وجراحي كبساتين اريحا
يمطر الياقوت منها ، ويفوح الياسمين
وفلسطين على الارض حمامة
سقطت تحت نعال المخبرين
كنت وحدي ..
لم يزرني احد في السجن .. الا

جبل الكرمل ، والبحر ، وشمس الناصرة
كنت وحدي ..
وملوك الشرق كانوا جثثا .. فوق مياه الذاكرة
كنت مجروحا ، ومطروحا على وجهي ، كأكياس الطحين
ايها السادة : لا تندهشوا ..
كلنا في نظر الحاكم إكياس طحين
نتسلى بحشيش الصبر ، والله يحب الصابرين
فأطال الله في عمر أمير المؤمنين
نائب الله على الارض ..
كبير العادلين ..

***

أيها السادة انى وارث الارض الخراب
كلما جئت الى باب الخليفة
سائلا عن شرم الشيخ ، وعن حيفا ، ورام الله ، والجولان ...
اهداني خطاب ..
كلما كلمته ـ جل جلاله ـ
عن حزيران الذى صار حشيشا نتعاطاه صباحا ومساء
واحتفالا مثل عيد الفطر ، والاضحى ، وذكرى كربلاء
ركب السيارة المكشوفة السقف ..
وغطى صدره بالاوسمه ..
ورشاني بخطاب
كلما ناديته :
يا أمير البر ، والبحر ، ويا عالي الجناب ..
سيف اسرائيل في رقبتنا ..
سيف اسرا ...
سيف اس ....
ركب السيارة المكشوفة السقف .. الى دار الاذاعة

ورشاني بخطاب
ورماني بين اسنان الجواسيس ، وانياب الكلاب
فاعذروني ايها السادة ان كنت كفرت
وصفوا لي صبر ايوب دواء .. فشربت
اطعموني ورق النشاف ليلا ونهارا فاكلت
ادخلوني لفلسطين على انغام (ما يطلبه المستمعون)
ضيعوني في دهاليز الجنون
فاعذروني – مرة اخرى – اذا كنت ضحكت
كان في ودي ان ابكي
ولكني ضحكت ..

مقاطع حزينة
في مهرجان المربد

محمد بلقاسم خمّار

يا شعراء أمتي
يا اخوتي
جئت من الجزائر
من بلد الثورة والامجاد والتضحية
لكنني اخجل ان اقول جاء زائر
والقدس في محنتها تلعنني :
يا من على جناح ذل طائر
تخاف أن تمر بي ..
أن تلقي التحية

***

اخجل ان اقول جاء ثائر
وكل ما تحمله حقيبتي
ليس سوى الثياب والأوراق والسجاير
وليس بندقية .

***

أخجل أن أقول جاء شاعر
لان في شعري الذي اكتبه
ما زالت الدموع والمآسي
تلوح من احرفه شجية

***

قد جئتكم يا اخوتي
احمل من مرابعي
ومن هوى محبتي
اليكم تحية
اسألكم امنية
يا ليت هذا الملتقى
كان بخط النار
وكانت الرعود والاعصار
اذ ينطق البارود فى ساعتها
وتخرس الاشعار

***

لله نحن الشعراء
نظل خلف الخلف من ابوابنا
نريد ان تنفجر الثورة في شبابنا
لينقذوا ركابنا
ويزرعوا بنصرهم ترابنا
ويرفعوا الاثقال عن رقابنا
لله نحن الشعراء
كانما توتر المأساة فى اعصابنا
قضى على ادراكنا حقيقة المأساة في مصابنا
وهى بلا مراء
ان الذى نريد ان يكون
ونحن خلف الخلف من ابوابنا
تريده الجموع من شبابنا
فنحن في همومنا سواء
اكثرنا فى الضيم شعراء
ومن تبقى حولنا غاوون !

* * *

أمتنا ضحية الاسافل
سجينة العروش والالقاب والحبائل
تعيش كالخيال في نفوسنا
هزيلة ٠٠ مريضة التفاول
تشير من عيوننا
ذليلة التساؤل
منذ متى ٠٠ ؟ منذ متى ٠٠!؟
« ٠٠ منذ متى لم استفق من صدمتي
من سكرتي
من فزعي الضارب في معالمي
وفي دنا مجاهلي ؟
منذ متى لم استرح من نوبة الالام
في مفاصلي ؟٠٠
لم ادر كم مر على تنازلي
تراجعي ٠٠ تخاذلي !
لم ادر كم مر على تعفن الجروح في مقاتلي
وكم نثرت الورد فوق خامل
وكم تجرعت كؤوس قاتل
وكم ٠٠ وكم ٠٠ !؟
كل الذى ادريه انى لم ازل
ولم تزل تخيم الوحشة فى منازلي
ولم يزل صوت الانين اسرا فواصلي
ارسله خلف ديار الله في مكة
كالصقيع من مراجلي
ايصقه كغصن قات ذابل
ابكي به عهد ابي نواس للفرات
يا مواكبي ٠٠ طلائعي ٠٠ تغافلي ٠٠
ومن رحاب بردى ارسله

عربدة مجنونة ريانة المحافل
اجتره اها لليل النيل
للحمراء في بيروت
للزيتونة التي لا تنتمي
وتنتمي لكل ما في الغرب من مهازل
ألقطه قيئا
على شواطىء البحار حول ليبيا
وفي بيوت « الانجم الزرقاء »
حيث الامتداد من مشارف الخرطوم
هام في تثاقل
ابنه حشرجة لكل من بباب البحر
في تونس سار في السلاسل
ارفعه ولولة
من داخل الاقباء في وهران
واضيعة الاوائل
ومن ذرى الاطلس قد غاب الصدى
الا بواد فاس .. في اغواره
لما يزل يئن صوت حابل
مشيعا بالف صوت نابل »

***

يا اخوتي
يا شعراء امتي
اربعة او خمسة تمر
عاما .. بعد عام
وطفلنا لما يزل في المهد
لم يبلغ الفطام
لما يزل كما ولد
مرتخي العظام

مشوه اليدين والاقدام
عيونه رمد
وكل ما في جسمه السقام

***

اربعة ٠٠ او خمسة تمر
فصولها نكد
مرعبة الانسام
ألحانها كمد
انينها السلام

***

أمتنا يا خيبة الايام
مجروحة النهدين والعينين
لا تنام
تذكر كل عهد
وكل ظل مال واستقام
ثم تجيل طرفها المرتد
في طفلنا الممتد
تسأله شيئا من الاقدام
نوعا من الزحف ٠٠ ولو لمد
ترجوه بعض الجهد
لكنه لا يعرف الاصغاء
نهاره بكاء
وليله منام

***

ما اتفه الحياة في وجودنا
ما احقر الساعات والايام والاعوام
سكوتنا المذلة
وعارنا الكلام

***

يا اخوتي
يا شعراء أمتي
الى متى ونحن هكذا
كوتر تحطمت عيدانه
وشوهت رقته الجراح
فصار لا تزوره الحانه
الا اذا ناحت به الرياح

***

متى متى .. نفلت من مسيرة العذاب
ونفضح الاحساس بالعدم
ونسترد مبدءا
كان لنا منذ القدم
يقدس الشاعر في عزته
يعبده لانه يحتقر الدموع والسأم
وان اطلّ الضيم وادلهم
تجاوز الانين والالم
وراح من جعبته يستلم الحراب
فيرتمي كبطل وشاعر
دماؤه من حسه الوثاب
اويرتقي منتصرا
ليرفع الراية والقلم
وينشد الشعر
بلا اغتراب .

ملاحظات على تاريخ

«الله والوطن»

عبد الأمير معلة

هذي صارية من دمنا تمتد
بين عمود الليل وبين الرعد
صارية
علقت عليها وجهي
وفررت الى الماء
وحيدا

أحلم بالذعر ، وضعت يدي عليه
وقمت ، تحسست ضلوعي ، ورأيت
صارية من دمنا تمتد
رأيت :
صحراء الله
ضراوته
وجه ابوّته
وجهي

قال الله :
« أقم يا عبد تجاهي »
قلت :
« خذني ...

قال :

« قد صيرت لك الرمل بلادا
ووضعت لها اسما
انى تتلفت ، تره مكتوبا
يخفق مثل الريح » ٠

وقال :

« جئت اليك
محمولا فوق ظهور الخيل ، وفوق شفاه البدو
فان غربت فوجه وجهك بي نحو الروم
وان شرقت ، فوجه وجهك بي نحو السند
واعرفني ٠٠
فاذا فوجئت بوجهي يغرب عنك ،
فاعلم : ان الله مضى
واتى يوم اخر ، تعدو فيه كلاب الموت عليك
فابحث عني يومئذ في بطن الصحراء ، تجدني ماءا
واغرق فيّ ، وسر نحو المشرق والمغرب ٠٠٠
٠٠٠٠٠٠ »

كان الله اذن صحفا يقرؤها البدو ، فيغدون
وطنا يتقلد ناصية الماء !
كان اذن ، عرعربيا يغمر وجه الصحراء !
كان الله اذن ، حد السيف ، وكان :
حجرا يقصف عنك حدود الظلماء !

★★★

بين الجزر المنسية والقدس
بين الجثث الخمس ، طويت
وجهي ، جمّعت الوجع المتساقط بين جبيني والرمل

★★★

بين الجثث الخمس وبين القدس
رميت العين على العين

وارخيت عنان الصحراء
ولكزت خواصرها الالف المحدودة بالمشرق والمغرب والماء
لكن الصحراء
ضلت بين البحر وبين غبار الموت ..
افثن خلعت عن الصحراء اعنتها
افتنفر كالاشجار ، وتركب ظهر البحر ؟!
اذن .. نعبر جسر الدمع ونمضي
ولقد نمتد الى دمنا ، ونسميه باسماء القتلى
ولقد نمشي مرحا في الارض، ونخفق كالراية، فوق البحر وفوق غبار الموت!

***

بين عمود الليل ، وبين الصبح ، امتد هواء الشام
كان حرابا تتقدم كالمزن ، وكنا
نبرز من بين هواء الشام
نتوزع والجوعى كسرة حب
بين عمود الليل وبين القلب
تمتد صوار من دمنا
يلد الاموات ، وتزهو الثورة
يقترب الرب
بين عمود الليل وبين القلب
ينتشر العشب ..

عبور الوادي الكبير

سعدي يوسف

بعدنا عن النخل ...
ها هي شمس القرى تمنح النخل غابا من الريش احمر ،
هاهي اكواخنا :
ـ سعفة نستظل بها او وقود لبغضائنا ـ
كلها تهبط الارض ، كوخا فكوخا ، وتلقي بها الارض للماء ..
كنا نمد لها شعر اطفالنا :

سروة شعر اطفالنا
امسكيها
امسكينا بها

غير ان المنازل مثل الطباشير تمحى
من الارض تمحى
وفي الماء تمحى
وها نحن بين المدى والسماء وحيدين
يا ارضنا المشتراة المباعة ، والمشتراة المباعة ، ثانية
انت يا وجه من يتذكر منا شهادة ميلاده :
بعدنا عن النخل
ها هي شمس القرى تمنح النخل غابا من الريش احمر
ها هي شمس القرى تمنح النخل غابا
وها هي شمس القرى
ها . . . هي
ها . . . هي
ها . . .
هي . . .

***

كواكب مائية في السماء التي تعرف الصيف والسفن الامريكية الصنع ،
– في المتوسط لا تستحم الكواسج
– هل تذكرين المنازل ؟
– تلك التي غادرتها السفينة ؟
– لا ٠
– حانة البحر في اور ؟
– لا ٠
– دارتي في سمرقند ؟
– لا ٠

ان كل المنازل مغلقة ، فامام الوجوه
الشريدة لا يفتح الناس ابوابهم ،
قد نسينا بقرطبة ، الشرفة الاموية ،
والطفل ٠٠ حين نسافر ننسى الحقائب ،
او نتناسى متاعبنا وكتاب القصائد ،
يا أيها الفارس المستحيل ، تظل المسافات
تنأى ، وفي مقلتيك تغور الشواطىء ،
لا تكتئب : فالحوافر فيها الشرار ، وهذا
السبيل الحجار ٠٠٠

– ولكننا قد بعدنا عن النخل ٠٠٠
– اخر رايات كولمبس المستدقة تبحر من برشلونة
– واخر ابراج غرناطة اقتحمته خيول الشمال ٠

***

تصير المسافات لي راية ٠٠٠ ان اهلي بعيدون
لا تحمل الطير اخبارهم لي ، ولا تحمل الطير اخبارنا
لهمو ٠٠٠ يا جناح الليالي الطويلة ، كن موطني
والكتاب الذى ليس يطبع ٠٠٠ كن في مقاهي المحبين
دورة شاى ، وفي شفتي من احب : الشقائق
والرجفة المستسرة ٠٠٠ كن يا جناح الليالي

الطويلة نجمي ... لقد ضيع القطب
نجم الهداة ... ولكن اهلي البعيدين ما برحوا
بانتظاري ...

ـ الى اين تذهب يا فارس الليل ؟
ـ اهلي بعيدون سيدتي ...
ـ انني بانتظارك منذ ليال ثلاث ... علمت بانك آت ...
اتنزل ؟
ـ سيدتي ... حين انزل اقتل
ـ تقتل في منزلي ؟
ـ آه ... سيدتي ... انني متعب ... غير اني ...
وداعا
وداعا

***

وغادرت منزلها ... كان في بابه القرطبي صنوبرة
كنت اسمع نبض العصافير اذ تتنفس نائمة
بين أفنانها والنجوم الخفيضة ... احسست
ان العصافير سوف تموت صباحا .

***

حين ناديته ، فارس الليل ! ارخى العنان
قليلا . كثيرون مروا ببابي ، ولكنني
لم اجد مثله ... شاحبا كان ، ظمآن ،
لكنه رفض الماء من جرتي ... لم يقف
مثل فرسان قرطبة الاخرين يغازلني ...
قال شيئا ، وسار ...
على باب جيان فى قرطبة
رآه الندى يدخل المسجد المتوحد ، في اخر الليل ،
كان الندى خصلا فى جبين المسافر ، والليل
اغماضة في عيون الجواد ، وكانت توافذ
قرطبة المشرئبة بالورد تنتظر الخطوة الملكية ،

ألقت نوافذ قرطبة الورد ... غطت به غبرة السفر المستديمة فوق قباء المسافر ، والتعب المر في لفتات الجواد .

وفي لحظتين رأيناه يخرج من باب مسجدنا أغاق الباب . سمرها ، دوننا ، تحت اغضاء عينيه ، ثم اعتلى صهوة الفرس المتمايل بين غصون الصباح المبكرة الطير ، والنسوة المسرعات وكانت ورود المسافر تهطل ... والنسوة المسرعات يخبئنها في صدور الصبايا .

***

ذهبت الى السوق ، كنت غريبا به ، متعبا ، والتجار
يدورون حولي
يقولون لي : نشتري منك هذا القميص
وكانوا يمدون ايديهم نحوه :
نشتري منك هذا القميص الملطخ
.....
.....
ولكنه راية لبستني غداة الهزيمة

***

جوادي على الوادي الكبير ، ورايتي
بغرناطة الابراج ، يكنزها الصخر

فلا تسألوا عني وعنها ، فاننا
لها آخر العشاق ، والهاتف البر
لقد كان لي فيها انيس ، وان لي
انيسا بها ، حتى لو اجتاحها العصر
وغيب ما بين القلاع وسهلها
كتائبها العشرون والسامر البدر
« اذا علم خلفته يهتدى به

بـــــدا علـــــم في الآل ، اشـــــقر مفتر
فشـــــــد على كـــفي ، واطلـــــع زهـــرة
من الصدر
عند القلب ...

وانهمر الزهر

قميصي ... لكل المشترين ابيعه
وسـيفي
وعينا جوادي .
انا الان منجرد بينكم
فاحملوا كل ما يشترى
ـ هل خسرت سوى عبء اغلالكم ؟ ـ
علقوا فوق جدران قاعاتكم غمد سيفي
وعيني جوادي الجميل
اجعلوا من قميصي حديث اجتماعاتكم
ـ هل خسرت سوى عبء اغلالكم ؟ ـ
واتركوني وحيدا
دعوني اقل ما اشاء
دعوني اكن من أشـاء
دعوني أمت ، او اعش نجمة
فغرناطة العشق عريانة ، وحدها ...
ان غرناطة العشق عريانة وحدها .

سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا

محمود درويش

يجيئون ·
ابوابنا البحر ، فاجأنا مطر ، لا اله سوى الله·
فاجأنا مطر ورصاص : هنا الارض سجادة · والحقائب
غربة ! ·
يجيئون ·
فلتترجل كواكب تأتي بلا موعد ، والظهور التي
استندت للخناجر مضطرة للسقوط ·
وماذا حدث ؟
انت لا تعرف اليوم ، لا لون ، لا صوت ، لا طعم ·
لا شكل ·· يولد سرحان ، يكبر سرحان ، يشرب
خمرا ويسكر · يرسم قاتله · ويمزق صورته · ثم يقتله
حين يأخذ شكلا اخيرا ·
ويرتاح سرحان ·
سرحان ! هل انت قاتل ؟
ويكتب سرحان شيئا على كم معطفه ، ثم تهرب
ذاكرة من ملف الجريمة ·· تهرب ·· تأخذ منقار طائر ·
وتأكل حبة قمح بمرج بن عامر ·
وسرحان متهم بالسكوت ، وسرحان قاتل ·

***

وما كان حبا
يدان تقولان شيئا ، وتنطفئان ٠
قيود تلد
سجون تلد
مناف تلد ٠
ونلتف باسمك ،
ما كان حبا
يدان تقولان شيئا ٠٠ وتنطفئان ٠
ونعرف ، كنا شعوبا ، وصرنا حجاره
ونعرف ، كنت بلادا وصرت دخان
ونعرف أشياء أكثر
نعرف ، لكن القيود القديمة
تصير أساور ورد
تصير بكاره
في المنافي الجديدة ٠
وتلتف باسمك
ما كان حبا
يدان تقولان شيئا وتنطفئان
وسرحان يكذب حين يقول رضعت حليبك
سرحان من نسل تذكرة ، وتربى بمطبخ باخرة لم تلامس
مياهك ٠ ما اسمك ؟
ـ نسيت ٠
وما اسم ابيك ؟
ـ نسيت ٠
وأمك ؟
ـ نسيت ٠
وهل نمت ليلة أمس ؟
ـ لقد نمت دهرا ٠

حلمت ؟
ـ كثيرا ٠
بماذا ؟
ـ باشياء لم ارها في حياتي ٠
وصاح بهم فجأة :
ـ لماذا اكلتم خضارا مهربة من حقول أريحا ؟
ـ لماذا شربتم زيوتا مهربة من جراح المسيح ؟
وسرحان متهم بالشذوذ عن القاعدة ٠

***

رأينا اصابعه تستغيث ٠ وكان يقيس السماء باغلاله ٠
زرقة البحر يزجرها الشرطي ، يعاونه خادم اسيوي ٠
بلاد تغير سكانها ، والنجوم حصى ٠
وكان يغني : مضى جيلنا وانقضى ٠
مضى جيلنا وانقضى ٠
وتناسل فينا الغزاة ٠ تكاثر فينا الطغاة ٠ دم كالمياه ٠
وليس تجففه غير صورة غم وقبعة الشرطى وخادمه
الاسيوي ٠ وكان يقيس الزمان باغلاله ٠
سألناه : سرحان عم تساءلت :
قال : اذهبوا ٠ فذهبنا ٠
الى الامهات اللواتى تزوجن اعداءنا ٠
وكن ينادين شيئا شبيها باسمائنا ٠
فيأتي الصدى **حرسا**
ينادين قمحا ٠
فيأتي الصدى حرسا ٠
ينادين عدلا
فيأتى الصدى حرسا
ينادين يافا

فيأتي الصدى حرسا
ومن يومها ، كفت الامهات عن الصلوات ، وصرنا
نقيس السماء باغلالنا
وسرحان يضحك في مطبخ الباخرة ٠
يعانق سائحة ، والطريق بعيدٌ عن القدس والناصرة
وسرحان متهم بالضياع وبالعدمية
وكل البلاد بعيده ٠
شوارع اخرى اختفت من مدينته (اخبرته الاغاني
وعزلته ليلة العيد ان له غرفة في مكان]
ورائحة البن جغرافيا
ابوك احتمى بالنصوص ، وجاء اللصوص
وما شردوك ٠٠ وما قتلوك ٠
ولست شريدا ٠٠ ولست شهيدا ٠
ضفائرها للسنابل والامنيات : (وفوق سواعدنا فارس لا
يسلم [وشم عميق] ٠ وفوق اصابعنا كرمة لا تهاجر
[وشم عميق] ٠
خطى الشهداء تبيد الغزاة

[نشيد قديم]

ونافذتان على البحر يا وطني تحذفان المنافي ٠٠ وارجع
(حلم قديم ــ جديد)
شوارع اخرى اختفت من مدينته (واخبرته الاغاني
وعزلته ليلة العيد انله غرفة في مكان)
ورائحة البن جغرافيا ٠
ورائحة البن يد
ورائحة البن صوت ينادي ٠٠ ويأخذ ٠٠
ورائحة البن صوت ومئذنة (ذات يوم تعود) ٠
ورائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب ٠ ينكمش
الماء يوما ويبقى الصدى ٠
وسرحان يحمل ارصفة ونوادي ومكتب حجز
التذاكر ٠ سرحان يعرف اكثر من لغة وفتاة ٠ ويحمل

تأشيرة لدخول المحيط وتأشيرة للخروج · ولكن سرحان
قطرة دم تفتش عن جهة نزفتها ·· وسرحان قطرة دم
تفتش عن جثة نسيتها · واين ؟
ولست شريداً ·· ولست شهيدا ·
ورائحة البن جغرافيا
وسرحان يشرب قهوته ··
ويضيع ·

: ● :

هنا القدس ·
يا امرأة من حليب البلابل · كيف اعانق ظلي ··
وابقى ؟
ولا ظل للغرباء ·
مساء يرافقهم ، والمساء يعيد عن الامهات قريب من
الذكريات · وسرحان لا يقرأ الصحف العربية ·· لا يعرف
المهرجانات والتوصيات ·· فكيف اذن جاءه الحزن ··
كيف تقيأ ؟
وما القدس والمدن الضائعة
سوى ناقة يمتطيها البداوه
الى السلطة الجائعه
وما القدس والمدن الضائعه
سوى منبر للخطابه ·
ومستودع للكآبه ·
وما القدس الا زجاجة خمر وصندوق تبغ ···
ولكنها وطني ·
من الصعب ان تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي
ولكنها وطني
من الصعب ان تجدوا فارقا واحدا
بين حقل الذره

وبين تجاعيد كفي
ولكنها وطني ..
لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة
وبين المساء الذي يسكن الكرملا
ولكنها وطني
في الحقيقة والدم متسع للجميع ..
وخط الطباشير لا يكسر المطر المقبلا
هنا القدس ..
كيف تعانق حريتي ـ في الاغاني عبوديتي
وسرحان يرسم صدرا ويسكنه
وسرحان يبكي بلا ثمن ووسام
ويشرب قهوته .. ويضيع

●

يمزق غيما ، ويرسله في اتجاه الرياح . وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة . لابد من تربة صالحة .
اتذهب صيحاتنا عبثا ؟
أكلت .. شربت .. ونمت . حلمت كثيرا . افقت
تعلمت تصريف فعل جديد . هل الفعل معنى بآنية
الصوت .. ام حركه ؟
وتكتب ض . ظ . ق . ص . ع . وتهرب منها ، لان
هدير المحيطات فيها ولا شيء فيها . ضجيج الفراغ
حروف تميزنا عن سوانا ـ طلعنا عليهم طلوع المنون ـ
فكانوا هباء وكانوا صدى . صدى نحن . هم يحرثون طفولتنا
ويصكون اسلحة من اساطير . اعلامهم لا تغني . واعلامنا
تجهض الرعد . تقصفهم بالحروف السمينة : ض.ظ.ص
ق.ع. ثم تقول انتصرنا . وما الارض ؟ وما قيمة الارض ؟

اتربة ووحول · تقاتل او لا تقاتل ؟ ليس مهما سؤالك ما
دامت الثورة العربية محفوظة في الاناشيد والعيد والبنك
والبرلمان
وتعرف ان الغزاة عصى بايدي المماليك · تكتب ض ·
ظ · ق · ص · ع
تمزق غيما وترسله في اتجاه الرياح · وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة · لا بد من تربة صالحة
وتمضي السفينة · تبقى غريبا · جراحك مطبعة
للبلاغات والتوصيات · وباسمك تنتصر الابجدية · باسمك
يجلس عيسى الى مكتب ويوقع صفقة خمر واقمشة ·
ويحيى العساكر باسمك · باسمك تحفظ في خيمة وتطلب في
خيمة · لا هوية الا الخيام · اذا احترقت ·· ضاع منك
الوطن ·
وباسمك اسماء تأتي وتذهب · باسمك حطين تصبح
مزرعة للحشيش ، وثوارك السابقون سعاة بريد · وباسمك
لا شيء · يأتي القضاة ، يقولون للطين كن جبلا شامخا
فيكون · يقولون للترعة انتفخي انهرا فتكون
وتكتب ض·ظ·ص·ع·ق ·
تمزق غيما وترسله في اتجاه الرياح · وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة · ولا بد من تربة صالحة ·
اتذهب صيحاتنا عبثا ؟
وليست خيامك ورد الرياح · وليست مظلات شاطىء
تدجج باعمدة الخيمة · احترقي يا هويتنا ـ صاح لاجىء
وسرحان يشرب قهوته ·· للجليل مزايا كثيرة ·
ويحلم ، يحلم ، يحلم ·· آه ـ الجليل !

ومن كف يوما عن الاحتراق
أعار اصابعه للضماد

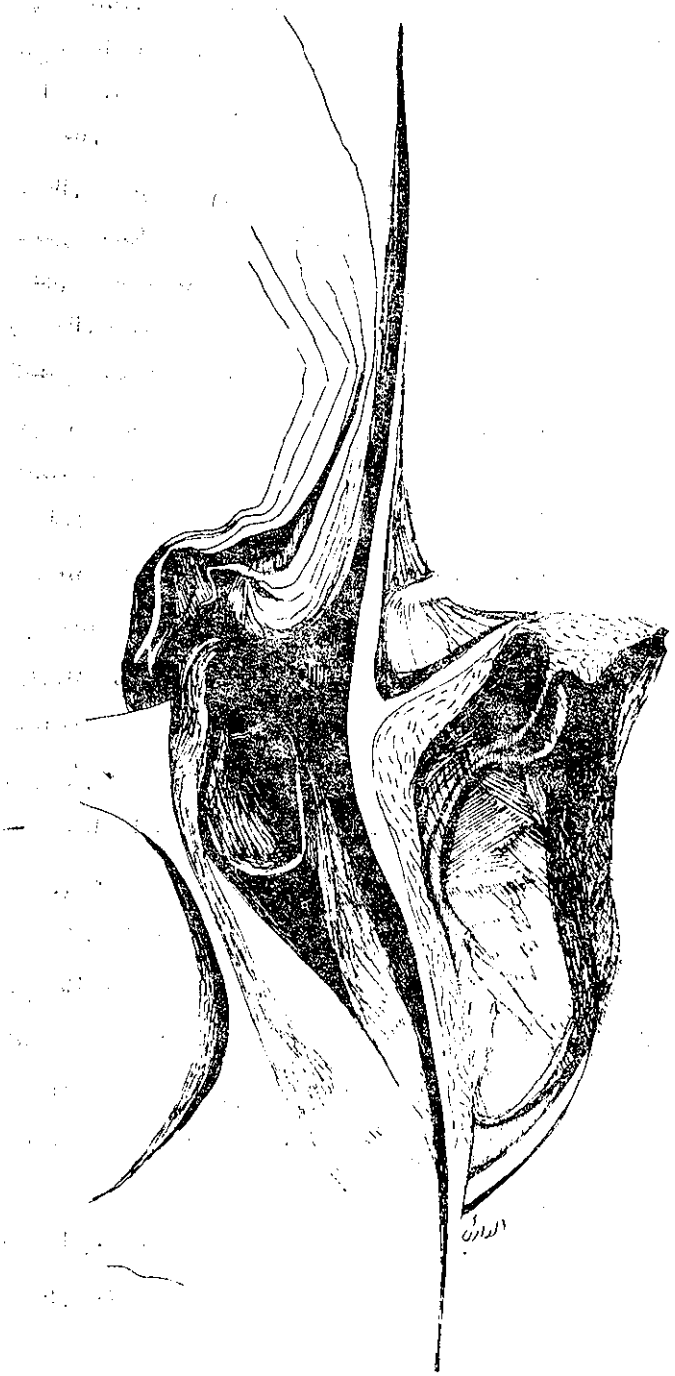

وصرح للصحفي وللعدسات :
جريح انا يا رفاق
ونال وساما .. وعاد .
وسرحان ،
ما قال جرحي قنديل زيت وما قال ..
صدري شباك بيت وما قال .
جلدي سجادة للوطن .
وما قال شيئا .
اتذهب صيحاتنا عبثا ؟
كل يوم نموت ، وتحترق الخطوات وتولد عنقاء
ناقصة ، ثم نحيا لنقتل ثانية
يا بلادى ، نجيئك اسرى وقتلى .
وسرحان كان اسير الحروب ، وكان أسير السلام
على حائط السبي يقرأ انباء ثورته خلف ساق مغنية ،
والحياة طبيعية ، والخضار مهربة من جباه العبيد الى
الخطباء . وما الفرق بين الحجارة والشهداء ؟
وسرحان كان طعام الحروب ، وكان طعام السلام .
على حائط السبي تعرض جثته للمزاد . وفي المهجر
العربي يقولون : ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة ؟
وسرحان كان قتيل الحروب ، وكان قتيل السلام
على حائط السبي يصطدم العلم الوطني بأحذية الحرس
الملكي . وحربك حربان . حربك حربان .
سرحان ! لا شيء يبقى ، ولا شيء يمضي . اغتربت ..
لجأت .. عرفت . ولست شريدا ولست شهيدا . خيامك
طارت شراره
وفي الريح متسع
ـ هل قتلت

ويسكت سرحان • يشرب قهوته ويضيع • ويرسم
خارطة لا حدود لها • ويقيس الحقول باغلاله
ـ هل قتلت ؟

وسرحان لا يتكلم • يرسم صورة قاتله من جديد ،
يمزقها ، ثم يقتلها حين تأخذ شكلا اخيرا •••
ـ قتلت ؟

ويكتب سرحان شيئا على كم معطفه ، ثم تهرب
ذاكرة من ملف الجريمة •• تهرب •• تأخذ منقار طائر •
وتزرع قطرة دم بمرج بن عامر

محمود درويش

الرباعية الثالثة

مسبا الشيخ مبفر

انا الكوكب الاسود ، انتشروا في المقاهي اشربوا الشاي ، وحدي أقهقه في وجه تمثالي الحجري ، الصبايا النحيفات يرقبن اخر تسريحه مجلاتهن ، المعري من فندق مثقل بالثريات يرسل برقية : ليلتي هذه وجه قوادة ٠٠ ايها الكركدن المرايا لها رقة الحجر ، الوحشة القمرية في القاعة ، المسرح الآن غرفة نوم ، انا المسرحية والمخرج ، القادمون ، الخطى الشبحية من ذا ؟ نفرتيتي في آخر الليل تنجاب عنها القرون الغبار ٠٠ انزعي عنك هذا النقاب الهلالي ، هل تسمحين ؟ المساحيق في هذه العلبة ، الكركدن عزوف عن الشاحبات ، اصبغي جيدا ، ما لنا كلنا واجم يا حرير؟ امتلكت الصدى والمدى آه في ايما ذرة من رمال الصحارى البداية ؟ مرّت على جمل طائر ، وجهها قال عنه النواسي شيئا ، ولكنها في القطار السهوبي كانت بسروالها الضيق امرأة من لهيب الصنوبر والثلج ، نامت الى الصبح بين ذراعيّ ، من كوّر الارض تحت يدي شرة ؟ قام بيني وبين البياض الخريفي حائط طين ، أقمنا مخيمنا وانحدرنا الى الغاب بحثا عن الصيد ٠٠

والنار في آخر الليل تخبو ، الخيول التي روضت ذكرتنا بفخذين ماروّضا، ما اسمها ؟ لونها ؟ قيل آسيا البراري ·· الصواري انحنت مثقلات ، أقل اشتياقا فما زار غرفتك الحجرية غير الخفافيش ، يطفو على الحائط الرطب وجهك ، والضوء في مطعم مثقل بالثريات غيم وراء ستائره القصبية ، في البار حطت بنا مركبات الفضاء ، اللقالق في الشمس والصبية الجائعون وراء التلال يلمون زرقة فخارها ، القارب الذهبي الدفين يغادر في الليل صندوقه الضخم يطفو عليها ، وفخارها زرقة قدستها النساء ، احتطبنا الجريد ، انتظرنا مع الريح والثلج والزهر اللهبي انتظرنا ، نفرتيتي في آخر الليل تأوي الى غرفتي الرطبة الحجرية في ثوبها الغسقي ، انحنت واحتوتني ، هممت بتقبيلها ، قهقهت وهي تختصّ أبصرت اسنانها الصفر تسقط : (خذني الى صدرك الرحب ، في الصبح يطفو على وجهي الملكي الصبا الابدي ، احتضنّي ··) وفي لمعة البرق أبصرت أثوابها الغسقية تنحل عن موميا ·

وقرّبتني امرأة العزيز ، والدمقس يشوي راحتيّ اندفقت افخاذها المليئة ، البغي في التاكسي ، انتشرنا كالصدى في هدأة الشوارع الشتوية ، الساعات دقت دقة فدقة في البرج ، (هل تسمح ان تعيرني لفافة ؟) واقتربت في خفر اشعث تعطي فمها الادرد : (اسمع ، ربما تعوزنا زجاجة اخرى ·· وفي الشقة اختي ، انها اكبر مني انما ليس كثيرا ، اعطني لفافة، منذ اسابيع تركت السجن ···) في الشوارع الشتوية الليل سرير ابيض ، النخيل في ظهيرة القش افتحي يا امرأة اليقطين فخذيك ، بكت طفولة الرعد الجنوبي ، ارتمى البرق على اقدامه زرقة فخار وحندقوقة ، يحتطب الجريد يلتفّ على الجذوع ، في رائحة الروث الشتاء الرطب في الخبز الذي يشوى على الروث ، وفي البار يدور الكوب بي مركبة ، اترك خيطا دائريا دمويا فوق فخذ الزمن الهاجع في كهوفه غزالة قطبية ، يدور بي كوكبنا الارضي خصر امرأة تفلت من ذاكرتي : منتصف الليل ، انتظرت ، الساحة الرحبة تخلو ، ليس غير الريح والتمثال ، ضوء غائم يشحب في المقهى الزجاجي ، أتت لاهثة : (خرجت توا دون ان اودّع البنات ، هل ننتظر الباص ؟ اظن الباص لن يأتي قريبا ، لم يعد يعجبني الكونياك ، كم اتعبني الوقوف خلف البار ·· قد تركتم المقهى مبكرين هذا اليوم ··) في غرفتها تبعثرت ملابس النوم على السرير والاريكة ، النبيذ في اكوابه ، معلّبات الامس في مكانها ، وصورة الزفاف في اطارها الفضي عند رأسها ، وفي الصباح عندما نهضت كانت قد مضت لاهثة تعاود الوقوف خلف البار وجها ملكيا ·· ايها الرعد الجنوبي ـ الفجر ، لقد اضعت الدور في أوج امتداد الصمت ، في توتر الخيط الذي يمتد بين

القاعة الرحبة والممثل الهائج ملء دوره : هل أنا دون كيخوت أم همات ؟ في توحدي أصغر من حثالة القش أكاليل ، الصـــدى الراكد في الحوائط الرطبة من أقلقه ؟ الـــدفء الجنوبي وراء النخـــل اونواح رأس السنة الجنائزي في كهوف الرقص ؟ عدنا فوقنا أشرطة الحفل ، انتزعنا الالـق الذاهل والاقنعة ، احتضنتها مرتعدا برغبتي ، تسـربت الـي عروقهـــا برودة آتية من مدن مطمورة ، في الابد الصخري تلتف على أعمدة الهياكل الريح ، تلوح امرأة واقفة تضيئها البروق وجها ملكيا ، عنـــدما انفلت منها اقتربت ضاحكة تلفني بساعديها الحجريين : (التقينا مرة في هـدأة الهياكل الرحبة ، في وجهك أبصرت انتظارا أبديا فانا آتية اليك ، خذني امرأة أطلقها اليك من تمثالها الصخري عشق قدري ٠٠) ايها الرعـــد الجنوبي انفجر ٠٠ وحدي يضيء البـــرق وجهي وانا اطلق في الحفـــل الجنائزي قهقهاتي ، انحدرت في السيل الذي يجرف في اندفاعه الديكـــور والاقنعة ٠ المهرجون عادة ينصرفون قبل ان يشتعل المســـرح بالرقص المغولي ، تمارا امرأة في البرج ،

على البحر تلقي بزائرها في القرارة في كل فجر ، لقد كنت آخـــر اسرى القبائل ، طوقتها دون ان ادخل الكهف ، لما تزل تأخذ الزينة الملكية، لما ازل واقفا قرب افخاذها ، البار ملآن كالعدة ، القيء في اوجه ، قـــل لراقصة البار هل ترتضي القروي عشيقا لخمس دقائق ؟ يطفو على الحائط الرطب جوربه الرث راية عصر يعلق في واجهـات مخازنه الحجر القمري ، انتظرنا على السلم امرأة قبلنا اصطحبوها الى الشقة ، النار في الغـــابة ، السرو يحنو على مرمر امرأة في الضواحي ، المحطة ملتفه بالصنوبر ، في آخر الليل تأوي الى عشيٍّ الحجـــري الكلاب الهزيله ، يأوي أبن آوى الهزيل ، الفنادق أقفلت الآن ابوابها ، الخدم الامراء المهازيل في نومهم يرقصون ، اخترقنا بغبرتنا جاذبية اطمارنا وانحدرنا الى مطعـم مثقـــل بالثريات ، طعم النبيذ الفرنسي في شعرها ، ايها اللقلق : الروث والكرب الرطب في النار ، تأتي الصبايا النحيفات : (في السيسبان القديم أبتنينا منازلنا الحجرية ، عبر السهوب انتشرنا نلم لنيراننا الروث ، يطفو بجنية الهور قاربها الذهبي ، احملينا الى قصرك الذهبي احملينا ولو مرة ، قيل : آباؤنا في مدائنك الخضر اسرى يكبلهم شعرك الذهبي ، احتطبنا حثـالة يقطينة فوق اكواخنا وانحدرنا الى النهر ، تطفو على الماء نيراننا ، ايهـــا النهر ، تطفو على الماء نيراننا ، ايها النهر الغسقي احتضن هذه النار ، في نومنا يحتوينا سرير من السمك الاخضر الذهبي ، انحدر فوقنا ايها الغرب

الشجني ، الجروف القديمة تحنو على بطها الابيض ٠٠) الشقر في فروهن يرابطن عند الفنادق يرقبن ابوابها الدائرية ، ترنو تمارا الى وجهها في مرايا المغاسل ، في ثوب خادمة في المطاعم تأتي الى السائح القروي بشمبانيا، كنت آخر اسرى القبائل في البرج ٠٠ اوقفتها عند باب المحطة ، يطفو على وجهها اللهب الغسقي ، انحدرنا مع السلم الهابط ، النخل يأوي الى غرفتي الآن ينشر اكفانه القمرية ، يأتي الينا عويل القطارات في باطن الارض ، بهو المحطة يخلو ومنتصف الليل يلتف كوم غبار يزاح بمكنسة ، في الضواحي انحدرنا الى كوخها الخشبي المؤجر ، طوقتها ، قهقهت وهي تلقي بتسريحة الشعر الاصطناعي فوق الاريكة ، في آخر الليل أبصرتها في مرايا المغاسل تنزع اسنانها الاصطناعية ، النخل يهجر غرفتي الآن يترك اكفانه القمرية قمصان نوم على مومياء ٠

وفي الشتاء البارد والطين واحزان الكلاب ، السهر الرخيص في المقهى الى منتصف الليل على الشاطى في الصيف ، لمن تؤجر الشاحبة الثقيلة الخطوة عريها ؟ انتظرت باصي الاخير في الساحة ، طالت وقفتي ، ايتها الاعمدة الآن يطيب رقصنا أنا وانت والريح الترابية ، في اسرّة الفنادق الرطبه يلتف بأطمار انتظارات الجواري الجامعيات ، انحدرنا عصبة من السكارى الوقحين ، اصطففت في وجه قهقهاتنا الابواب في حثالة الميدان ، في مقهى البرازيلية القهوة في الفنجان طعم امرأة تفلت من ذاكرتي ٠ المطار في الفجر ، الزجاج الرطب ، في فرائها تغالب النعاس في الصالة والقهوة في الفنجان ، قرب البحر في الصيف الجنوبي لها لون الصبايا الاستوائيات، في الشتاء عند البار تمتص ببطء امرأة فارغة البال النبيذ الحلو ، في الباص الى غرفتها تغمض عينيها على كتفي ، ابدأي ايتها الاعمدة الرقص ٠٠ انا وانت والريح الترابية في الساحة ، يأتي الخدم المتوجون ، أنصرف السادة والاكاسيا تترك عادة على موائد المطعم او تسقط من ايدي الجواري الجامعيات على سلالم الفندق ، يأتي مخبرو الجرائد المرتعشون في ثياب الحفل من احدى السفارات يعربدون كالمعتاد ، يأتي راقصا في نومه مصحح الصحيفة الهزيل ، تأتي المتسولات في اطمارهن الملكيات يغنين المقام ، انصرف السادة والاكاسيا تزاح بالمكانس ، الآن حوالي الساعة الثانية ، الخفاش في حجرته يواصل النزهة ، في حجرتها تمعن في وضع المساحيق وتختار قميص النوم ، تعطي فمها الادرد لون الورده البكر وتلتف ببطانية وترقب السلم ، يأتي راقصا في نومه مصحح الصحيفة الهزيل عبر الالق الطافح في المرمر والسيقان والطين الذي تنضح أسرّة الفنادق الرطبة ، عبر العشب في الغابة والاسفلت في الموقف ، في البرج تدق الساعة الثانية الآن ، تمارا انحدرت تلتفّ بالشرشف في اكتافها

اقرأ آثار الخيول التتريات ، ابدأي ايتها الاعمدة الرقص معي ٠٠ لقـــد اضعت الدور في حفل المقنعين ، ايها الرعد الجنوبي انفجـــر ٠ ٠ وحدي يضيء البرق وجهي وانا التفّ في أشرطة الحفل وبالوناته وفي يدي قبضة من حندقوق ، حينما ينصرف السادة في فرائهم وقبعاتهم وتبدأ الممثـلات في ازاحة الاحمر والازرق عن سيقانهن او وجوههن او يسترن عريهـــن والقاعة تخلو ٠٠ يبدأ الدور الذي اضاعه الممثلون ، ايها الرعد الجنوبـي انفجر ٠٠ وحدي يضيء البرق وجهي وانا أطلق قهقهاتي ، انحـدرت في السيل المغولي الذي يجرف في اندفاعه الديكور والاقنعة ، المهرجون عادة منهمكون الآن في وضع المساحيق على وجوههم في البرج ٠

طائر من يافا

محمد جميل شلش

الى شاعر الكلمة البندقية الى محمود درويش

رائحة البستان بعد المطر
وصوتك المبتل في صمت الليالى
بالندى والزهر
وكركرات الحمل الوادع في المنحدر
عبيرها يملأ صدري عبر عشرين عام
يحملني على جناح الغمام
يزرعني في عالم ما فيه غير الحب
غير السلام
يصوغني لحنا غريبا فى ضمير الوتر
يهيم بعد المطر
بصوتك المبتل في صمت الليالي
بالندى والزهر .

* * *

كتبت في مذكراتي قبل عشرين عام :
حبيبتي
إن حياتي ظلام

ان وجودي يا ملاكي عدم
ان الذرى لولاك ٠٠ من ألف عام
عادت كهوفا وبقايا رمم

* * *

كتبت في مذكراتي بعد عشرين عام
صوتك بالاعماق يا غاليتي
اشعل نار الشوق في قصائدي
غلغل حتى العظام
صوتك ام اغنية للسلام
تسري باعصابي واوتاري
تهز قيثاري
تحمل اشعاري
على جناح الحب
من يافا الى الصين
باسم الملايين
صوتك أم أشرعة سخرية لا تنام
تبحر بي عبر عباب الليل في المشرق
عبر المدي الازرق
تحملني من شهرزاد السلام
تحمل من انسان شعبي
عبر الشوق الى فيتنام
كتبت في مذكراتي قبل عشرين عام
وبعد عشرين عام
كتبت في دفاتري
كتبت فوق الماء
فوق الرمل
فوق الشجر الاخضر
فوق الرخام
عبرت بوابة مندلبوم
طيرا
عربيا
ظامئا ٠٠٠ مستهام
حملت في المنقار من ألف عام
غصنا نديا ٠٠ اخضرا للأنام

غنيت للعالم لحن السلام
قلت له : معذرة
قلت لكم : يا اصدقائي الكرام
يا صانعي فجر الهوى
ياحاملي نور ديوجينوس باسم البشر
باسم الملايين التي تؤمن ان القدر
سواعد .. تشق فوق الصخر درب النضال
سواعد تصنع حتى المحال
قلت لكم :
باسم الملايين التي تكدح من ألف عام
في ليل هذا العالم المستظام
معذرة ياسادتي
معذرة لو غص هذا النغم
المحروق بالنابالم
في اعماق هذا الوتر
معذرة اخرى
وباسم الامل الظافر في عيونكم
يا اصدقائي
سأغني رغم بوابة مندلبوم
لحن الظفر
وليبق باسم الحب في قلوبكم
لون الندى والزهر
يضمخ الالحان بعد المطر

محمد جميل شلش

وقائع
الجلسة الاولى
للابحاث والنقد

الشعر العربي الجديد

بين مصدره ومعطاه

الدكتور ميشال سليمان
من اتحاد الكتاب اللبنانيين

الشعر ، احد اشكال التعبير لدى الانسان • به بدأ جولته الاولى في توكيد ذاته بازاء المجهول ، وبه ايضا بدأ رحلته الكونية بحثا عما يجعله خالدا في عالم لا يدركه ذبول ، ولا أفول •

الانسان العربي في جاهلياته الاولى ، ادرك ذلك ، من خلال وعيه الساذج • وادرك فيما بعد ، ان حياته مرتبطة بمسار تطور تاريخي يحدده في بعض الاشكال والوجوه ، وان لم يدرك مناقضاته •

لقد كان الشعر لدى الانسان العربى ذاكرة تسجل وقائع واحداث بكلمات • ثم تطور فاصبح ملجأ يفزع اليه كلما اعتراه نازع من عثحتم ويعلق على جدرانه اسلحته ، وغار انتصاراته ، ومآسيه •

وبمقدار ما تطورت المدينة العربية النقالة ، قلت ، القبيلة ، كان الشعر العربي يكتسب خصائص جديدة ، تضفي عليه طابع قوة ، وطابع استمرار • وهكذا رأينا هذا الشعر ، وهو الذروة في تراثنا الادبي ، يتحول عبر العصور من شاهد لها ، الى عامل مسهم في تحول ما يتصل منها بواقعه ومستقبله • فتصبح الذاكرة تراثا ، ويصبح التراث تراكما كميا يفضي الى كيفيات ، وتتحول الكيفيات الى طاقات محركة لنشاط الناس ، فيما هم يصنعون تاريخهم بوعي منهم وبغير وعي •

ويصبح الشعر قصيدة ، قلت : عالم من اشياء، وكائنا، واحاسيس، وافكار ، على مثلها من معايير ومقاييس ، فيها من القديم ما يحمل في ثناياه القدرة على الاستمرار ، تنظم جميعا عقد لغة ، تضيق وتتسع حسب احجام الانسان صاحبها • ثم يكون الصراع بين الانسان وبين واقعه الذي يرغب عنه وهو يعيش فيه • ثم تكون المعجزة الشعرية عند حدود الانسان ، وحدود نضاله ، من خلال كون الشعر يسهم في النضال من اجل التحرر الفردي والاجتماعي ، بقدر ما يسهم الفن كعامل اساسي في دينامية التاريخ، اذ انه تارة يبشر بهذه الدينامية ، وتارة اخرى يكون احد اهم معطياتها • بهذا المعنى كانت القصيدة الجديدة في الشعر العربي الحديث • فمادورها؟

ان الواقع العربي يتطلب من القصيدة الجديدة هذه ان تمارس حقها في الثورة • ولن يتم ذلك الا عندما نستطيع نحن الشعراء ، اقناع الجماهير العربية ان الشعر ليس عبثا • وانه ليس بالعمل السهل ، وانه قبل كل شيء ، ضد النفاق بجميع اشكاله • ذلك لانه يصبح من ناحية اخرى مدعاة للضحك ، ان لم يقتحم هذا الشعر جميع الجبهات ، يخلع المزاليج القديمة الصدئة ، ويفتح للناس ابواب الحلم بتبديل واقعهم ، بغية تبديله بالتالي تبديلا فعليا •

ولكن ، كيف نستطيع التأكيد بان ما نسميه قصيدة لا يشكل متعة بحد ذاته ؟ وانما هو اداة • ثم كيف نستطيع لاسباب تتجاوز مجرد الاستخدام ، ان نجعل من هذه الاداة جوهر عمل خلاق ؟

ثم ، ما سبيلنا الى التأكيد بان تمرد المتنبي ، وحلمه بتضريب اعناق الملوك ، وحزن ابي العلاء الانوف ، ونبش رفاة نيرون على يد خليل مطران ، ونبي جبران ••• انما كانت جميعها ضرورية من التغرب، والشد بواقع في الغيب ، الى ان يصبح حقيقة في الوجود ؟

كل شيء لدى هؤلاء بدأ بالرفض والتمرد ، والثورة • وكان الشعر والقصيدة لديهم ، الاداة والعمل الخلاق على السواء ، يتوسلون بهما الى عرك لبنة جديدة لواقع جديد ، ليس لديهم منه سوى رسوم هياكل ، قوامها اللغة في تحفزها للعمل •

ان لغة الشعر الجديد اداة في غمرة العمل •

الشاعر الجديد ، هو عامل في حقل الكلمة قبل كل شيء • القصيدة عنده ليست تفكيرا فقط ، بل هي تفكير وسعي حول التفكير ! • انها عمل قوامة ثلاثة : رؤيا ، ورؤية ، وفعل جمالي •

– رؤريا ، كونية ، تتفاعل في محيطها جذور الماضي بمعطيات الحاضر، بابعاد المستقبل • ذلك لان القصيدة الجديدة هي الزمن ممتدا • هي المدة المخلوقة • وهي ابدية الانسان • الزمن يقربنا من الموت • الشعر هو اعدام للموت • لانه الحاجز الوحيد المواجه للنسيان ، وتدمير الذات •

القصيدة الجديدة اذن ، هي تحريك للزمن ، ودعوة للانسان لكي يعيش خلال تناقضاته • الكلمة الشعرية تبقى بعدما يكف كل عمل • انها عمل •

ـ رؤية مزودة بقدرة جديدة في تناول الرؤيا والاحاطة بها • وتكون بمثابة وعي متعاقب متحول من ماض مار بما استبطن ، الى حاضر يغتذي من واقعه ويرهص بتحول هذا الواقع لكي يشكل تجربة انسانية قادرة على تجاوز ذاتها ، وقطع قيودها التي تكبلها بما هو آني لكي تصبح تجربة اخرى ، وقتلا على حدود المستقبل •

ـ فعل جمالي ، متدرج في سياق لغة رؤيوية تلملم بذور الافكار التجريدية ، وتتيح لها مجالات التفتح في صور ورموز وانفعالات حسية ، على وجه من التجسيم والتجسيد داخل الفعل الذاتي ، الذي لا يكون سوى الموقف ، وداخل ردود الفعل الموضوعية التي بانعكاسها على الذات الفاعلة تشكل ما يسمى بالمعاناة •

وعندما نقرر ان الرؤيا هي احدى الخصائص الجديدة في الشعر العربي الجديد ، فنحن نعني بالضبط ان الشعر انما هو استجابة الى ضرورة حلم ، ضرورة انسانية ، بدون تلبيتها ، او السعي الى تلبيتها بموت الانسان في الانسان • وان اشد احلام الانسان ضرورة هو ان يحلم في عالم فعلي ، احلاما لحمتها وسداها محصل ثقافي ، وقدرة على الاحاطة والتمثل والتصميم والايصال ، لتصبح نبوءة علمية بمثابة حقيقة واقعة ، كما يقول لينين ، لا مجرد نبوءة عجائبية وخرافية •

ولكي يحلم الشاعر ، فهو بحاجة الى الاستقاء من معين سائر اللغات الاصطلاحية والانفعالية ، وذلك لكي يتيقن من ان حياته مرتبطة بعملية تطور تاريخي ، تحدده باشكال مختلفة ، ولكنها بالاشتراك فيما بينها ، تجعل منه كائنا محركا وخلاقا ، وحامل هم وجودي يتأكله بشكل دائم ، فيعتبر عنه بوسيلة الشعر •

الشعر اذن وسيلة تعبير • الشاعر العربي الجديد ينبغي ان يكون مدركا هذه الحقيقة بشكل او بآخر لكي يسهم في نشاط وطنه العام ، اسهامه في نشاط حيزه الخاص ، ولكي يتدرج بالتالي في نطاق عالم عصره التاريخي • وبما ان الشعر وسيلة تعبير تشكل عاملا فوقيا من عوامل الديناميكية التاريخية ، فان القصيدة الجديدة ، بصورة تعبر عن صورة اخرى ، وتطبع هذه القصيدة الجديدة بطابع التجاوز •

وعندما نقول بالرؤيا والرؤية الصادر عن علاقتهما الجدلية فعل جمالي في شعرنا الجديد ، فنحن نعني ايضا ان الشاعر يغترف من عالمه الخاص والعام مادته الاولية ، التي يصنع منها خمير قصيدته • هذا الخمير الذي لا يعدو ان يكون سوى الرغبة في تبديل واقع الانسان العربي في كل من مجتمعاته ، وبالتالي تبديل العالم المحيط به من قريب ومن بعيد ، يقينا

منه ان العالم قابل للتبدل • واهمية الرؤيا في اعتقادنا ، انها تجعل الشاعر منصهرا في الواقع ، لا بقطاع منه ممتاز ، يرصد ما يدور حولـه في عالـم الناس والاشياء ، ويجعله مدار حلمه ، وتخطيه ، ثم يقدمه بالكلمـة التي هي نتيجة هذه المواجهة والمجابهة •

ان شعرنا الجديد لا يأتي من سكون الليل على رنة وتر ذبيح في ضوء القمر ، ولا عن حالة نفسية خاصة تدور في شرنقة الذات • وانما هو الوتر والرنين والضوء والقمر والذات في حركة مستمرة ، وتفاعل جدلي ، يخلق الرنين ، ويخلق الايقاع ، ويكتشف القياس الذي لا يكون في ابعد معانيه سوى التحفز لانطلاقة جديدة •

يقول مایاكوفسكي : « الشاعر هو الانسان الذي يخلق القواعـد ويكتشف القياسات الشعرية » • وما دام الشاعر يخلق ويكتشف ، فهـو اذن مسؤول •

اذن ، الشعر الجديد مسؤولية • الشاعر العربي مسؤول عما هـو ، وعما يصير اليه • اذن ، هو مسؤول عما يقوم به تجاه الفن ، وتجاه الحياة • وعندما يحاول هذا الشاعر ، بواسطة الشعر ، ان يجعـل الانسـان اكثر مسؤولية ، وأعمق وعيا بمسؤوليته ، يكون بالضـرورة اكثر الناس مسؤولية • ومن هنا صعوبة تكوين الرؤية الجديدة لديه ، تلك التي تحول الواقع الاجتماعي الى تجربة انسانية •

فما هي اذن هذه الرؤية ؟

انها ، عندنا ، قدرة جديدة على تناول الرؤيا والاحاطة بها ، او قل : هي اللحظة الشعرية التي يبدو فيها الشعور بالوجود شعورا بيقظة الذات، ويقظة العالم في آن واحد • فكما ان تجربة الشاعر الجديد هي تعبير عـن تجربة جماعية اكثر تكثيفا ، وابعد اثرا ، كذلك اللحظة الشعرية المندرجة في اطار صورة ، عندما يعبر عنها بصورة اخرى ، اكثر تكثيفا ، واشد توترا، يصبح فيها الشعر خلقا للخلق ، ويصبح واقعا ومستقبلا ، ويشـكل في الوقت ذاته حاجزا ضد السكون ، ضد الانعزال ، ضد الموت •

الشعر الجديد انتصار دائم ، حتى في الهزائم ، تتملكه رغبة التقحم، وتمليه رجة الانفعال الموحية بانبعاث الحياة من الانقاض ، عبر حركة تصاعدية تشمل الجزئيات والكليات على السواء ، وتوحي دائما بالكشف الجديد • والشاعر الجديد ، عندما يعرض لحالة من حـالات اليأس ، والتفسخ ، والدمار ، والانهيار ، يكون قد انتصر على ما يعترضه من عقبات تحول دون براعة قدرته في اكمال الصورة ، العوالم • وقد لا يؤول الحدث، او الحالة في القصيدة الى انتصارها ، لكن الشاعر يكون بالمقابل قد اكـد انتصاره في مجال تقديم القصيدة ، الحالة ، او الحدث • فهـو العنصـر الفعال في عالم بنائه • يدخل هذا العالم المتناقض ، ومعه تناقضاته • ثـم

يعمل على تقديم صيغة تتفاعل فيها التناقضات جميعا ، على وجه قمين باحداث نتيجة • القصيدة الجديدة هي معطي التفاعل الجدلي بين هذه التناقضات، وبهذا فهي وثيقة الصلة بمغامرة الانسان في مدار الواقع والصيرورة •

يقول ماركس : « الفن اقصى درجة من المتعة يهبها الفنان لنفسه »• وبما ان الشعر قمة الفن ، فالشاعر ليس دودة حرير تغزل شرنقتها لتموت فيها • انه تجربة فريدة هي بذاتها محصل التجربة العامة ، التي بمقتضاها يتحول الحديد سيفا ، والسيف محراثا يضرب قلب الارض البكر ، ويفتق في ارحامها الخصب الهاجع •

ان الرؤية بانطباقها على الرؤيا ، تشكل فعل ميلاد للكلمات ، للمفردات التي تبتكر من عدم ، وانما يضفي عليها الشاعر الخلاق معنى جديدا، ويمدها بتيار جديد ، لتشكل بدورها ما اسميناه بالفعل الجمالي•

فالفعل الجمالي هذا ، وهو نقطة الدائرة من شعرنا العربي الجديد، انما هو اللغة الشعرية التي تشكل زهرة اللغة باطلاق ، ألقها الاسمى ، واعلى طبقة من صيحاتها الحادة ، المبلبلة ، الاخاذة ، القاندة والمحيية في وقت واحد • الساحرة وليست بالسحر ، بل هي جهد اعلى للفكر البشري، للغة انسانية البداية والصيرورة •

الشعر كان اول مغامرة للعقل ، وقد اصبح اليوم اقصاها •

انه لغة رؤياوية ، يجذب فيها السطر الشعري ، (العبارة الشعرية، الصورة الشعرية) ويتعدد ، ويتكيف بتكيفات الصوت الانساني (١)• انه لغة بطلت ان تكون سجينة قياس تقليدي يحد قدرتها وامكانياتها التعبيرية • فخرجت بالايقاع من نظامه القياسي المألوف ، الى اشكال تستند الى انقى ما في تراثنا من امكانيات ضخمة تتيح للشاعر التصرف بالتداخل الايقاعي ، على ان يبقي القصيدة مندرجة في طباق كلي بين الكلمات والانفعالات واشكال الموسيقى التي تشكل رمزا ، وصورة ، وصوتا ، تفعل فيها الكلمة فعل الرعشة ، والرجة ، والاغنية ، وما اليها •(٢)

فالكلمة والاغنية هما شيء واحد ، كما يقول لوركا ، صوت صارخ، او هامس ، يشق الجو ، ثم يتوقف ، ليفسح مجالا لصمت تعبيري في محدوديته • ثم يبتديء التنغيم والتوقيع ، الداخلي والخارجي على السواء، درجات يأخذ بعضها برقاب البعض كل واحدة منها تخلق قوة ما هو صحيح ، وتخلق دقته المباشرة دائما•وتجهد في اكتشاف بداهة التحولات، عن طريق تجريدها من اقنعتها ، وجعلها متاحة للتخيل الواعي • كل

---

(١) للدكتور عزالدين اسماعيل محاولة نقدية رائدة في هذا المجال كتابه « الشعر العربي المعاصر » •

(٢) الاستاذ احمد ابو سعد : « الشعر والشعراء في العراق » •

ذلك ، لكي تتمكن القصيدة الجديدة ، الثورية ، في تركيبها وصياغتها ، من احتضان الانسان ، واستبطانه والمجتمع من تطورهما الثوري ٠

ان حركة الواقع ، واقعنا العربي خاصة ، تأتينا كل يوم بموضوع جديد ٠ وهذا يعني ان مواضيع جديدة لم تجد لها بعد ، اشكالا تطلع بها٠ كما ان الاشكال المتعارف عليها ، قد تصلح او لا تصلح لهذه المواضيع ، المضامين ٠ ولهذا بات من الضروري خلق اوزان وايقاعات جديدة لشعرنا الجديد ٠ ذلك لان حركة الواقع العربي الراهن ، اصبحت من التباين في نطاق وحدتها ، بحيث بعدت كل البعد عن ان تكون على ما كانت عليه خلال مراحل سبقت ، فوجب خلق ايقاعات لها جديدة قادرة على استيعاب حركتها هذه ٠

اذن ، ثمة موضوع جديد ٠ وشكل جديد بالضرورة ٠ قلت مواضيع واشكال جديدة ٠ ومهمة الشاعر ان يخلق طرق تناول واستبطان جديدة، ان يقدم متعة جمالية ، ليجعلها ضرورة اجتماعية ، قلت : فعل ثوري تحولي ٠ ذلك لان القصيدة ، ككل اثر فني ، شكل ومحتوى في اتم انصهار ٠ ويخطيء الذين يقولون بان الشكل هو القصيدة ، هو الاثر الفني ٠ ذلك لانهم في مجال تحديدهم معنى القصيدة ، ومفهوم الشعر ، يسقطون من حسابهم دور المعرفة في العملية الشعرية ٠ اذ يحصل ان نرى قصيدة من كلمات غير منفصلة عما تعني ، ومن مضمون متصل بالكلمات ، ويكون المفاد صيغة تقريرية لا علاقة لها بالشعر الجديد ٠

الفعل الجمالي ، اذن ، في شعرنا الجديد ، رهين بنشاط الشاعر في عملية احداث هذا الفعل ٠ اما اداته فهي اللغة التي تشكل وسيلة انخطافه برغبة التجاوز ، والايصال ٠ لا شعر ، اذن ، بدون نشاط متمثل بخلق اشكال فنية ، هي صورة للاعمال المحققة والخارجة من التصور ، تصور المعرفة الخلاق ٠ ولهذا فان هدف الفن يكمن في اختراع الاشكال التي لا تعدو في هذه الحال ان تكون صيغة جديدة لمضمون جديد ٠

الشاعر هو انسان ناشط قبل كل شيء ٠ ونشاطه مرتبط بكل ما من شأنه تشكيل انسانيته ، وبكل ما يحدده اجتماعيا وثقافيا ، كما انه مرتبط بتجربته الوجودية ، وبحريته ، وبوعيه ايضا ٠ « فالوعي الانساني لا يعكس العالم الموضوعي وحسب ، بل يخلقه ايضا » ٠ (٣)

فما هي نوعية النشاط الشعري في القصيدة ، وما ماهية هذه « الرعشة » المنعشة ، الموقظة ، التي بدونها لا يكون الشعر شعرا ؟ ان الحالة التي تضعنا فيها هذه « الرعشة » ليست طويلة الامد بحد ذاتها ، ولكنها تترك فينا اعمق انطباع٠واذا ما بدلت شيئا ما ، فينا ، لمدة طويلة، فمعنى ذلك انها تركت فينا تعطشا الى تجددها ، او ايجاد مثيل لها ما

(٣) لينين ، الدفاتر الفلسفية ٠ المنشورات الاجتماعية ـ باريس ص ١٧٤ ٠

حاولت ان احدد مصادرها ، فاني اردها الى ثلاثة عوامل : اكتشـــاف ، وشعور فعال ، وتحول ٠

لكن الاكتشاف وحده لا يغنينا بفكرة واضحة حول اللحظة الماتعة ، برغم ان « الرعشة » الجمالية تستطيع ان تفتح مجال لحثنا العقلاني ٠

كما ان الشعور الفعال لا يكيف علاقتنا العاطفية المحسوسة بالاشياء، بمقتضى تلك اللحظة ، برغم ان « الرعشة » الجمالية تستطيع التأثير فيما بعد على سلوكنا العاطفي ٠

وهذا التحول لا يتعلق باي من مبادراتنا ، برغم ان « الرعشـــة » الجمالية تستطيع ان تحملنا على العمل الذي يكون الهدف الـــذي نرمي اليه ٠

ينبغي ، اذن ، القول بان « الرعشة » الجماليـة تكيـف علاقاتنـــا الشخصية بالوجود ، فهي دائما تقيم جسرا بين « الانا » و « النحن » (بين الذات الفردية والذات العامة) ٠ ولكي لا نشتط في الاشارة الى « صدور الوحي » الذي يمسك بالشاعر الخلاق ، ينبغي لنا ان نحاول فهم التأثير الغريب الذي تحدثه « الرعشة» الجمالية هذه ، لافي تفسير معنى الجميل وقدرته ، ذلك لاننا نعتقد بان طبيعة الانسان انما هي الثقافة ، وان الجمال انما هو وليد الفن ، لا مصدره ٠

الشاعر لا يخلق عوالم من اجل تحقيق فكرة للجمال موجودة سابقا٠ ان تجربة طاقاته الخلاقة هي التي تدير شعوره بالجمال ٠ ولعل « بودلير» كان اعمق من عبر عن هذه الظاهرة التي تشكل « الرعشة » الجماليـة ، حين قال :

« انتم ، يا هؤلاء ، كونوا شهداء على انني قمت بواجبي
مثل كيميائي بارع ، مثل روح قديسة
ذلك لانني من كل شيء استخلصت الجوهر » ٠

فاذا ما تركنا جانبا « الروح القديسة » ، واخذنا بتسمية الكيميائي البارع ، ادركنا ان الفن ، والشعر قمته ، ليســـ بنقـــل الطبيعة ، او بوصفها ، وهو ليس بعملية تجميل ، او تصعيد ، وانما هو عملية بناء جديد ، بواسطة عوامل من نتاج الواقع الفعلي ، مختارة لغاية بناء جديد غير مرئي ، وهي عوامل يضفي عليها الشاعر الخلاق الوانا ، وخطوطا ، ورنينا ، وايقاعا ، وديناميةً ، وصورا جديدة ٠

ان ادراك العلاقة بين هذه العوامل جميعا ، هو ما يشكل « الرعشة » الجمالية ، التي يجيء بها الشعر الجديد ، والشاعر الخلاق ٠ فنجتمع بعد تبعثر ، وننصهر بطراوة بكر اضعناها ٠ الا انها ضاعت فينا ، لا خارجنا فاصبحنا بحاجة الى وساطة هذه « الرعشة » لكي نستعيدها ، او نستعيد الشعور بها ٠

وانها لوساطة لا تمت باية صلة للوهم الصوفي المخدر . ذلك لانها هنا اشبه بكف انسانية ، تربت على الاكتاف . لقد اكتمل بها عمل في وعي فرد اخر ، سواى ، وانشق سبيل جديد في كثافة الواقع . ان تجربتي مسبت فردا اخر ، وانه لقادر على تبنيها .

ان « الرعشة » الجمالية ، برغم كل تأكيدات التفرد لدى كل منا ، تصر على الشهادة بامكانية التحول من « الانا » الى « النحن » ، من الذات الفردية الى الذات العامة ، وبهذا تشكل التجربة الفنية ، قلت : القصيدة الجديدة ، تجربة للاخوة الانسانية لا تقهر .

« الرعشة » الجمالية هنا تكون قد اكملت مهمتها الاخوية : تحرير الانسان من ثقله اليومي ، بدون ان تقتلعه من مهمته اليومية ، او ان تصرفه عنها . وتكون فعالية « الرعشة » بقدر طاقة الانسان على التلقي . لانها تتطلب ، اساسا ، التخلي عن الاحكام المسبقة ، وعن بعض الحواجز التي اقامها الانسان حول حدود ذاته . كما انها تحمل بالتالي على القبول بمغامرة لا مندوحة لنا عن القبول بها . والا ، انتفت عن الشاعر رغبة « القتال الدائم على حدود المستقبل » ، وانتفى لدى الجمهور مبدأ القبول بالجديد . « ان الاثر الفني يخلق جمهورا حساسا بالفن ، وقادرا على التمتع بالجمال . ان الانتاج لا ينتج فقط موضوعا من اجل الذات ، بل ينتج ذاتا من اجل الموضوع ايضا » (٤) .

لكي يخلق الفن ، جمهوره الحساس ، يحتاج الى وسيلة ، وليس له الا اللغة ، لا بوصفها غاية جمالية بذاتها ، بل من خلال وظيفتها الشعرية وخصائصها التي تسمح بتآلف عوامل من مثل العلاقات التي تقوم بين الحدث والصورة ، والرمز ، وعلاقتها المباشرة ، وغير المباشرة بالواقع ، دون ان تفقد طابعها التعبيري . ذلك انه بقدر ما تتلاشى العلاقة بالواقع ، يصبح الرمز مسيطرا ، ومهما ، وتصبح الوظيفة الشعرية في اللغة لعبة لفظية ، مصطنعة ، فردية ، وموغلة في الذاتية .

اللغة الجمالية هي الشكل الواعي للقصيدة الجديدة . هي اطارها ، وعوامل بنائها التي منها المفردات وتراكيبها ، ورنينها ، وايقاعاتها المندرجة جميعا في اطار رؤياوي .

اطار القصيدة الجديدة هو معناها الرمزى ، وعوامل بنائها هي مخططها الفكرى الواعي . الصور والرموز هي ، اذن ، منفصلة بشكل يسمح لها باقامة علاقة جدلية فيما بينها ، اى بمستوى من اللغة يقوم مقام الوسيط بين المحتوى واداة تعبيره . وينبغي الا يقوم في ذهننا من كلمة « محتوى » معناها الاصطلاحي فقط . لان الاثر الفني ، القصيدة الجديدة ،

---

(٤) كارل ماركس : حول الادب والفن ـ المطبعة الفرنسية ص١٨٢ .

لا تعرف محتوى ولا شكلا . فهي محتوى وشكل في وقت واحد ، يجرى في اللحظة التي يصاغ فيها بكلمات .

اذن الانسان : الكلمات ، اللغة ، الشعر . الكلمات ، اللغة ، الانسان : الشعر .

الشعر : الكلمات اللغة ، الشعر .

ان الحدود بينها جميعا تكاد تكون ملغاة .

الكلمة الاولى كانت ايماء ، اعقب بنبرة صوتية . النبرة الصوتية عنت شيئا في الذات دالا على موضوع . الذات في اقترابها من الموضوع ، وبعدها عن امتلاكه ، او التأثير عليه ،لجأت الى الصوت المتكرر بصيغ واشكال ونبرات . من هنا نشأ السحر . نشأت اللغة والرمز ، بوصفهما مجازات عديدة للواقع ، مهمتها تمثيل عنصر من الواقع بعنصر اخر ، من اجل السيطرة عليه .

ومن هنا ايضا الطابع الثورى للغة الشعرية . ان ترسم وكأنها تخلق . وان تعبر وكأنها تحمل الانسان على تجاوز المسافة التى تفصله عن واقعه الخارجى .

اللغة كائن تاريخي ، كما الانسان . وهي معرفة وحركة ضد السكون ، وضد الصوفية والوهم الذى ينتهي في مدار الصمت .

اللغة الشعرية الجديدة تقتحم ثورى ، يجعل من القصيدة وسيلة يتجاوز بها الشاعر ، الانسان ، ذاته ، وينطلق بها من مصادره الاولى عبر صيرورته . انها هنا اداة تحول فني في الذات . ان وعي الشاعر لخصائص اللغة هذه ، ويجعله يتحول من ذات الى طاقة محولة للموضوع ، ومندغمة فيه متمثلة ، واياه في عطاء ابداعي هو القصيدة الجديدة ، بخلاف ما كان يحصل في التجربة الفنية الرومنطقية ، التي تكون القصيدة فيها نتيجة الذات ، وهي شعور وعاطفة وتخيل .

ان كل ما هو رمز للواقع لا يشكل سوى مناسبة خلق لدى الذات، الشاعر الذى تكون التجربة الفنية عنده تجربة احساسية ، لا ذاتية وحسب ، بل ذاتية مركبة ، لانها هنا امتداد لذات لا ندركها في سياق حياتها العادية ، وندركها من خلال ذوبانها في ما ينكشف لنا منها في القصيدة .

اللغة الشعرية الجديدة ، اذن ، معاناة ، قلت : موقف في تجربة ، اي الخروج من حيز التصور العقلي ، الى حيز النشاط العملي . وهذا الخروج يستلزم بالضرورة ، مساواة ، وحرية ، وامكانية تتاح للناس ، وللشاعر ، للمساهمة بالتجربة الحياتية باطلاق ، مادام الشاعر والناس يرميان الى تخطي حياتهم ، وبناء مجتمع افضل .

اما ان توضع اللغة الشعرية في معيارها الجمالي المحض ، بتكريس

امتياز لها ، فذلك ليس سوى « موقف بدعة » يفضي بالشاعر الى احد امرين : اما الى معنى من البراءة الداخلية ، كما هي الحال عند بودلير ، ومن اقتفى أثره فيما بعد ، واما الى معنى اخر ، يرمي الى تصعيد جمالية القصيدة الى ضرب من تحول صوفي خدر ، معبر عن تجاوز مثالي داخلي ، وفردي ، تنتقل فيه الروح من هذا العالم الى عالم افضل • وخطأ الامرين هذين انهما يلقيان بالفن باطلاق ، وبالقصيدة بوجه خاص ، في حوض التصور الديني المحض ، اذ يسعيان الى « تبديل العالم » باقتراح حل « داخلي » باطني ، او وهمي ، منقطع عن العالم الخارجي وعن ظاهراته •

انهما يجعلان الشاعر صدى لذاته الفردية العاجزة عن استيعاب التجربة العامة ، لتكون صوتها وتمثلها الفني •

القصيدة الجديدة ايضا ، حل حدسي لمشكلة التجـــاوز ، واداة رؤياوية لكيفياته • ولكن ، ما هو هذا الحل الحدسي الشعري ، الذي طال الحديث عنه ، وجوله ، لدى العديد من الشعراء والنقاد الحديثين الغيارى على التجاوز ، والتخطي ، والمنادين بوجوب قيامهما فعلا ؟

اذا راجعنا دواوين الشعر الحديث ، رأينا ان قلة منها تثبت بين ايدينا مادة تحمل في غضونها مفهوم التجاوز بمعناه الثوري الفعلي • فهي قائمة على رؤيا وحدس بالفعل • الا انه حدس يكاد يكون منفصلا عن مفهوم الثورة ، الذي ينبغي ان يكون اساسا في كل مفهوم ، اوعمـــل يومي الى تجاوز حالة ، وتخطي حد ، وبلوغ حالات وحدود لها ما بعدها الى ما لا نهاية • اذن ، ما الحدس في معنى التجاوز ؟

انه فعل معرفة مباشرة ، يشكل اسهاما حيويا مباشرا متصـــلا بالوعي ، او يكون نتيجة عملية وعي مركبة • انه التقاء « الانا » عند الشاعر بالعالم ، في الحيز الجمالي • ومفاد هذا ان الحدث لدى الشاعر الجديد ، هو معرفة مباشرة ، تهضم تعقيد الحياة الواعية وغير الواعيـــة ، والتوتر القائم بين « الانا » والعالم ، بين الذات والموضوع ، لتشكل بالنسبة لوحدة العالم الميتافيزيكية ، اطار معرفة غير مطلقة ، بل محدودة ونسبية (٥) •

ولهذا فان الحدس لدى الشاعر الحديث ليس فعلا نفسيا مباشرا ، وانما هو نتاج كل تاريخ النشاط الفني الذى من تأثيره تطهير عالمنا بغية جعله شيئا جديرا بالتأمل • انه يمتص باستمرار العناصر المثيرة في الواقع لكي يعكسها في عطاء الشاعر • الانسان يرغب في الهروب من عالمه الذى يعيش فيه ، وهذا العالم يتطلب ردة فعل من هذا الانسان • فهو يدفعه الى ضروب من النشاط متباينة • والشاعر هو أول من يقوم

---

(٦) انطونيو بونفي : فلسفة الفن ـ روما ١٩٦٢ •

بردة الفعل هذه ، فيعمل على خلق عالم فني شبيه بالملجأ الذى تلغى فيه ضرورة الحياة بالتأمل ، ويفقد فيه الواقع محتواه الذرائعي ، ويتمثل بشكله الخالص من الشوائب • والحدس الفني هنا انما هو النتيجة الاخيرة لهذا الجهد الخلاق لدى الشاعر •

ولهذا نجد الحدس الشعرى يتأتى عبر سلسلة من الرؤى المتلاحقة ، التي تنتظم في النهاية مجمل اجزاء القصيدة ، في وحدة متناسقة ، يصبح فيها الحدس ذاته حالة من التوازن الرفيع ، نتيجة توتر وتفاعل داخلي يشكل قاعدة نشاط الشاعر ، ومحاور حركاته وتحولاته العامة •

ورب قائل ، بعد ، كيف تستطيع القصيدة العربية الجديدة ان تخلق جمهورها « القادر على التمتع بالجمال » على حد تعبير ماركس ؟

القصيدة العربية الجديدة تعجز في الوقت الراهن عن خلق جمهورها الواسع • ذلك ان الامة مازالت مسيطرة على قطاعات جماهيرية جد واسعة في الوطن العربي ، اذن القضية اجتماعية ايضا ، بحيث ان شعرنا الجديد ، سيظل خلال مدة طويلة عائشا على مستويين من الفهم • الاول : مباشر ، مقارب الخطأ والشطط احيانا ، والثاني يشكل على المدى الطويل ، مبدأ التجاوز الاساسى لهذا الواقع التردى ، عن طريق تفجيره بعوامل جديدة من بينها الفعل الجمالي ، الفعل الثورى الذى يحدثه الشعر الجديد في الناس ، وبناء نظام جديد ، يعرف لغة الشعر وشروطه الخاصة ، ويتضمن عوامل نموه اللامحدود •

... لكن الشعر لا بواكي له

نقد الدكتور عبد القادر القط

حين تجتمع صفوة من شعراء الوطن العربي في « مهرجان » شعري يقام كل عام ، في مكان ارتبط في الاذهان بأمجاد الشعر العربي وامتداد تراثه على مر العصور ، يتوقع المرء ان يسمع انغاما متميزة وتجارب شعرية جديدة واضافات الى مفهوم الشعر العربي الحديث ، وصورة للمجتمع العربي في جوانبه المختلفة وحياته بخيرها وشرها وحلوها ومرها .

لكني حين جلست استمع بالامس الى شعرائنا المرموقين واحدا بعد اخر احسست اني لا اشهد « مهرجانا » شعريا ، بل مناحة تقليدية من تلك المناحات التي اصبح يطيب لنا ان نقيمها من حين الى حين لنلطم الخدود ونشق الجيوب ونمارس عقدة « تعذيب الذات » التي يبدو اننا اصبنا بها جميعا .

ولقد راجعت ما انشد في مهرجان المربد في العام الماضى فوجدنه يدور في الحلقة المفرغة نفسها ، وقرأت ما انشد شعراؤنا من قصائد في مهرجان الشعر في دمشق والاحتفال بذكرى ابي تمام بالموصل فاذا بها لا تكاد تخرج

عن ذلك الفلك • هزيمة حزيران ، مأساة الارض المحتلة ، جيل الضياع ، الامل في المستقبل او اليأس منه • ولا شك ان كل عربي يحس بمرارة الهزيمة ويعيش مأساة الارض المحتلة ويشعر بقدر اقل أو اكثر من الضياع والحيرة وترقب المستقبل ، ولا شك ان من حق شعرائنا ، بل من واجبهم ، ان يعبروا عن هذه المشاعر وان يستنهضوا الهمم وينبهوا الى المخاطر المحدقة بالامة العربية • لكن مما فيه شك ان تصبح هزيمة حزيران محورا لاغلب ما يقولون من شعر كلما جمعهم محفل من المحافل •

فهزيمة حزيران ليست هزيمة عسكرية فحسب ، ولكنها في المقام الاول هزيمة حضارية • هزيمة تمثل تخلف المجتمع العربي بأميته المتفشية وفقره ومرضه وما يثقل كاهله من اعباء ماض مفعم بالكوارث في ظل الوان متعددة من الاستعمار والتسلط •

والشاعر الذى لا يرى في ذلك المجتمع الا هزيمة حزيران يغمض عينيه عن مشاهد من حياة الانسان العربي في ممارسته لحياته اليومية يمكن ان تكون منبعا لتجارب شعرية فيها من التنوع والصدق والاصالة ما يكسر هذه الدائرة المغلقة التى لا ينفك شعراؤنا يدورون فيها ، مرددين الصور والاخيلة نفسها ، التي طالما رددوها من قبل ، غير متميزين الا من حيث الاطار القديم او الجديد ، وهو تميز اصبح هو الاخر قضية قديمة مستهلكة •

كم من النماذج البشرية في المجتمع العربي تقع عليها عين الشاعر كل يوم ، وكم من الاحداث والوقائع ، وكم من المشكلات الاجتماعية والاخلاقية والفكرية والاقتصادية تتخلل بناء المجتمع العربي او تطفو على قمته من حين الى حين •

ومع ذلك فان شعراءنا يلخصون ذلك كله في هزيمة حزيران !

ان غاية الشعر ــ حتى الشعر الثوري ــ لا يمكن ان تقتصر على الالتفات الى تلك القضايا وحدها ، فمن غاية الشعر ان يمثل الحياة بجوانبها المختلفة وان يقبل عليها ويتأملها ويفلسفها ويعيش اعماقها وتكون للشاعر من وراء ذلك رؤيته الخاصة واهتمامه الذى يلائم موهبته وتكوينه الفكرى والوجدانى • ومن غاية الشعر الثورى ــ الى جانب النقد الواعي لمظاهر التخلف والفساد والانحراف ــ ان يلتفت ــ بعض شعرائه على الاقل ــ الى ما في الحياة من مظاهر الجمال والخير والى ما يبث في النفس حب الاقبال على الحياة الحرة الكريمة والاستمتاع بها في اطار من المثل والاخلاق والصلات الانسانية النبيلة • ولا اريد بذلك نزعة مثالية خيالية تزيف الواقع او تتجاهل ما فيه من مشكلات ، بل اريد ان يكون شعرنا ــ في جملته ــ صورة صادقة لحياتنا بخيرها وشرها وقنوطها واملها، والا يضحي الشاعر برؤيته الخاصة ويتنكر لطبيعة موهبته في سبيل ان يكون في زمرة الملتزمين • فان للالتزام معنى اوسع من تلك الصورة السياسية الضيقة ،

وكل ادب يعيد بناء النفس العربية والفكر العربي ابتداء من الفرد الى الخلية الاجتماعية الصغيرة الى المجتمع الاكبر ، أدب ملتزم يسهم في تقدم الوطن العربي ويعينه على الخروج من محنته • اما ان يبلغ بنا الشعور بالمرارة والاحساس بوطأة الهزيمة ، ان ندين جيلا كاملا من الشباب والكهول والشيوخ ونحكم عليهم بالاعدام ولا نرى لنا مخرجا الا في جيل جديد من الاطفال ، فظلم الحياة نفسها لذلك الجيل الجديد الذي حمل عبء مواجهة غير متكافئة بين مستويين متباينين من الحضارة •

لا أقول ذلك تبرئة لما ارتكبنا من اخطاء ، ولا تجاهلا لما في مجتمعاتنا من فساد وانحراف لكني ابغي ان تتكامل اجزاء الصورة • فان يكن في المجتمع العربي كثيرون باعوا ضمائرهم للسلطان والجاه والمال ، ان فيه مع ذلك طيبين واخيار مازالوا يؤمنون بقيم اغلى لديهم من السلطان والجاه والمال • وان فيه عاملين شرفاء يؤمنون بالحياة ويؤمنون بالوطن ويمارسون الحياة ـ على ضنكها ـ بوحي من هذا الايمان بالحياة والوطن •

واذا كانت غاية الشعر الثورى السياسى ان يخلق عند المواطن العربي وعيا سياسيا واجتماعيا يعينه على تحقيق حياة مادية وروحية كريمة ، فان تحقيق مثل هذه الحياة لا يكون بالايحاء المستمر الى ذلك المواطن بما يفقده الثقة في نفسه ويزهده في الحياة نفسها •

ومرة اخرى اقرر اني لا اهدف بذلك الى تفاؤل سطحي ، لكني اود ان نتجنب السوداوية المسرفة من ناحية ، وان نفهم من ناحية اخرى وضعنا الحالى في صورته الحضارية الصحيحة التى لن تتغير كثيرا بانتصارنا واستردادنا لارضنا السلبية ، الا اذا تغيرت نفس الانسان العربي وبناء المجتمع العربي ، تغيرا يتيح للانسان الحرية والطمأنينة والعمل والثقافة ويربطه بركب الانسانية في المجتمع الحديث • وبغير ذلك سنظل مهزومين حتى بعد انتصارنا •

فهل حقق شعر المهرجان شيئا من هذا التصور الكلي للمجتمع العربي ؟ هل قدم شاعر من شعرائنا نموذجا لانسان عربي في ممارسته الحياة وفي يأسه او طموحه ، هل رسم صورة شعرية لقطاع من المجتمع في قرية أو مدينة او مصنع او حقل ، هل اثار احدهم قضية فكرية او اخلاقية او فنية ؟ هل طلع علينا احدهم بتجربة فنية جديدة تكسر هذا الاطار الذى يدور فيه الشعر الحرمنذ خمسة وعشرين عاما ، محافظا على انماطه ولغته الشعرية وصوره ؟ ايمكن ان يكون قصارى ما يظفر به المستمع في مهرجان شعرى يضم نخبة ممتازة من شعرائنا ، جملة من القصائد في معان مكررة لاخلا ف بينها الا في ترددها بين الصخب المجلجل او النثرية المسرفة ؟

حقا ان في بعضها ومضات شعرية جميلة لان قائليها شعراء كبار موهوبين نعتز بهم وبما قدموا للشعر العربي الحديث من عطاء • لكن هذه التجربة الواحدة المفروضة تغل مواهبهم وتحد من مجال ابداعهم وتفضي بهم بالضرورة الى التكرار والتشابه • لا شك انه من الطبيعي والضروري ان تكون في المهرجان اصوات تعبر عن مرارة الهزيمة والشعور بالضياع ، لكن من الطبيعي والضروري ايضا حين تلتقي صفوة من الشعراء ونقاد الشعر ومحبيه ان يظفر الشعر وقضاياه ببعض العناية • وقد كان جميلا من الهيئة العليا لمهرجان المربد الشعري ان تصدر كتيبا عن الشعر العربي منذ مطلع ١٩٧١ الى اذار ١٩٧٢ ــ ترصد فيه ما صدر في تلك الفترة من دواوين • والاجمل من ذلك ان يكون في نشاط هذا المهرجان ما يعين وزارة الاعلام على ان تقدم للقراء تجارب شعرية جديدة ودراسات جديدة حول مفهوم الشعر وقضاياه • لكن ذلك وللاسف لا يكاد يكون له وجود في برنامج المهرجان •

لقد كثر الباكون حول هزيمة حزيران ، لكن الشعر لا بواكي له !

الأمسية الشعرية الأولى

الدكتور سهيل ادريس

قصيدة (سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا) تشهد ميلاد محمود درويش جديد ، بكل ما في كلمتي (ميلاد) و (جديد) من معان وابعاد • ومن غير ما حاجة الى دراسة تطور شعر محمود ، فانه في هذه القصيدة يخرج من بعد (شاعر المقاومة) الى بعد (الشاعر الشمولي) الى بعد (الشاعر) باداة الاستغراق •

انه هنا عين الشاعر الانسان تراقب (الفلسطيني الانسان) الجالس في مقهى اميركي بعد ارتكاب القتل ، يجبل تاريخه وتاريخ شعبه بالقهوة التي يشربها ، فيتدفق وراء عينيه شلال من الذكريات والصور والاحداث والعواطف ، من القمع في مرج بن عامر ، الى القيود والسجون والتعذيب ، ثم يرى يديه القاتلتين المقدستين ، يحبهما ، يناجيهما ، وهما في الاغلال ، ولكنه مع ذلك يقيس السماء بهذه الاغلال ، ويفكر بالغزاة اليهود والطغاة العرب ، فلا يفرق بينهم في ميزان المأساة التي يعيشها شعبه ، ويرتد الى الماضي ثم ينتقل الى الحاضر ويدور بينهما تائها ، ولكنه لا ينسى انه (قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها وعن جثة نسيتها) وهناك يعيشون

المهرجانات والتوصيات ، فلا يجد هو الا ان يتقيأ ·· ويقوم الحوار بين عقله وقلبه ، وما القدس الا ·· وما القدس الا ··· فيصرخ او يصمت مجيبا ·· ولكنها وطني ، ويردد له عقله الكلمات السمينة الطبلية الرنانة، شكا بقومه وبحكامه : حربك حربان يا سرحان ·· ومع ذلك تبقى هاتان اليدان · وحين يعاد عليه السؤال : قتلت ، تهرب ذاكرة من ملف الجريمة، تهرب تأخذ منقار طائر ، وتزرع قطرة دم بمرج بن عامر ·

مترعة بالرموز هي هذه القصيدة ، وبالدروس دون وعظ ، وبالعبر ايحاء · ولئن كانت جديدة في التقييم الكلي لمحمود درويش ، فانها تحتفظ من القديم بالتفاؤل والامل والايمان بهذا الشعب الذي يبقى له ، رغم كل شيء ، من يمثله في ضمير الله والعالم مثل سرحان ·

واذا كانت مأساة هذا الشعب ان طموحه يتجاوز طاقاته ، فان شعلة هذا الطموح لابد يوما من ان تكهرب هذه الطاقات بحيث يتم الاتحاد والانصهار في درب الانتصار · والجديد الجديد كذلك هو في هذه البنائية التركيبية الرائعة التي يختلط فيها ، ضمن سمفونية عجيبة ، الهمس والصراخ والهدوء والصخب والاستسلام والثورة ، والحوار والمونولوج الداخلي ، كما يمتزج التاريخ بالجغرافيا ، بعلم النفس وعلم الاجتماع ، عبر نقطة واحدة من دم الفلسطيني العربي الانسان ·

* * *

أما نزار قباني ، فكان قد تجدد حتما بعد هزيمة ٦٧ · وكانت لهذا التجدد بذور كامنة في قصائد سابقة تحمل التمرد والغضب والنقد العنيف · وقد لايكون نزار قد سجل شوطا آخر في التجديد في قصائده الثلاث التي سمعناها بالامس · بل يمكن القول انها استمرار وامتداد للخط الذي بدأه في (هوامش على دفتر النكسة) ، ان في كثير من معاني (الخطاب) تكرارا لما حملته تلك القصيدة الغاضبة الاولى · ولكن هل نفد القول في الهزيمة ، ونحن ما نزال نعيش اسبابها في كل صعيد ؟ السنا نعيش الارهاب والقمع والمخابرات والملاحقات ، والتخاذل والاستسلام والخيانة ؟ الا يحمل لنا كل يوم دليلا جديدا على اننا نستحق هزيمة جديدة ؟

ومع ذلك فلعلك مدعو يانزار الى ان تولي الحكومات والحكام ظهرك، وان تولى وجهك شطر الشعب الذي يستطيع وحده ان يبلغنا الخلاص · ان الاهتمام بشؤون الناس يحتمل شيئا آخر غير صب جام الغضب على مستغليهم من الحكام ·

يبقى اننا استمعنا امس مرة اخرى الى صوت نزار المغرد ، الى عالم كامل من الصور النزارية والقاموس النزاري في العشق والشهوة والمرأة ، بالاضافة الى العنجهية النزارية والنرجسية النزارية والطفولة النزارية ... وذلك كله مما لايقع في التقييم الفني للاثر الادبي ، بل هو واقع حتما في منطقة القلب والحس أما ان تحبه او لاتحبه .. وانا من الذين يحبون في هذا الشاعر النرجسية الطفولية او الطفولة النرجسية .

* * *

وهذا سعدي يوسف يعبر مع قصيدة (عبور الوادي الكبير) مرحلة أخرى من تطوره الشعري مضمونا وبناء ، فيبتعد عن النخل الذي ظل طويلا يرف في ضميره وخياله وهو يقيم او يقترب ، يبتعد عنه مع الفارس الذي يجول في الارض ، ارضنا المشتراة والمباعة ، ولكنه يجد كل المنازل مغلقة (فامام الوجوه الشريدة لايفتح الناس ابوابهم) ومع ذلك ، فلا تكتئب ايها الفارس : فالحوافر فيها الشرار وهذا السبيل الحجار . ماض يجور بامجاده في برشلونة وقرطبة والوادي الكبير . ولكن الفارس يطلق صيحته ان قميصه لكل المشترين يباع وكذلك سيفه وعينا جواده .. فهل يخسر بذلك سوى عبء اغلالنا ؟

وما ابلغه رمزا يدل على العجز وسراب المجد واكاذيب الحاضر المتنكر للماضي ان يعلق فوق جدران قاعاتنا غمد السيف وعينا الجواد الجميل . ما ابلغه رمزا وما آلمه اذن اتركوني وحيدا ، دعوني أقل ما اشاء ، دعوني أمت او اعش نجمة ... وهكذا يصبح فارسنا ذكرى وصورة وصوت ضمير يغفو على ذل الهزيمة .

لقد كنت وما زلت اعتقد ان سعدي يوسف يملك طاقة ايحائية في شعره الشفاف لا ينافسه فيها شاعر عربي اخر . وهذا هو السر في ان قصيدته تبدأ في نفسك بعد ان تنتهي ، وتظل تعمل طويلا وعميقا .

اطلي علينا وحدة ، طيف وحدة بريقا ، سرابا ، كيفما شئتفاقدمي
وهبتك عمريوماوهبتسوى الظما اليكانا الحاديالقتيل اناالظمى

هذا الصوت صوت سليمان العيسى الذي هدهد جيل الخمسينيات ، وحدا ركب الانطلاقات الاولى للنضال العربي ، وسجن وشرد واضطهد ، سليمان العيسى مع نفر قليلين غيره وحده يحق له ان يتألم ويشكو ويبأس اذا كان له ان ييأس ، ولكنه مع ذلك يبقى هذا الصوت المناضل الذي يدعو الى الوحدة ويغنيها ، ويرتد الى الاطفال ليبث فيهم روحا لم يعرف جيلنا ان يبقيها مشتعلة في النفوس لما لحق بهذه النفوس من الاوشاب والادران . ان الثورة الحقيقية رؤية سليمان العيسى تحتاج الى نفوس الاطفال البريئة الصافية . فليحمل اطفالنا من جديد صوت الله والثورة . وليكن من رسالة

حاضني الكلمة الصادقة ان يمجدوا اولئك الذين يستشهدون من أجل الوحدة والنصر •

بكل قتيل في الطريق اله اضحى طريق النصر نصرى المحتم

فتحية الى هذا الشاعر المناضل الذي يفتقر ادبنا الى اصوات كثيرة مثل صوته الصادق المخلص •

« ملاحظات على تاريخ الله والوطن » لعبد الامير معلة •

هذه رؤية تربط بين التاريخ والواقع ، بين وجه الله ووجه الانسان العربي الدامي ، بين القدر الذي نشر اسم ذلك العربي عبر المشرق والمغرب يخفق مثل الريح وينبجس من بطن الصحراء ماء وظلا •

كان الله اذن صحفا يقرأها البدو فيغدون •
وطنا يتقلد ناصية الماء
كان اذن عربيا يغمر وجه الصحراء
كان الله اذن حد السيف وكان
حجرا يقصف عنك حدود الظلماء

ثم حلت مأساة هذا العربي ، فضلت صحراؤه بين البحر وبين غبار الموت ، وضاع هو في هذا التيه الذي لن ينقذه منه الا صوار من دمنا الذي يلد الاموات ، فيعود وجه الله من جديد ، ويقترب الرب : بين عمود الليل وبين القلب ــ ينتشر العشب •

في هذه القصيدة يتخلص عبدالامير معلة من تعقيد مكثف يحجب في كثير من الشعر الحديث شفافية الكلمة وايحائيتها ، كما نراه يحفظ على الشعر ايقاعيته ، ويملأ مفاصل المعاني بصورة جديدة لم يبتذلها الاستعمال ولعل اهم من ذلك كله ، على صعيد المضمون ، ان القصيدة مخضلة بندى تفاؤلية اصبح كثير من شعرائنا يتوفرون على اغتيالها من غير وعي الرسالة الحرف ولا تساؤل عن مهمتهم في تجاوز الهزيمة وشحن الروح العربية بطاقة نضالية جديدة هي وحدها الخلاص •

* * *

سمعنا لمليكة العاصمي ثلاث قصائد تنبىء بمولد شاعرة جديدة (بالنسبة الينا على الاقل ، فنحن مع الاسف لم نقرأ لها من قبل) ، شاعرة ذات صوت ، وان كان لم يستكمل بعد جميع اوتاره • ورنة الحزن هي التي تميز هذا الصوت ، فحس المأساة والفجيعة فيه حس عميق ، على الرغم من غموض بواحث الاسى والتفجع • وقد لاحظنا في قصيدة (الفرحة خارج القلب) مشابه من حزن الشاعرة نازك الملائكة في كثير من قصائدها المهداة الى الحزن • ولكن هذا لايغير اذا عرفت مليكة العاصمي ان تحتفظ بتفرد لهجتها • يبقى ان المعاني في كل قصيدة غير مشدودة غالبا الى بعضها بوحدة الموضوع أي

انها تفتقر الى البؤرة التي منها تنطلق وفيها تصب ، كما ان البناء يحتاج الى لبنات تدعم مفاصله بحيث ينتفي عنه هذا التراخي الذي نكاد نعزوه الى طبيعة الموضوع المطروح (الحزن) ، ولكن التدقيق في البنية يرده الى هشاشة في الحجارة المرصوفة .

ولعل الشاعرة التي تحيتها هنا ان تعمل على تجنب بعض الاخطاء اللغوية في مثل قولها :

حزت مأساة الاعوام العشر اياديهم ، فقأت اعينهم .

وصحيحها طبعا (الاعوام العشرة) فاذا قيل ان البيت ينكسر ، قلنا انه يتصلح بتعديل يسير :

حزت مأساة الاعوام العشرة ايديهم ، فقأت اعينهم .

كما ان قولها :

لما مات ابي كان لزاما ان استدعي لولائم الحزن .

هو غير مستقيم ، ويستقيم بحذف أداة التعريف من الحزن فيصبح :

لما مات ابي كان لزاما ان استدعي لولائم حزن .

« مقاطع حزينة في مهرجان المربد » للشاعر الجزائري محمد بلقاسم خمار .

النيات طيبة في هذه القصيدة . ولكن اذا كانت الاعمال بالنيات فليس الشعر كذلك .. وهذه القصيدة تقف عند عتبة الشعر لا تتجاوزها لتطرق بابه . فهي في المعاني تكرار مبتذل لا جدة فيه ، وهي في الشكل بناء متهافت بينه وبين القصيدة العربية المتطورة اشواط طويلات .. والمعذرة من الشاعر الذي نكن للجزائر وللشعب الجزائري الذي ينتسب اليه والى ثورته العظيمة الظافرة .

* * *

مقاطع لميعة عباس عمارة ذات نكهة .. لذيذة ، وهذا ما يتناسب مع النفس القصير فيها . انها تريح الاعصاب المتعبة ... تبعث على الحلم حينا، وعلى التفكير اليسير حينا آخر ، الى اناقة في العبارة ورشاقة في الكلمات . نفسدها بان نطلب منها اكثر من ذلك .

تبدأ قصيدة محمد جميل شلش « طائر من يافا » بداءة جيدة في استيحاء بساتين يافا بزهرها ونداها.وتجتذب لهجتها الحنونة وتستهوي، ولكنها ما تلبث ان تتخلى عن الصور والرموز الى المباشرة والشعارية . وحبذا لو توفر الشاعر على مقاطعها الاخيرة كما توفر على المقطعين الاولين .

وبعد ، فقد اغفلت في هذه الكلمة التقييمية ثلاثة شعراء اولهم الاستاذ الشاعر الجعفري لاننا لم نحصل على قصيدته التي القاها ارتجالا، وشاعران آخران لم يقدما قصيدتيهما ، استعلاء على النقد ، سامحهما الشعر والنقد .

الامسية الشعرية الاولى

الدكتور ابو العيد دودو

اشكر اللجنة العليا لمهرجان المربد الشعري على اختيـــارها لي بأن أكون من نقاد احدى جلساتها · والواقع انها قد جعلتني بذلك في موقف حرج فممارستي لنقد بعض الكتب والمقالات والقصائد لاتسمح لي بان اخلع على نفسي هذه الصفة التي يتمتع بها زميلاي في الجلسة بجدارة · ومـــع ذلك اسمح لنفسي بابداء بعض الملاحظات العامة حول القصائد التي القيت في جلسة أمس الشعرية ·

كان اول صوت ارتفع في الجلسة هو صوت الشاعر سليمان العيسى· وسليمان العيسى في قصائده الثلاث يسير في نفس الخط الذي اختطه لنفسه قبل سنوات طويلة · والقصيدة الاولى تصف المرحلة التي وصل اليهـا او بالاحرى تظهر نتيجة تجربته الشعرية الطـــويلة · وهي اليأس · اليأس الذي جعله يتمنى لو انه كان له ذلك الامل الاعمى كما يتصوره البســطاء ويؤمنون به وفي هذه القصيدة اعلان عن تحول الشاعر · او بعبارة أقرب الى الواقع اعلان عن هروب الشاعر الى عالم الاطفال الذين ينسجون املـه الجديد في الوحدة التي كرس نفسه للمناداة بها · أما القصيدة الثانيـــة فهي تجسيد لهذا الامل · وفي القصيدة الثالثة يعود سليمان العيسي ليعلن

من جديد تشبثه بالوحدة بأي شكل كانت. والقصائد الثلاث مليئة بالصور الوطنية والمشاعر القومية وصياغتها تقليدية تمتاز بالحدة والحداثة .

ويوسف الخطيب في قصيدته الله في « غزة » يستعمل النفس الملحمي والعنصر القصصي اللذين عرفناهما في شعر محمود درويش، ولكنه يستخدم هنا رؤيا جديدة شكلا ومضمونا . فهناك تجسيد لله وبكل ما هو تقدمي في التراث العربي . ان يوسف الخطيب يقدم لنا الله كما تتصوره جماهيرنا العربية المؤمنة . فالله يجول بين الخرائب والانقاض ليواسي الجرحى والثكالى في غزة الصامدة المناضلة التي تبدو كمنارة يحط الشاعر عند رحالها ليحترق في لهيبها .

قصائد الشاعرة ملكة العاصمي تستمد موضوعها من الوحدة التي تعيشها فتاة عصرنا . فهي تتخذ الغربة منطلقا لمشاعرها فتصور لهفتها بعبارات وكلمات شفافة ، والفراق الذي يتخطف حبيبها يزيد من حدة الوحدة التي تحس بها فتتحول الى موقف درامي يجسد آلام الغياب غياب الحبيب وسفره . وتمتاز هذه القصيدة بالصدق والصراحة والعفوية وبساطة التعبير مما يترك في النفس اثر احساسها بلوعة الفراق .

أما قصائد الشاعرة لميعة عباس عمارة ، وهي قصائد قصيرة ، فان الشاعرة تستعمل في مقطوعاتها عبارات منمنمة فيها كثير من الرقة والعذوبة والالتفاتات الذكية ، وفيها الدك والتحدي للرجل المعتمد بقدرته على النصب والاصطياد .

وفي قصيدة الشاعر صالح الجعفري صور حديثة رغم احتفاظ الشاعر بالشكل العمودي . وفيها ايضا اكتشاف لبعض الجوانب التي يمكن تطويرها في التراث العربي وتبدو ذلك بصورة خاصة في اشارته الى تضحية الحسين في سبيل رسالته .

ونزار قباني في قصائده لايخرج ايضا عن الخط الذي سار فيه في السنوات الاخيرة . وهو خط ذو حدين ، في احداهما الحب ، وفي الآخر السياسة . وكلاهما يحاول ان يستبد بالشاعر ، فيلجأ نزار الى التعرية . تعرية الجراح في كلا الحدين . وتبدو لي صياغة نزار في الحد الاول ارق منها في الحد الثاني الذي يمتاز من جهته بالمرارة والسخرية من الوعود الكاذبة .

اما قصيدة الشاعر ابو القاسم خمار « مقاطع حزينة » فهي تعبير عن وجدان الشاعر الضائع في مأساة قومه . انه يحس بهذه المأساة بعمق . ولكنه لايستطيع ان يفعل شيئا سوى ان يعبر عنها بمرارة ويتمنى أن .. ان . تمر لايبقى له غير الحزن والغوص من جديد في المأساة .. وشبح الهزيمة .

وكانت قصيدة عبدالامير معلة جميلة كشف فيها الشاعر عن كثير من الجوانب الوضاءة في قرائنا ، واضاف الى هذا الكشف حرارة النداء والدعوة الى القيام باعمال ايجابية ٠

ونلتقي بعد هذا بسعدي يوسف ٠ وهو صوت له دلالته الخاصة في شعرنا الحديث ٠ ان سعدي يوسف كما عودنا يجسد الرؤيا التي يختلط فيها الحلم بالحقيقة ٠ من خلال صوره الشفافة تطل احلام الجماهير وتطلعاتها نحو التحرر في جميع اشكاله ٠ وهو يجسد لنا هذا الحلم حتى في صوته مما يجعلنا نرافقه في مداته وانطلاقاته ٠

وصوت درويش صوت آخر ٠ لعله اعمق الاصوات في شعر المقاومة والانتماء والشخصية ٠

ان سرحان في قصيدته يكتشف شخصيته في النهاية رغم انه ولد بعيدا عن موطنه ٠ وهو يكتشفها بطريقة مأساوية ٠ يزيد من عمق تأثره بها التمزق الذي كان يعانيه في البداية ٠ وفي القصيدة في الواقع جانب سلبي ٠ وآخر ايجابي ٠ وطبيعي ان الجانب الايجابي اكثر افادة وانارة ٠

قصيدة حسب الشيخ جعفر مليئة بالصور الجيدة ، وانا مغرم بقراءة شعر هذا الشاعر الشاب ، منذ ان بدأ ينشر قصائده في مجلة الآداب البيروتية ، ولكن اعتقد ان مثل هذا الشعر لايصلح للالقاء ان للقافية في نظري سحرا عجيبا لايمكن ان نتذوق ما يلقى علينا بدونها ٠

قصيدة محمد جميل شلش تتضمن افكارا كثيرة صيغت باسلوب حديث ، ينادي فيها بالسلام ورؤية الشاعر فيها واضحة الى حد بعيد ، او هكذا ظهر خلال القائها ولكنها تغمض بعد ذلك ومعذرة فان الوقت لم يسمح بأكثر من هذا ٠

الأمسية الشعرية الثانية

١٩٧٢/٤/٣

النخلة

علي الجندي

اثمري ايتها النخلة لو حشفا وزقوما
فقد روعنا عقمك منذ الازل !
امطري نارا عصافير من الشوك عظاما
او بغايا
امطرينا بالبقايا
او ... برو ث الابل
فتحي لو زهرة واحدة مهزولة نافذة الطيب
أجيبي
ما الذي ننتظرين
من سنين لسنين
ما الذي تنتظرين ؟!
السما مقفرة ، مقفرة يا نخلة الله فلا تنتظري ،
أسبلي سعفك ، غليها حواليها لعل التربة
الظمأى تلبيك ... او انهدى على جذعك ..
موتي قبل ان تنكسري ...
.. قد ترقبناك من الف عجاف دون جدوى ،

ورفعنا أيديا خانعة نحوك ، لكنا تلبثنا على
خوفٍ ، نداري خوذ الحراس لا نقوى على تقويض
اسوارك ، لم ننعم بأفيائك ..
كانت حولك الفئران حراسا ، افاعي الليل
نساكا
وصمنا حولك ـ الايام ـ نستجدي عطاياك فما اسعفتنا
حتى بسلوى !
فتباكينا على احلامنا فيك ، بكيناك .. بكينا ..!
وهوينا ، سجدا نعتصر التربة في رفق وفي خوف
رأينا ، ظلنا المصلوب من الف سنة
فوق حصبائك مغلولا الى قضبان تاريخك تحت المئذنة !
.. آه كم لحت على البعد لنا باسقة خضراء
لاح القمر الصيفي قرطا ، لاحت الانجم
عقدا واساور
ورأيناك خلال الغبش الوردي .. موسيقا ،
اساطير تدير الفلك الموصد
لاحت راية الفتح على اغصانك الممتدة الخضراء
ايحاء ، بشائر .
صرت في افاق افاق الصحارى
ببرق الالهام يا قدوسة النخل .. صراطا
كنت للعابرِ بين الوهم واليقظة ، بين الخوف
والموت خلال الوهج الدامي ، تراءيت لنا
البعث وميلاد الشعائر
و .. اقتربنا ، آه يا للذعر ، يا خيبة عمر كامل ،
يا .. موت شاعر ،
واقتربنا لم نجد منك ومن اوهامنا الشقراء
الا ... وهم نخلة !
شبحا يملأ عرض الافق ، قنديلا ولكن دون شعله
واقتربنا .. ـ يا لهول الصدمة الكبرى ـ
رأينا نخلة ناصلة اللون ، رأينا نخلة يابسة من الف عام
نخلة : لا جذر ، لا خضرة ، لا شيء ، صليبا من رغام

ليلة مع الحرف

نعمان ماهر الكنعاني

انت والليـــل والســحاب الركام ... وامـان رســـيسها ما ينـــام
وعنـاد الســـهاد لاقى عنـــادا ... منك ضـــاقت بعبئـــه الاحلام
يا عزيف الرياح قد أثقـل الليل ... عليـــه وجاســـــت الاوهام
فسل النجم يخرق السحب الدكن ... عسى ان يخـف عنـــه الظـــلام
أتريد الشـــكاة منـه لســـانا ... ســـاء ما فكـــرت به الآلام

* * *

انت والليل والخفير البعيـد ... وصـــفير يمضـــي به ويعـــود
ونخيـل تجاذب الريـح منه ... ســـعفا في حفيفه تنهيـــد
وظلال حيرى تمايل ما ترضى ... ســكونا ولا احتـــوتها حـــدود
يحسب الوهـم انهـا قطع الظلماء ... طـــورا تهـوي وآنا تميـــد
ومصابيح من ضبـاب تناثرن ... لعل الظلام عنهـــا يحيـــد

* * *

يا عناد الســهاد هـــذي نداماك ... فلا تنس للنـــدامى حقـوقا
وتحدث لهـــا حديـــث ليـــال ... كن فى طلعـــة الاماني شـــروقا
لا تســلها الاصـغاء لسـت وايا ... ها نجيـين يشـــكوان خفوقا
لك ليل مغاضب ولها ليـل ... انيس تضـــــم منـه بروقا
لم بدلت ويك ليلا بليـــل ... او لم تخش لليـــالي عقوقا

هو ان اوحش النهار اليف ... ذكريات هتافة وطيوف
وحديث لم تخش فيه ملاما ... وملام ما شابه تعنيف
انه الليل خير من نكأ الجروح ... وداوى وما اباحت سدوف
هو شوق واغنيات وعتب ... وحنين وآهة ووجيف
لا أراب النهار منه حفيّا ... لم يخالط وفاءه تزييف

* * *

أنت والساعة الرتيبة فاسمع ... اثلاث ام اربع ام تزيد
قد تجاهلتها ولا ضير فالخمس ... كعشر فلن يبالي رصيد
وهي اليوم مثلها أمس لكن ... تلك دقاتها منى ووعود
تلك ليست بليدة تسأل العينين ... ان لا يغيب عنها الهجود
فلتناد الجدران ان لم تجد عندك ... سمعا تبدي له وتعيد

* * *

تلك كانت صوت المنى وبعيد ... بين صوت المنى وصوت الكلال
ربما يدعي الكلال ويأبى ... دعوة اليأس لاصطحاب الملال
وينادي ليس ثم مجيب ... فيذم الذي تجيء الليالي
ليس يدري وليته كان يدري ... ما الذى تسأل الاماني الغوالي
هي ادرى بمن تجيب ولكن ... جهل الشيخ حلبة الامال

* * *

هى عجلى اذ الليالي وضاء ... عامرات بالنور والاشذاء
هى مشدودة العقارب الا ... ضربات حمقاء ليل العناء
وهى لو تنصف الشهادة اوفى ... الناس وعدا لسامع او لراني
ما عليها ان كان (يذبل) قد مد ... الى النجم مبرما من رشاء
ما عليها ان لم يجد عندها (ابن ... الريب) كأسا تشفي من الرقطاء

* * *

وابن (ذبيان) ان احس قتادا ... من وثير الفراش في ليل عاني
فهو الحرص بدل الخز شوكا ... حين حادت عواطف (النعمان)
لم يطل ليله وان نعتوه ... نابغيا بل طال حبس الاماني
هاك فانظر كم سطروا من حروف ... اودعوها حلاوة التبيان
اترى قد نسيت ما ابتدعوه ... من كلام ما ضاق بالبرهان

* * *

انت والحرف والطفولة تتلو ... منه آيا حينا وحينا نشيدا
لم تفارقه قاليا لا ولا اولاك ... يوما حتى استويت صدودا

عشتما صاحبين شدكما الحب عهودا تقلبت وعهودا
انت لم تجفه فان حدت عنه عذر الزيغ منك حتى تعودا
وهو ادرى بمن يطيب به خلا وفيا على الليالي نديدا

* * *

وحباك الذي تعشقت منه بعد ما جس منك عودا مرنا
لم ين باخلا عليك ولم يرفضك خدنا ولا ارابك خدنا
وتناديه اذ يجيش بك الصدر فيستل من شجونك لحنا
وتناجيه ان سما بك شوق فتراه بشوقه يتغنى
وبه عوّذتك أمك طفلا يطرد الشر عنك كفا وعينا

* * *

وبه للهوى رفعت شراعا وركبت العباب بحرا فبحرا
فاذا صافح النسيم تهادى حالما ينثر العواطف عطرا
واذا اطلق العواصف نوء مد حبلا يجاذب النوء قسرا
ذاب فيه الزمان واختلط الوقت فسم الغروب اذ شئت فجرا
سله أني أحس طبعك وانقل عنه ما فوقت يراعك شعرا

* * *

ورمال الصحراء تسكب فيها ال شمس حتى يموج بحر السعير
ترهب الريح لفحه فتولي عنه مذعورة بسوط الهجير
وليالي الصحراء والوحش منها لائذات بشعب واد قفير
ضيع النجم دربه في دجاها فهو خفق على سناه الحسير
صرن سقيا الهوى وحلم العذارى عند بيت منغم لجرير

* * *

انت لولا (بم التعلل) هل تعلم من كان في الورى كافور
كان من لسيف دولة حمدان اجابته كبرياء نفور
ورووها صدقا ف (وامعتصماه) جيش وفتح كبير
كم حشود منصورة نام عليها ال حرف حتى سطا عليها الدثور
انه الحرف كان اصدق انباء ولكن حين احتواه الضمير

* * *

أنت والحرف لا تسل عن صباح قد يلف الصباح داجي السحاب
واذا شاقك السنى وتمنيت شعاعا فالمحه سطر كتاب
لا ينال الغروب منه ولا تدنو الى ضوئه طباق الضباب
لا تسل ليلك الكتوم صباحا واذا لاح فالقه غير عابى
فمن الحروف ان ضللت نبي بين كفيه ألف ألف شهاب

* * *

كم انار الدروب للحائرينا بعدهما لفت الشكوك اليقينا
بعد ما امحل النفوس جفاف فادلهمت مشاعرا وظنونا
بعدما اتعب الاماني عثار واحال النجوى بها تأبينا
بعد ما لان للصعاب صليب فارتمى في شجونه موهونا
كم اطلت منه على الليل آمال فعاد الجذلان منها طعينا

* * *

لك منه وان أطلّت هموم وارابتك سامر ونديم
هو ان شئت سامع ومجيب وهو ان شئت راحل ومقيم
فتنقل به وراغم به الليل كما راغم الظلوم ظلوم
لا صفير الخفير لا الساعة البدهاء لا العاصفات يحد والهزيم
تستثير الذى أرادت اذا ما لألأ الحرف والظلام بهيم

* * *

قل لها ليلتي اسمعي هاتفا وافى فلن يمنع السهاد هتافا
لا ولن يحجب الظلام ضياء شع في النفس بارقا فاطافا
مثلما قد رفعت عن كاهل المرهق عبئا أرابه وأخافا
حمل الشعر عنك عبء سهاد كنت تخشينه بهم مدافا
قل لها ليلتي اسمعي وسلي الفجر انتظارا فربما كان وافى

* * *

يا سنى الفجر لا عليك وهذي بين كفي تلمع الاضواء
يتتابعن حاملات لعيني من سناهن ما تمنى الرجاء
أين داجي السحاب ريعت نجوم الـ ليل منه وراعت الظلماء
طردته وهو المكلكل شارات صغار يشع منها الضياء
يا سنى الفجر لا عليك وهذا شارق الحرف في الدجى وضاء

* * *

أتراني اطلت حتى قطعت الـ شوط لم التفت لسهد ليلي
أتراني رضيت من لامع الفجر بايماءة لغير نزول
(لمعت نارهم وقد عسعس الليل) فاقبلت دونما تطفيل
أنا لم أسأل القِرى غير اني شاقني أن أكون بين الرعيل
وسألت اليراع بعض حروف قال خذني تحية للخليل

اللجوء الى مدن البراق

حميد سعيد

ننطوي الطرقات على العابرين ..
وتطويك

ماضيك حاضرهم وادعاءاتهم والولادات
ان السماوة ساحلك .... الموت
تستبدل الموت لكنهم يشحذون البذار مدى
وجذورك قنبلة ..

تنفجر في بيتك الريح ، تسقط اقنعة تتهاوى
رك في وطني سورة وكتاب ، قرأت
توقفت في صفحة الغضب ..
اعتدت ان احمل الكلمات الاخيرة في الداخل
اعتدت ان اصطفيها .. اباركها
كنت فيها ..

رأيتك حين رؤوك يقينا
وحين ارادوك معجزة
بعضهم صاحبوك .. توقفت
حتى اذا ادركوا ان بين التوقف والجاه
يومي مسير

تنادوا عليك
حملت وهجك الريح
كان المحبون خلف نخيل الفرات ..
المقاهي التي اشتعلت في التوهج
تذكرنا كتب الموت والهرب الابدي ، النداء الخفي
ولكنها وقفت في حدود التوهج .. وانتظرت ان تراك

انتظرتك ثم تقدمتهم ..
حين كانت خطاهم تراوغني

وشممت دما منك في رحلهم
لي عليك كما للعشيق .. ولي منك صوتان
صوتي وصوت التي كابرت ان تقول الحقيقة ،
واحتكرت حبها

وهبته ثياب اللصوص .. البغايا
ستأتيك تمسح عن وجهها لطمات الدهان .. تعود اليك
وتعلن عن حزنها

فحـذار
حـــذار
حـــذار
لقد ادرك الوهم ميعاده الحجري
وما ادركته التي تاجرت بهواك ..
التي علقتك زمان التوقع .. فاءت اليك
واذ نضب الزهو .. آو كاد ..
كنت اراها تنام مع الملك الفارسي
وتسلخ من ذكرياتك اسيجة .. تتقيك بها
وتقاتل اسرارها
انها المستبيحة والمستباحة والورق المر ..
والجذر حين يموت .. المشانق .. اسفارها
من حروف الاناجيل تصنع قمصانها الداخلية ..
في ظلها تتقدم عائلة الرمل ،
تغزو اخضرار الينابيع ..
هل قرأت غزة اليوم ما كتبوا
وقفت في مواجهة الحب حين اتاها
لابسا صفحات المجلات باذخة

فادما من حدود المكابرة ·· الكذب ·· الغزوات الخرافية
استلف الذكريات ·· القصائد محشوة بالعواطف ··
يحمل اوزارها تاريخها الذهبي

سارية الحقيقة ··
ارسمها واعلقها في بيوت الدعارة
ان القصائد حين تكون جلود افاع ،
تكون انتهاكا ··
والبنادق حين تكون طريقا الى واجهات المسارك
لقد مات مختنقا

مات وانفض مجلس سيده
ليضحك سيده

مات وانفض مجلس سيده
مات فاستبدلوه
ان غزة اكبر من وطن يعي خوفه باغاني البغايا
ان غزة سيدة شرعت بابها للمحبين ،
جالستها مرة ·· قبلتني وقالت ··
انتظرتك جيلين ،

قلت لابنائي السبعة انتظروا ··
انه في الطريق الينا

ينحاز للماء ··
تخطى دفاترهم ·· سودت بالاماني القديمة
يمنحنا عسلا وطحينا ··
ونمنحه حبنا وننام على راحتيه
يوم جئتك ليلا ·· طرقت عليك النوافذ
حدثتني عن فتى ·· فانتظرناه
ثم انتظرناك

قلنـــا :
لعل الطريق وما خبأت
نسخت وجهه حاكما فهوى

★

- حـوار -

غـزة
هل تمادت اصابعه في رمال الجزيرة

الشاعر :
لا ·· هوذا داخل في مهماتك الآن فانتظريه

★

بعد جيلين يصفو ·· تبايعه مدن اخفقت
ونبايعه
ويبايعه النخل والقصب ·· النفط والاقحوان ·· البنادق
انت وابناؤك ·· اللغة المستفزة
اني ارى الفرح العربي المقاتل بين اصابعه
واشتعالك انت ··
اشتعالي
لنرحل في دمه ·· نفتديه ·· نرافقه
نعبر الوطن المتباكي الى الوطن المتعالي
ابرق اليوم لي :
ان جند الخليفة قد حاصروه
وسمعت الاذاعات تنقل ما دبج الشعراء الصغار ··
وما حشدوا من قواف تطارده
تسقط اللافتات ·· ويزكم انف الجريدة
حين تصير القصيدة كلبة صيد ··
وانت الفريسة

★

للحوار المعلق ما بيننا ·· رئة من نحاس
وللنزعات المضيئة ·· جالية سكنت قلبك ··
انتثرت فيه ،
تقوى قصائدنا ان تحاورك
انتزعتك الى صفها
انتزعتك الى صف يافا
الى صف من قتلوا في الطريق اليها
اقمنا قرى في الطريق ولكنهم نصبوا من حجارتها ملكا
مد من قلبه خيط نار ··
وشد وثاق قصائدنا
ادرك الملك الحجري اخيرا ·· فوات الاوان ·

★

لنقل :
ان اوراقك الذهبية حبلى

وان المدى وهي تعبر في وطني ..
تستحيل الى وطن اخضر
لنقل : ان تلك البدايات صارت نخيلا
وصار الهوى نطفة

ولنقل :
ان اصفارنا انتفضت ضد قاعدة الرقم
اني ارى الوطن العربي يقاوم احلامه
واراه يفاوض امطاره ..
لتجدد موطنها زمن الصيف .. تسكن حد الحقول
ايها الحلم الاول استوطنتك الاغاني
وفرت اليك الكبائر واستوطنتك
فرشت لها ساحة ارجوانية
وفتحت لها زمن المطر المتفاوض
قالوا :
بنيت بها .. انجبت لغة انكرتها القواميس ،
انجبت لغة انكرتها القواميس ،
شاهدت مخارج افعالها
من هنا يبدأ الفقراء .. ونبدأ
نفتتح اصواتنا للقرامطة الفقراء
ونفتح دائرة الضوء
نغرس في كل حنجرة فارسا ..
ونحاوره
تتجاوز فيه حدودا زجاجية
أرأيتم على وجهه غابة .. وطيورا تقيم
أرأيتم دما
أرأيتم براقا
رأيت طيورا تقيم
رأيت دما .. غابة .. وبراقا
فباركته والتجأت اليه

العودة الى كربلاء

احمد دحبور

آت ويسبقني هواي
آت وتسبقني يداي
آت على عطشي ، وفي زوادتي ثمر النخيل
فليخرج الماء الدفين الي وليكن الدليل
ياكربلاء تلمسي وجهي بمائك تكشفي عطش القتيل
وتري على جرح الجبين أمانة تملي خطاي
وتري خطاي
قيل : الوصول اليك معجزة ،
وقيل : الارض مغلقة ،
وقيل
وذكرت أنك لي وان الكون ياكل من ثمارك ماعداي
فأتيت يسبقني هواي
لا تسالي وجهي الجديد عن الاحبة
كانوا رعاة ــ بالثياب ــ وكانت الاسرار ذئبة
كنا تبايعنا على موت ، يقيلك من عذاب الموت في

الاسر الطويل
فتقاسموا ثمر النخيل ولم يمت أحد سواي
شاهدتهم ، ومعي شهودي :
أنت ،
والماء الذي يغدو دما ،
ودم لديهم صار ماء ،
والنخيل
شاهدتهم ، عين المخيم في لاتخطي ،
وكانوا تاجرا ،
ومقامرا ،
ومقنعا ،
كانوا دنانير الدخيل

ودخلت في موتي وحيدا استحيل
وطنا ، فمذبحة ، فغربة
وأتيت تسبقني يداي
ياكربلاء ، تفز في النار ، أذكر كيف تنقلب الوجوه ،
عرفوا الغريم وشاهدوه
ويقال : كان يخب في لحمي ويشرب من دماي
غضبوا عليه طوال ساعات احتضاري ،
ثم مت ، فتوجوه
وتبادلوا رأسي فلم يركب على عنق ،
وعاد الي بالجرح النبيل
وأعود .. لن يتصدروا باسمي ،
فجرحي جاء ينكرهم ،
وتنكر ما استباحوا مقلتاي

واذا حسبت حسبتهم في صف غاصبك الدخيل ،
يا كربلاء الذبح والفرح المبيت والمخيم والمحبة
كل الوجوه تكشفت كل الوجوه
ورأيت من باعوك ، باعونا معا ، وتقاسمونا في المزاد ،
فما انقسمنا : كنت فيك النهر والتحمت بعشبك ضفتاي
وقتلت فيك كما رأيت : أنا هو النهر القتيل
فليخرج الماء الدفين الي .. وليكن الدليل
ياكربلاء ، وانت جارحة وصعبه
آتيك بالفرح الجريء ، وما حسبت الحرب لعبه

آت ولو كره السعاة الى الخيول بلا فوارس ،
والسيوف بلا صليل
أودعتهم موتي ، وأرخت الحياة لكل جيل
هذا زمان يكبر الفقراء فيه فيقتلون ويقتلون
هذا زمان للبطولة او ــ لمن شاء ــ الجنون
هذا زماني ..
فاشهدي . جسدي يرد اليك حربه
ولديك ذاكرتي افتحيها تغلقي زمن العويل
ليس الوصول اليك معجزة ، وكنت خطوت فانهدم
الجدار المستحيل
وظهرت فاتسعت خطاي
وأنا هنا ، فرحي معي ، ومعي الهدايا ، والشجون
آت ، ويسبقني هواي
آت وتسبقني يداي
آت على عطشي وقي زوادتي ثمر النخيل ،
فليخرج الماء الدفين الي .. وليكن الدليل

أحمد دحبور

رسالة شخصية جداً
الى امرأة مجهولة جداً
أدعوها عادةً أمي

احمد دحبور

طرزت لأمي مكتوبا من غير كلام
من يعرف منكم أمي ؟
ضحكت يوما ، فتسابق في خلدي خجل وحمام
وأكلت كفاف اليوم
وبكت ، فقرأت كتابا اوصلني ، بالقسر ، الى هذي الايام
من يعرف منكم أمي ؟

خيْلٌ طردت خيلٌ في وادي الصرار
عودونا ع الحزن واحنا زغار

ولأمي حزن يصلح في كل الاوقات
من اجل جدار لا يعلو الا لينام
من اجل اخي المتروك وراء السكرْ ، وتقطير الاحلام
واخيرا من أجلي

وتراءى لي اني عزالدين القسام :
ناديت الاهلين
صليت بهم في جامع شعب فلسطين
وطلعنا نستوحي بالبارود الآيات
وصلاة تصلح في كل الاوقات
وصحوت ، فكانت فارغة كأسي ، وحُملتُ الى اعراس الريح
اشعلنا الدبكة حامية ، وانا « الدّويح »
وانا لا اعرف كيف ألوّح ، او ..
من يعرف منكم أمي ؟
من يحسن منكم تلميع السكين ؟
من يرمي ؟
من يعرف كيف يسوق الغيم ليمطر فوق العطشى المقطوعين ؟
حسنا ، للسكر دعابته ، لكن السكره
راحت ، وأتتني الفكره
وتقدم ثانية وجه القسام
ـ ما كان خطيبا هذي المره ـ
كان العرس الشرس المتحدي يبسط ساحات للنصر او الاعدام :
هوذا منديل الثورة
والدبكة ذروة روعتها أن تبدأ من بين الالغام
وأنا أتقدم هذا العرس الفاجع :
من لم يعرف أمي
من لم يستنشق في الوطن المحظور هواء الشارع
من لم يقطع شعرات الوصل بوجه معاوية المتراجع
من لم تبلغ فيه الاحزان حدود السكين
مطرود من يومي
مطرود من فرح اليوم الآتي بفلسطين

يا نايمـه نوم الصبـح
واش علمكْ نوم الصبح ؟
شباب راحت ع الـذبح
ورقاب بيـض ونايمـه ؟؟

ولأمي مكنسة وزؤان البيت كثير
ولها ان تفرح
ـ فسأولج آلامي في النار وأولج ناري في الآلام ـ

ولها ـ ان كان لسري فيكم مطرح ـ
قلب وضمير
ياويل الماثل في هذي الايام
وبحوزته قلب وضميرْ

طرزت لأمي مكتوبا من غير كلام
حملتُ اليها ألفي حمل سلام
وأنا أمي لا تقرأ
وستفهمني
وتكاتبني
من يرسل منكم مكتوبا من غير كلام
أنتم ؟ حسنا ٠٠ فلنبدأ
فعلى قلبي أشواقي
وعلى فشكَ المرتين الباقي

دمشق ١٩٧٢/١/١٤

جرير خارج المربد

فؤاد الخشن

غليان الالسن والاكباد المشحونة
في رمل المربد
قِدْر ـ نشيش الفوران المتواثب ـ تهمد
اذ تطبق مروحة الشمس الصفراء
قنديل غدير يتوارى
منكمشا في كم الظلماء ....
فيروح جرير
يسلم لليل المتهدل ناقته
يبحر تياها في هذا اليم الكحلي الواسع
يشتف النشوة من صمت الصحراء الرائع
منبهرا من قبة ديباج سوداء
تذرو فيها الجنيات
بسخاء الحفنات
ماسات تتوهج في اعلى خيمتها البدويه
في مخمل هودجها المهتز عجيبات اللألأ

* * *

ويجن القلب ...
يجتاز المحسوس المرئي ابو حزره
اذ يخرج من قفص البغضاء
يدخل في آفاق الحب
فيغيب الاخطل عن عينيه
والناب المفردة المسنونة للفتك النهاش
وتحال الكلمات اليابسة المرة في شفتيه
عسلا عطريا
فلا ... وردا شيرازياً
اشواق فراش
حبا للناس ، جميع الناس ...
تغدو بعد الصفو نُميرْ
لا للذل وغض الطرف ...
ويصير فرزدقه الزّناء المتدلي قاماتٍ
عملاقا للفضل ... مناز الحسنات
من بعد تنقتّل سلّمِهِ
في كل شبابيك الجارات !
ويبيت الجسد ـ الصلصال الأبي ـ قميصاً مخلوعا
فيضيع المنخطف المتوله اذ تشرق عينان
بالحور المتجلي من طرف منكسر يصرع
ذا اللب باضعف انسان ...
يتلهف شوقا ، يتمنى
جبل الريحان
والساكن فيه من كان !...

* * *

ويسير ، يسير وانهار الوجدان
نسغ فوار من تربة نيسان
ينساب خمورا تتدفق
في سود الاعراق لدالية جفت
من سم الاحقاد
يستبشر بالرشف
من بلور النبع الاعمق
ويعربد سكرا بالمطلق
يبتكر التربة وتحس ، الهذيان المذموم المرتاد

بالكشف تخوم المستقبل
بجنون اول
يصغي لنداء الاشياء المنسيه
يمضي معها في رحلتها
وتناغمهـــا
بحوار للصمت خفي
جدلي إستمرارْ
وتجاذبها نحو النار
بجذور من جوهر وحدتها ...
يدركن ان حصاة الشاطىء زهره
ماء مسجون بين الفعل وبين الفكره
أنا شجره
عاشقة منتظره ...
يتجاوز في كف سعوف النخلة نافورة خضره
يسمو فوق الشكل ، القشرة ...
ويذوب هياما يتقطر
أنداءً في الرمل الظمآن :
ـ « آه كم اهوى تغريدك
ياصمت الاشياء
واحب عناقيدك
ياليل الصحراء
آه كم كانت لهواي المحرور السمرات
في البيد مظلات
والغاف الوسنان سجود ضفائر
للشوق الصوفي الزائر !
ولكم كانت تأتيني
بشرودي في الرمل المتلهب احيان
نفحات من ارض يمانية
من قبل الريحان مطيبة
بعبير السكان !

* * *

دفعوني للهجو الممقوت كما تهوى
عصبيـــات
كطيور الهامات
لاتروى الا

بدماء تهرق للثأرات ...
كيف انتزعوني ؟
طردوني
من احلى الجنات
من فردوس اعرف فيه
حب الغير
وصفاء الإخوان
لو تركوني
وجه محبه
في الدنيا الموحشة الغربة
قلبا وضاء ، مرآة للناس
لفتحت لعصري مروحة الرؤيا
وملأت الدنيا
بالشدو السحري النابع
من تربة احساسي ! »

* * *

... ويعود الصمت المتنفس
ينداحُ رمالا حول جرير
حول جرير
تشرب لهفاته
فيفيق الحالم من وهم استغناء
غمغم في ذاته ...
ويدور ليجذبه تيار الواقع
لرص حمراء تطحنه
في السوق الهمجي الجائع
يجرفه ، يقصيه لولبها الدافع
عن قمر شمعي يزهر
يمطـر
احلاما بيضاء
يسبح في قبة ديباج رعشاء
تذرو فيها الجنيات
بسخاء الحقبات
ماسات تتوهج في اعلى خيمتها البدويه
في مخمل هودجها المهتز بحجيبات اللألأ !

ـ فؤاد الخشن ـ

دروب الضباب

صالح الظالمي

خطرت امسي ليلتي وتوارت بين اهدابها عصارة عمري
عشتها للظلام يمضغ عيني وللنجم يستحم بفكري
اتلوى على الهجير وقد شد فوادي بأضلع من جمر
واحس الدماء بين عروقي كشواظ اللهيب ايان تجري
وانفعالا مفاجئا بين عيني وتجتاحه ابتسامة ثغري
ثم اعدو على رفيف من الضوء جناحاي من نفور وذعر
وانا ذاهل اتمتم ... اهتاج .... اغني .... نشوان من غير خمر
قد نسيت الاشواق والامل الحلو ودمع الاسى وذلة فقري
وخفوق الهوى بجنبي واسرارا ثقالا يضيق فيهن صدري
وابتسامات طفلتي من حوالي جمال الربيع دفقة سحر
كل شيء امام عيني تلاشى .. وتلاشى حتى انطلاقي واسري
هكذا بعثر الدروب ضباب يتحدى خطاي في كل شبر
ثم خب الضباب وانطلق الصحو امامي وفي يدي بيت شعر

* * *

وقفة على الجولان

صالح الظالمي

جئتكم من هضبة الجولان لم الصق بها أية نظره
لم يكن في جبهتي للزهو قطرة
عفرتها فضلة الطين فما جن الاباء
لا ولا اهتاج الحياء
لم تعد في اضلعي للحس جمره
ضاعت الحسرة في جنبي ٠٠ ما اجمل ان املك حسره
سرت ٠٠٠ طوفت على كفي جريده
وشعارات جديده
وحمامات سلام
ودموع شربت ذل الكلام
وقصيده ،
من لهاث الشعراء
لم تكن تشرب لفحات دماء
لم تكن تمسح جرح الكبرياء
ثم عاد

بيدي كل الذي كان عتاد
طبقا ليس به غير الرماد

* * *

جئتكم من هضبة الجولان لم انظر اليها .
لم احدق ،
لم اصدق ،
كل مادار عليها .
كنت اصغي ، كنت اسمع
كان همس الناي ينساب رخيا
كانت (الدبكة) نشوى
كان حتى النجم يستاف الحميا ،
كان حتى الليل يهتز (مواويل) ونجوى
وقناديل وصحوا ،
كان كل الفاتحين ،
يحلمون ،
يشربون نخب (دايان) فما لوث نجم
لا ولا غاب القمر
كان في اعراسهم حتى القدر

* * *

جئتكم من هضبة الجولان نشوان اغني
كل ما في داخلي يسخر مني
لم اذق للوخز طعما في ضميري
مات من قبل ضميري
كان نبضا وتحول ،
دمية لم تمتلك رعشة جفن
وتأملت ، تجاهلت .. وقلت
قلت في الساحة عنتر
سوف يظهر
يتحدى الموت يستشري يزأر
ابدا ما عاد عنتر
عاد في الساحة تمثالا مكبر
كانت الدنيا على عينيه حلما يتحجر
لم يكن في كفه الجائع خنجر

* * *

يا احبائي اكتبوا ، هاتوا قصيده

لونها الاحمر نثته دماء الشهداء
ربما تذكي شراييني البليده
ربما تبني لاضلاعي قلبا
وبراكين وشهبا
ربما ترجع لي عينا ومسمع
جبهة تنفض ذل الطين ، تزهو ، تتطلع
علني اعرف لونا للسماء
علني اسمع للثوار مدفع
حين ارجع ،
مرة اخرى وفي جنبي حسره
علني الصق بالجولان نظره

قامة الريح

آمال الزهاري

في العام الثاني والسبعين وقفت على قارعة الموجه
كان العالم بحر يعدو
فذهلت كمصراع تمسكه الرجفه
وهتفت بنفسي ياجرحا يركض في الريح ولا يرسو في درب الصد..
ورأيتك تعبر نحوي ، اعبر نحوك ـ ياقاتل عبدالله ـ فيجهش صوتي
كان البرق يعانقنا ، ليعمد انسانا يضرب في الارض اصابعه
والزمن الهابط يطفو ، يرسم في الارض مسام الاسفنج المتعطش
يزرع غابات الانسان الفرد المتوحد
سقطت كل كثافات الاشياء، وكنت وحيدا عبر عراء الساحات المنسحبه
هذا زمن العاشق ، والذائب في مد الصحراء
صوتي حجر يوقد في الماء مرايا الحجر الآتي
يبعث في ذاكرة الزمن الفاني صورا كالريح ، فمن يتنحى للمهـــر
الجامح ان يخطو

فالوتر الحاضر باك ، لكن الوتر **الآتي بحر يعدو ..**
وعلى قارعة الليل وقفت بدرب **الصد**
.. فماذا اذكر من ايامي ؟ هل اذكـــر **نافـــذتي في طوفان النار ،**
ليشربني الظمأ العشري
اجبني يازمن النكد
هل اذكر كيف اودع نفسي **في درب الصد**
يلاعبني الموت ، فاقذف نفسي **في الليل شراعا يكبر ..** يمتد
فهل احد يدري ان البرق الداخل **في الموت عصور ومسافات**
أسمع صوت حفيف الاردن **يوافيني بالهمس النابض ،** حيث الجبل
الواقف يسمع قلبي ، وامامي اثر **مرقد ابن الازور وابن الجـــراح**
على نافذة الوادي .. وابو مروان **الرمح الساهر في** قاعدة الاسراء
يدوي للوافد والغادي ، عمن **مرقوا في درب الصد ومارددوا**
لكن الرابض في متاهات الريح
يقفل اشرعة الليل ويمضي ، يعبر **من ذاك الدرب ، فهل احد يدري.**
ان ابا مروان يموت حليق الرأس **يحاصره الويل** ويبصره الليـــل
زمان الظمأ الناري
فألقن نفسي انا من يحمل **عدة اسماء**
بين الحلم وبين اليقظة كان**النهرالشاهد يعبر يطرق** ساحة**احزاني**
ورأيتك تعبر نحوي ، اعبر نحوك **يا قاتل وصفي التل** فيجهش صوتي
كان البرق يعانقنا ليعمد انسانا **يضرب في الارض اصابعه**
كي تسفط مجرات الماء
كي تسفط مجرات الماء

الحرب تزهر اطفالاً

محمد عدوان

كنا في الصحراء
ظمأى نبحث عن قطرة ماء
ننتظر الغيث فلا يأتي
من أي سماء
كنا كوما نتحرك ، لاندري
ان كنا موتى أم أحياء
حين أتتنا طائرة الاعداء
قصفتنا
قصفتنا
قصفتنا
القت كل قنابلها
فتفجر نبع الماء

* * *

طالت الحرب ، استطلنا معها
كبرت لما كبرنا
وترعرعنا على ضوضائها حتى ظهرنا
غسلتنا اذ توحلنا

وإذ بُرنا أنت تقلع من اوجهنا جذر الطحالب
كانت الحرب لنا نهرا من الموت
ابتدا الطوفان
أضحى الحي أشلاء
وأضحينا ركاما
كانت الحرب لنا نهرا من الموت
سددنا فيضه ثم لجمنا غضبه
ثم هدهدناه حتى هجع الموج وناما
حينما لم يبق الا نحن والطوفان
خلنا ان شيئا في المآقي الحمر راعه
فتوضأنا به ثم اغتسلنا
وتقافزنا على تياره حتى غُمرنا
وامتلأنا منه ، عبأنا من الاموات قاعه
ثم صرنا طمية ، صرنا سمادا للزراعه
فالتوت أمواجه أضلع جسر ،
وانحنت حتى عبرنا
وخنقنا كل آهات الضراعه
...
نحن والحرب عشيقان
افترقنا منذ أن مزقنا الخوف
وأدمنا الفرار
ولبدنا نرضع الشوق من الاحلام ،
نستجدي عن العرى ازار
سامنا العسف ، وأهوى فوقنا الغازي الذي خفنا صراعه
وتتالت حولنا تهدر أرتال الطغاة
لم يكن يفصنا عن قبضة السيف سوى هذا الجدار
وخشينا أعين الناس
خشينا قيلة السوء
ومن بعد المزار
وانتظرنا نحمل الشوق ونعيا
وسط محراب الصلاة
وبلا رائحة ينسكب الصوت علينا من محطات الاذاعه
نشتري اخبارها من زحمة السوق ولا نبصرها بين البضاعه
وتسقطنا من الناس ومن اعينهم ومض الشجاعه
وركضنا كل درب من دروب الظن
طفنا ألف دار

وتتبعنا دليلا ثم نخاسا وقوادا
ونخاسا وقوادا
عبرنا في متاهات المجاعه
ولكي نبصرها كنا حداة العيس للرحال
كنا السيف للفارس

للبحار كنا موجة .. كنا شراعه
غير انا حيثما سرنا أتى يتبعنا هذا الجدار
وغضبنـــا
فهجمنا ، حينما فاض بنا اليأس ، وهدمنا الجدار
واقتحمناها ، احتويناها بأيدينا ،

ارتعشنا ، ارتعشت بين الضلوع
فتعالت لهبا نشف من أعيننا فيض الدموع

واشتعلنا حينما صارت وقودا
ثم أضرمنا لظاها حين اصبحنا الوقود
من هناك ابتدأت رحلتنا عبر باديها المشاعة

* * *

الحياة انسكبت فيضا ، وصارت مومسا
كنا نؤاتيها بلا طعم ، ونحياها كعاده
وعرفنا وجهها جوعا وادمانا
ذللنا فيه صناه
ركعنا في محياه عباده
الحياة اهترأت فينا ، ترهلنا بها
صارت بثورا ودمامل
وأتتنا الحرب نارا وزلازل
أحرقت عقم الصحارى ..
ضوأت درب القوافل
فتمسكنا بما ظل لدينا من حياة
ونثرناها على الترب بذارا
حنطة نادرة تبذرها الحرب فتعطي
حبة واحدة سبع سنابل

* * *

حينما هبت رياح الحرب في ضوضائنا المحتدمة

صفعتنا ، فتساقطنا على أكتاف هذي الارض
أحلى أوسمه
وتعرينا من الخوف ، خفقنا في روابيها بيارق
نحن من موت الى موت ، ومن خوف الى خوف
نمونا
روّض الموت على اضلاعنا أصبح موتا منزليا
موتنا شب ، تجاوزنا انحدار الموت خوفا
لم يعد زلة ساق ، خطأ نخشى قصاصه
موتنا اصبح فينا رعشة اذ تفجأ الجندي في الليل رصاصة
يمتطي الموت ويسري دون زاد
ذلك الموت الذي اصطدناه اذ عاث بأرجاء البلاد
نحن دجّناه ، ربيناه ، اطعمناه أشلاء ،
سـقيناه النزيف
وطحنّا وجهه القاسي عجناه ، خبزناه رغيف
فنما بين صغار البيت طفلا
راح يلهو معهم
كل طفل وله موت أليف
* * *
من سيبقى غيرنا في الحلبة
حينما يقتحم الموت صفوف الامة المضطربة
حين يلقي رمحه خصما ويدعو للنزال
حين ينفض من الساح الرجال
تكنس الريح وراء الجبناء الجلبة
وعراة نبدأ الحرب ، فنكسوها وتكسونا دماء
فلمن سوف تكون الغلبة ؟
* * *
خفف الوطء ، فهذي الارض أجساد ضحايا
ولدت عارية عاجلة ٠٠ عاشت بعري وعجل
أسرعت للموت لم تلبس كفن
نحن ربينا على اجداثها زغبا عراة
ونمونا رغم املاق الزمن
حيثما سرت اتئد
واخلع النعل ، فهذا معبد الموت

وها نحن القرابين الجديدة
زمرا جئنا الى مذبحها نكمل للأرض الثمن
حينما ضاق بنا الذل صرخنا :
« ايها الموت أنل أقدامنا الارض المجيدة »
سوف نبقى ننزف الخوف ، نصب الجوع فيها
ونذوق الطين .. ننزو عبره
حتى نلاقي بين أشلاء ضحايانا وطن
والى ان تتخم الارض وتخشى فقدنا
ترهب ان تبقى وحيدة
فاذا ما غضبت وانتفضت ارضا جديدة
واذا ازدادت حواليها الذئاب
واذا زلزلت الارض وواتاها مخاض
في جذوع النخل أهوت
اخرجت أثقالها
واساقط المن عليها والبذار
سوف نضحى كلنا عشاقها
ننعم في احضانها عمرا جديدا
ثم ننسى ما عرفنا من عذاب
حينما نغسل وجها سودته النار والحرب
فتزهو الارض ، تبدو امرأة
ممشوقة القد يعبيها الشباب
حين تضحي لوعة في كل قلب
يتمنى الناس طرا أنهم كانوا
كما كنا ، التراب

* * *

خفف الوطء ، فهذا وطن يرجف زهوا في فراش الاحتضار
انه يعبر في الموت ليحيا
فهو ميت وجنين
خفف الوطء فهذا وطن يزهر تاريخا
ويمتص من الجرح الانين
فيه موت متقن
فيه جذور وزغاليل صغار

نبتوا فيه رشيما فزهورا فثمار

خفف الوطء على الترب ، انتظر ميلاده
ان ضاق يوما بالحصار
وانتظرنا ٠٠ او تقدم في الاماني التربة
هذه الحرب التي تحبو على ابوابنا
تكبر ان نحن كبرنا
انما هذا اوان الشد ، فاشتد
وتابع خطونا حيث عبرنا
سوف تلقانا شبابا في خضم الحلبة

ممدوح عدوان

أغنيّ وَاكتب مرثيتي

محمد مفتاح الفيتوري

- ١ -

كلما اختلجت شهوة الدم في الارض
اشعلت المدن الوثنية في الظلمات معابرها
واراحت خيول الغزاة
حوافرها العارية فوق خارطة الشرق ..
أواه .. يا حائط الاوجه الدموية ،
والصفقات المدانه
تضحكني كبرياؤك .. تضحكني المومياوات
شامخة بالهزيمة ، مزهوة بالاهانة
ترفعني بيرقا من سواد على قبة القدس
تنقشني آية فوق مقبرة الدولة الاموية
اسقط غضبان .. احمل شاهد قبري الى الله ..
العن ازمنة الموت والبربرية
اركض متشحا برصاص الخيانه
مختبئا في تجاويف اقنعة الجاهلية
اصرخ في غسق الامة العربية
ايتها الراية المستحمة بالنار والدم
ارواح الف نبي .. ترفرف عبر نسيجك
ايتها الامـة العربية !

- ٢ -

حين تحسست جرحك في عتمة الفجر
أغرقني في هوانهم الجالسون على شرفة العصر ..
أحدق بي التترى المتوج ..
باغتني من شمالي ، باغتني من يميني
لامس بالسيف عظم جبيني
ـ متهـم أنت ..
ـ أعلم .. لكنكم تحرقون الحدائق والطير ..
لم تتركوا للذين سيأتون ، إلا رماد
الحدائق والطير ..
ـ متهم انت
ـ أعلم .. لكنما الارض ما فتئت ..
والعدو يضاجع تاريخكم ..
ويبارك حرب اغانيكم الوطنية
ان جرح فلسطين ليست تضمده الكلمات
وعار حزيران ..
تغسل عار حزيران معركة القادسية
ولهذا اغني لمن سيجيئون يوما
ويمشون فوق عروش الهزيمة
قبل تساقط رايات جيلي
ولهذا اغني .. واكتب مرثية
الساقطين على الدرب .. قبل رحيلي

اغتيال

احمد عبد المعطى حجازي

انني قاتله ،
افرغت فيه عشر طلقاتٍ ،
ترى كيف يحس الدم هذا المطر الناري ،
ينهال فجائيا عليه ، وهو يحلم ؟!
ربما داخله قبل مجيء ذلك الخوف الغريزي ،
فنحاه ، وألقى في المكان ،
نظرة ، فانتبه الحراس ، فامتد على جبهته برد الامان
ثم دوت طلقتي الاولى

رأيت الحرس المذعور يجري ،
ورأيت الفندق المأهول يخلو من سوانا

فكأني خفت من نفسي ، وأطلقت ، وأطلقت عليه ،
وهو مشدود الى زاوية النار ،

كما لو أنه قد وطّن النفس على استقبالها حين تدمدم
لم يكن يهرب مني ،

كان قد اصبح مشدودا بخيط غير مرئي الى موت محتم
فادار الجسد الصامت نحوي ،
يتقاضاني الذي يكفيه من حقدي
الى ان يعرف الراحة من هذا اللقاء المتجهم
آه ما بين ارتجاف الوجه قبل الطلق
حتى تستقر النار في اللحم ،
ترى أي حديث متلعثم ،
كان يجري بيننا ؟
هل قال لي من أنت ؟
كانت أغنيات من بلادي
وقتها تلمع في ذاكرتي ، والمطر الناري يعلو ويجمجم
مزهرا في صخرة الجسم المعادي
واصلا بين ارتعاشات الدم الاعجم فيه ،
وارتعاشات الزناد
عاقداً ما بيننا صلحا نهائيا ،
كأني كنت وحشا حينما انهرت عليه ،
شاربا من دمه كأسا ،
كأني كنت ظمآن الى شيء حقيقي كهذا الجرح ،
فاسترضعته ، والموت يلتف علينا ويخيم !

* * *

من أنا حقا ؟
ترى هل كان عدلا
أنني لم أعطه رد السؤال ؟!
أوَ لم ندخل شريكين معا ،
هل كان من حقي في هذا النزال
أن أرى وجه غريمي ،
دون ان أجعله يشهد وجهي ؟!
كان جلادا ، وقد جاء بهذا الوجه ،
لكني دخلت البهو بالوجه الملثم
وهو حقا يستحق الموت ،

تمام العدل أن أشهده أني ولي الدم ،
أني الشفرة الاخرى على خنجره الدامي المسمم
وربما كان اذا جاوبته قاوم ، أو فر ، أو استنجد ،
أو ناشدني معترفا بالذنب أن أمنحه مغفرتي ،
لكنه أومأ لي ايماءة غامضة ، ثم مضى محتميا بالموت ،
محفوفا بأصوات تنادي
وأنا أهوى وأهوى ،
ساقطا في زمن يسبق هذا الوقت ،
موصولا بشيء يتحطم !

* * *

آه ياحبي الذي لا يتكلم !
جئتني قبل زماني ،
ثم أخلفت مواعيدك حتى كدت أهرم !
... ...
لم أصدق أنها قد منحتني كل شيء مرة واحدة ،
أنزلها سائقها فانفلتت داخلة ،
ترفل في نبل وديع
وتعرت مثلما تفعل لو كانت تعرت وحدها ،
كان الربيع ،
زغبا في الارض ، والاصوات تأتي بعد ان تفقد معناها ،
وضوء الشمس يأتي من زجاج ثم ينحل ويعطي جسمها
بقعا طيفية تهرب مني كلما لامستها ،
حتى اذا قلت لها : من أنت ؟ فرت
دون ان تترك لي حتى اسمها !
... ...
آه عشرون ربيعا ،
وأنا انتظر الخطو الذي يهبط في رفق ، واعتل واحلم
وأنا أمسك في جلدي من ملمسها ما تترك الايام للعاشق ،
أعدو خلف مايهرب من صورتها ،
وأصد النوم والنسيان عنها ، وأجوع
وأنا أطوي بلاد الله ، لا أملك الا وردة حمراء .
فوق الجسر قال المخبر السري : من أنت ؟

أجبت المخبر السري ! مغرم !
قلت : هل مرت ؟ فلم يدرك واقصاني عن الجسر ،
دخلت البهو ، كان المخبر السري يعدو
فقذفت الوردة الحمراء ،
صارت طلقة ،
صارت حريقا
وهمو يعدون خلفي
وأنا أسقط اعياء ،
وأذوي ،
وأضيع !

* * *

كانت المرفأ دارا للجميع
قلت : فلأعط النهار اسما ، وأعط الليل اسما
وجعلت القلب قلبين ،
تعلمت الذي يجعل من وجهي تزياقا وسما
وتعلمت كلاما من لغات الارض ،
أستهوي الغريبات به ليلا ،
وأصطاد الدموع
صرت ان غنيت في الاسواق طارت نحوي الاشياء ،
أو أومأت في الملهى الى غانية صارت على مائدتي جارية ،
أو أوقعت بي شرطة المرفأ عادت ،
دون أن تدرك الا شبحا ليس يسمى !
ما الذي أوقعني في هذه المرة ؟
هل دلت عليّ الخمر ؟ ام بائعة الزهر ؟
أم انهار قناعي بغتة ، وانفضح السر المنيع ؟!

* * *

كلهم كانوا خصومي
البهو ، والحيطان ، والمرمر ، والحراس ،
والامن الذي في أعين النسوة والاطفال ،
كانوا يتحاشون قدومي ٠
كلهم في ألفة صامتة تشملهم ،
كانوا يجيئون ويمضون الى أن يلمحوني
فيصيب الذعر ما علق في أفواههم من كلمات
ويديروا النظرات

قلت : كم قنبلة تكفي لكي تهدم هذا العالم الفاسد ،
واستضحكت في نفسي لهذا الخاطر الشرير ،
كم ألف سنة ،
سوف تمضي ، قبل أن تسترجع الارض بنيها
وتعود الازمنة ؟!
قال لي : من أنت ؟
كانت أغنيات من بلادي
وقتها تلمع في ذاكرتي ، والمطر الناري يعلو ويجمجم
مزهرا في صخرة الجسم المعادي
واصلا بين ارتعاشات الدم الاعجم فيه ،
وارتعاشات الزناد
عاقداً ما بيننا صلحا نهائيا .
كأني كنت وحشا حينما انهرت عليه ،
شاربا من دمه كأسا ،
كأني كنت ظمآن الى شيء حقيقي كهذا الجرح ،
فاسترضعته ، والموت يلتف علينا ويخيم !

●

من أنا حقا ،
ترى هل كان يدري ،
أنه ألقى سؤالا خطِراً
أنه ـ لو لم أجب ـ يوشك أن يهزمني
يوشك أن يرجع لي منتصرا ؟!

محجة الشهداء

مصطفى جمال الدين

ذكـــراك تنطفىء السنين وتقرب ... ولهـا على كف الخلـــود تلهبُ
لا الظلم يلوي من طمـــاح ضرامها ... ابدا ، ولا حقـــد الضمائر يحجب
ذكرى البطولة ، ليلهـــا كسهادها ... ضاح ، تؤج بـــه الدمـــاء وتلهب
ذكرى العقيدة لم ينأ متن لهـــا ... بالحـــادثات ولم يخسهـــا منكب
ذكرى الاباء ، يرى المنيـــة ماؤها ... اصفى من النبع الذليل واعـــذب
ذكراك مدرسة الـــذين تعرضـــوا ... للسوط ، يحكم في الشعوب فأرعبوا
ومحجة الشهداء يخشاهم وهـــم ... صرعى به ، السيف اللئيم ويرهب
ومحجةالشهداء درب الخالدين منور ... بالذكريات الغر ســـــمح مخصب
تهفو لروعتـــه المنـى لكنـــــه ... ـ مما يثير من الفجائع ـ متعب

* * *

ايهاً ابـا الاحـــرار أي كريمـــة ... تبني الخـلود وليس فيـك لها أب
انت الذي اعطيت ما أعيا الـــورى ... تصديقـــــه ووهبت ما لا يوهب
ووقفت حيث أراح غيرك نفســـا ... والحـــق بينكما يهيب ويرغـــب
فصمدت للتيار تســـمح هادرا : ... ســـيان أغلب موجـــة او اغلب
في حين مر بك المـــرفه جيفـــة ... شنعاء تطفو في العباب وترســـب
حتى اذا التاريخ أرهف ســـمعه ... ليعيد من صنعوه فيمـا يكتـــب

دوى بآذان الـرفاق هديرك الصافي
وضـاءت من سـناه الاحقب
ومشت على وهج سعرت قوافل الاحرار
تكـرع من لظـاه وتطـرب

وتركت للاجيـال حين يلزها عنت السرى ويضيق فيها المهرب
جثت الضحايا من بنيك تريهـم ان الحقـوق بمثـل ذلك تطلب

* * *

باق وانت لكـل جيل « صـاعد » قبس ينـير له السـرى ويحبب
ولانت ان زلت به قدم الهـوى صوت الضمـير يرده ويؤنب
ولنا بيومك وهو في اقصى المدى ـف ملوحـة وعـين ترقب
فعلى م يرجم بالظنون مخـاتل ويعيش في وهـم الخيال مخـرب
وعلى م نيأس من تطلـع فتيـة تخذتك رائدها الـذي لايكذب
انا لسـت شـيعيا لان على فمي ذكرى الحسـين اعيد فيه واطنب
ولان امي ارضعتني حبـه ولانـه لابي وجـدي مذهب
لكنني أهـوى الحسـين لانـه للسالكين طـريق خيرٍ أرحـب
واحبـه لعقيـدة يفني لهـا ان ديس جانبهـا ، وحق يغضب
ودمٍ يريـق لانـه يغذو بـه جوع الضمـائر اذ تجف فتجدب
أ أكون شيعتهُ وقد اخذ الهـوى قلبي بغـير طريقـهِ يتنكـب
واكون شـيعته اذا لاقيتـه وانا لـروح يزيد منـه أقـرب

* * *

إيهاً ابا الشهداء يومـك لـم يزل كالأمس ريان الضحـى يتلهـب
يزهو بغـرته الاصـيل وينتشي بجلال ما وهب الشـروق المغـرب
فـدم ارقت كأنه من جـدة الآن يعطـر في الثـرى ويخضب
وكأن حقـا قد نصرت ، وباطـلا يهـوى ، واحقـادا لملك تألب
صور من الامس الجديد نعيشـها حقدا ونصلاها هـوى يتعـذب
وكأن قوما أسـلموك بليلـة عسـراء وانقلبوا عليـك فكذبوا
عادت بقيتهـم تبـارك ما جنى جان وتصقل ما افترى وتهـذب
من كل خـوار ذليـل رمـاده كذبا الى اللهب المقدس ينسـب

يتفـــرع الهيجاء بوهـــم انـــه ... فيها شبا من ذي الفقـار مجـــرب
لكنـــه اذ جـــدّ جِدُّ وانطـــوى ... لعب واصحـــر للهجيرة ملعـــب
القـى تنكـــره وفاض بســـرِه ... عريان يهـدر في العباب ويصخبُ
والحمد للكرب الشداد فقد جلت ... عهدا يكاد من الخديعـــة ينجب

* * *

عفوا ابا الاحـرار ان ضاقت بمـا ... اجد اللهـــاة ومر فيها المشـــرب
انا لست أومن ان صدقك منجبٌ ... هذا الـــذي هو من عدوك اكذب
يبكى على الاقصى بدمـــع قلبـــه ... في حائـط المبـــكى به يتقـــرب
ويذيب في الاردن ماكـــر حبـــه ... ويداه تهـــدم ضفتيـــه وتنهب
وتضج بالشكوى براعـــة رمحـه ... عربيـــــة وخزتـــه فيما تكتب
في حين يغرز كـــل يوم رمحـــه ... بدم على شـــرف العروبة يسكب
مهـــلا ابا ايلول ان يدا رمـــت ... اقسى شكاتك وهـي فينا تلسـب
ستظل شلاء النضـــال اذا ارتخت ... وعلى اشـــاجعهـا تجوس العقرب

الطوفان
(الرحلة التي كان يحلم بها جدي)

علوي الهاشمي

من أين يجيء الحزن الي وأنت معي
من أين يجيء ؟
قنديل مختنق الانفاس يضيء
يبكي وسط متاهات الليل
يتسلق قامته ظل رجراج
يتمدد ، يكبر ، يفترش الصحراء
.. يدب الدود الزاحف تحت عباءته السوداء
.. يعشعش في احداق المصلوبين على احلام التاج
أيقونات حمراء بلون الدم
ولها رائحة الدم
يتمدد ظل الموت على صدر القنديل الراقص بالوجع
لكن لايلبث أن يهوي ،
يتقلص مثل الزئبق .. يساقط كالوهم
الدود الزاحف مذعور ،
.. يتفارر ، يبحث عن جحر يؤويه من الجزع

والمصلوبون على أحلام التاج
ومشوا قامات من سخط وهياج
(من منا يوما لم يصلب
من منا لم يجع ؟)
من أين يجيء الحزن الي اذن
من أين يجيء وأنت معي ؟

كتل من لحم وعذاب تتقاذف حولي كالامواج
زلزلة الاقدام المجنونة ،
.. طوفان النظرات المسنونة ، بركان الحقد المكبوت
أحزان الاوجه راكضه
تتلفت في ذعر ، في جوع ، في شوق ، في ....
لاوقت/لرصد ملامحها
كل الاشياء تمر كلمح البرق ، كلفح النار بنافذتي
وعيوني غارقه في نهر الضوء الدافق،ملء دمي
عبقا .. وهّاج
وقطار الحزن/، قطار الجوعى والفقراء
.. يخض ضلوع الارض ويسبق أحلام الشعراء
جوعى فقراء وقرص الشمس رغيف/
والموت رصيف
والسكة شريان يمتد من القلب المذبوح الى الشفق الاحمر
هاتوا ياكل المنتظرين على ارصفة الموت أياديكم
هاتوا يا الجوعى امتعة الرحلة
هاتوا يأكل الفقراء
هاتوا الاحزان الحمراء
هاتوا معكم بحر الغيظ المضمر
وتعالوا ياشهقة صحراء الجوع
انهارا من عري ، من سخط ، من حزن ودموع
فالرحلة تبتدىء الليلة
عفوا .. الموت سيبتدىء الليلة
والسكة شريان يمتد من القلب المذبوح الى الشفق الاحمر
من أين يجيء الحزن الي وانت معي ؟
ياطيرا يخفق في قلبي
ويرف على هدبي
يا ساهرة كالشمس على شباك غدي

يا طالعة كالحلم على جفني ويدي
يا سكري يا ولعي
من أين يجيء الحزن الي وانت معي ؟
(الليل ·· الصمت ·· صفير مبحوح ·· عجلات قطار)
والدنيا حولي مقبرة
مظلمة ·· خرساء ·· مخيفة
يفترش الليل حناياها
أشباح تتراكض فيها ·· تزين في كل زواياها
ديدان تنخر في جيفة
وكلاب تفقأ احداق الموتى
(ماضر الشاة المذبوحة سلخ من بعد الموت كما يروى ··
لكن أن يسلخ انسان ؟ حيا ؟)
ويسود الليل ·· الصمت ·· صفير مبحوح ·· عجلات قطار
الظلمة دائرة مازالت تتسع وتكبر
والاوجه عاصفة من نار
تركض ·· والنظرة في المقل المسنونة كالخنجر
والاصداء ·· الاصداء
تثقب صمت الليل الاصداء
تتفارر في ذعر زمر الديدان
وكلاب « الكنص » الليلي الحمراء
تصعق ، تجبن حتى من ان تنبح ·· تنبس ،
فالرحلة قد بدأت
والسكة شريان يمتد من القلب المذبوح الى الشفق الاحمر
من أين يجيء الحزن الي وأنت معي ؟
كانت عيناك على جدران البيت
نافذتي ضوء وبشاره
كان ضياؤهما في قنديل الليل الناعس قطرة زيت
كانت عيناك تواريخ الاحزان بصدر أبي
كانت عيناك أغانيه ·· فمه ·· دمه ·· داره
لهما كتب الاشعار أبي
وأنا غنيت
وأنا صليت
وأنا ارضعتهما وجعي
وزرعت بظلهما اوجاع أبي

.. أشواق صباه الفواره
من أين يجيء الحزن الي اذن ..
من اين يجيء وانت معي ؟
اني اقرأ في قاع عيونك موالا معجونا بعذابات ابي :
نيران غدر الدهر توقد ابگلبي بحر
وعلي سلن اسيوف الماضيات وبحر
الناس في ظلهم وربعي في شمس وبحر
من حيث اهل الوفا ماعاد فيهم وصل
انگص حبل الرجا منهم فلا له وصل
لا شك بالسيف اگطع روس الاعادي وصل
لكنني في جزيرة ودار ما داري بحر .
حملت نسمات الليل صدى موال أبي
وتناقله الاطفال بقريتنا
غنوه كثيرا أثناء اللعب
كبروا واحبوه
سألوا عن بعض معانيه
عما بث أبي من حزن فيه
فبكوا حين احترقت اطراف اصابعهم في مجمرة اللهب
لكن مازال الكل يردده ويغنيه
من أين يجيء الحزن الي اذن ..
من أين يجيء وانت معي ؟

الاغبيـــاء

مالك المطلبي

تحن عشرون غبيا
نكتب الشعر ونقتات الرؤى العمياء
نمضي ... واخيرا نتقيا
عصرنا عصر نساء
هوم الليل على أعينه جرحا وناما
هكذا قالوا وقالوا !
لم يعد يحمل ميراث النبيين القدامى
نحن عشرون : خطانا
لم تعفر شفة الشمس
ولم تحمل رؤانا
بسمة الينبوع في ليلة صيف
ومضينا نلج الاعصار في لحظة زيف
وكنسنا الرجس عن عنق المباغي
وتحدثنا عن العدل كثيرا ...
ورسمنا في الفراغ .

من ليالينا الجنوبية ليله
مات فيها « جاسم » الفلاح
لم يرسل الى قبر الحسين
ولان الزرع مات
لم يكفن مثل باقي الاغنياء
نحن عشرون غبيا
وابونا حفظ القرآن مذكان صبيا
ولهذا كان في القرية شيئا عبقريا
كان يمشي كنبى
وتزوج
لم يخلّف غير عشرين غبي
هدموا المجد الذي شيده الشيخ ابوهم
هكذا وشوشت القرية يوماً ..
واضافت : انما الشيطان لم يعرف سواهم
نحن عشرون ... فهل تعرف عن عشرين
وحملنا حكمة الاجيال : من جد وجد
ولان العصر عصر الغرب : احببنا نساءه
وكرهناه وحملناه يوم الآخرة .
فعن العتبي لا يؤخذ عمرو بجريره
حملتها يد زيد آثم ... تحيا العدالة
نحن عشرون ... فهل تعرف نحن عشرين
اضنتهم حثالة ...

وقائع
الجلسة الثانية
للأبحاث والنقد

الايقاع في الشعر

محيي الدين صبحي

ايها الزميلات والاصدقاء :

يقول غوته في مدح الشعر العربي :

انت لا آخر لك • وهذا هو سر عظمتك

وانت لا اول لك • وهذه هي ميزتك

ونهايتك وبدايتك متشابهتان

والوسط يقود الى النهاية التي هي البداية ذاتها •

انك لمتكامل •

ولو تأملنا مليا هذه الابيات،لوجدنا وصف غوته ينطبق على الزخرفة العربية « الارابسك » ، مثلما ينطبق على الموسيقى العربية ايضا • وهذا ما يدفع الى الظن بان ايقاع فنون التعبير قد نشأ متزامنا متساوقا مع ما انطبع في الذاكرة الجماعية للعرق العربي من منظر تكرار آثار اخفاف الجمال في رمال الصحراء • ولوعدنا الى مصطلحات الشعر الذي هو اسبق الفنون العربية الى النضج • لوجدنا ان مصطلح « القافية » قد جاء من فعل « قفو » و « خف » تلمسنا طريقنا الى سبب هذا الايقاع ؛ وهو انه انطبع من منظر تكرار آثار اخفاف الجمال في الصحراء ، بحيث يتبين على من « يقفو » الاثر ان يعتبر نهاية الخطوة عند اثر الخف « قافية » ،ينتقل منها الى ما بعدها بالحذاء •

اما منظر ابيات « الشعر » وهي تمتد مع الافق فيجعل مـــن ابيات « الشعر » وحدات مستقلة منفصلة ترتبط فيما بينها بالقافية ٠

وهكذا تكون الزخرفة والموسيقى والقصيدة العربيات ـ من حيث ما هي تقبل الامتداد الى ما لا نهاية ـ تكون تعبيرا عن الاحساس باللا نهاية من جهة وبالايقاع الرتيب للحياة من جهة اخرى : ان الشكل في الايقـاع العربي تعبير عن المضمون ٠ والعكس صحيح ٠

على ان الثورة الشعرية الاولى التي امتدت ما بين ابي نواس وابـي تمام ، قد حافظت على الوزن العربي الذي وضعه الجاهليون ! على الرغم من ان هذه الثورة استهدفت نقل مضمونات الفكر والحياة المعاصرة لها الى الشعر ٠ وقد اثبت الزمان ان الشعراء الذين مارسوا تلك الثورة ، قـــد برهنوا على صحة رأي وصدق حدس في دخائل الشعر بمـــا هو ابـــداع جماعي : اذ ما دامت سرعة الحياة لم تتغير عما كانت عليه وقت الجاهلية، فلا حاجة لتغيير الايقاع ٠

غير ان الوزن الحديث الذي قام بتوليده السياب والملائكة والبياتي تلبية للاحساس الجماعي بتغير ايقاع الحياة ، دخول التقنية الغربية الى حياتنا ، يفتقر الى ضابط ((NORM)) يقيس ايقاعه عليه ٠ فلا هـــو بسرعة الجمل ولا هو بسرعة السيارة ٠٠ ان امـــره ما يزال متـــروكا للمحاولات الفردية في خطئها وصوابها ٠ وعدم وجود ضابط في اللاشعور القومي لسرعة ايقاع الحياة يبين السبب في ان البحور التي طاعت للتجديد هي اصلا بحور الحماسة والفردية والارتجال ، كالبسيط والرجز والكامل٠ اما البحور العميقة القادرة على نقل ايقاع جماعي جليل ، كالبحر الطويل مثلا ، فانها اقتنعت على التطويع ٠٠ وربما لن يسلس قيادها الا بعـــد عودة اللاشعور الجماعي الى النمو عبر التطور التقني للمجتمع العربـــي وبيئته : فالانسان الصانع يحدد ايقاع الحياة في وجدان الانسان المعبر٠ وهذا ما يجعل مسألة العروض الحديثة بكاملها في الشعر الحر ، معلقـــة بمستقبل بعيد يتحقق بقدرة قطر من الاقطار العربية على دخول مرحلـــة التصنيع الكامل الذي يصل الى مرحلة انتاج وسائل الانتاج ، وانتـــاج اوزان الشعر الجديد ٠ واننا لنأمل ان يتم ذلك على يدي شعراء العراق ، كما بدأ على ايديهم ٠

ايها الزميلات والاصدقاء

حتى الان ، لم يدرس من الشعر الحر سوى جانب الوزن • وهو اوضح ما فيه • ونحن نريد في بحثنا العاجل هذا ان نمس ناحية صعبة مهملة بالرغم من اهميتها ، وهي ناحية علاقة الوزن الحديث باسلوب الاداء الشعري • ذلك ان هذا الوزن ساعد الشاعر على الدقة في الاداء والموضوعية في التعبير ــ وهما ميزتان لم يعد الشعراء الشبان يقيمون لهما وزنا كبيرا ، على الرغم من انهما تخلصان الشاعر من الحشو وعدم التحديد • ولعل ولع الشاعرة نازك الملائكة بهما من العوامل التي قادتها الى الاسهام في تطوير الاوزان العربية • فأنتم تعلمون ان شعر نازك الملائكة تعبير عن ذاتها في اضيق حدود الاحساس والهجس والتوجس والوحدة والقلق الذاتي المحصن • وهو رفض مجاني للحياة على الطريقة التقليدية، يحتوي على الايمان بأية قضية او قيمة • ففي قصائدها التي تعالج مثل هذا الموضوع يظهر انكار حاقد على الحياة الشرقية وعناصرها السكونية التي تجعل الزمان يزحف بطيئا باردا بين الريح والاشباح والسراب والرماد والحلم والصدى واللغز والليل والصمت : ذلك هو قاموسها وعناصر شعرها • ويتجلى اوضح نموذج للمترد على مواصفات الحياة اليومية ، في قصيدة « خرافات » حيث تنقص على التوالي معاني الحياة الامل ، السعادة ، الشباب ، الخلود ، القلب ، الجمال ، وتقدم براهينها في صور كاريكاتورية هازلة :

قالوا : « الامل » •
ــ هو حسرة الظمآن حين يرى الكؤوس
في صورة فوق الجدار •
هو ذلك اللون العبوس
في وجه عصفور تحطم عشه فبكى وطار
وأقام ينتظر الصباح لعل معجزة تعيد
انقاض مأواه المخرب من جديد »

فالناس ينصحونها بالامل ، وهي تردهم نصيحتهم بهذه السلسلة من التعريفات التي تصور الامل بموقف يائس يتجلى بهذه الصورة المتباعدة

بين الظمآن وبين الكؤوس المرسومة على الجدار ، وبين العصفور والمعجزة ، غير انكم تلاحظون ان الاسلوب موضوعي تماما يخلو ـ الى حد الجفاف ـ من اية صفة زائدة او لفظة مزوقة . انه اسلوب نثري لو لا انه تصويري يعتمد على الشعور بالتمرد ليخلق فينا حالة الاستخفاف بالامل حسب ابعد من الهزء بمفهوم الامل . لوجدنا ان الشاعرة استطاعت ان تبلور مفهومه التقليدي الذي يقدم الامل كمعجزة . على اننا لو نظرنا الى ما هو بصورة موضوعية احساسها الذاتي بتفاهة مفهوم الامل كمعجزة . وفي خطوة اخرى نقرأ في ديوان « شظايا ورماد » الصادر عام ١٩٤٨ قصيدة « مر القطار » . وفيها نشهد تطورا موفقا في موضوعية الاداء وموضحة المضمون الذاتي . وهي قصيدة ارى انها تستحق التلبث عندها قليلا ، لقيمتها التاريخية .

قصائد الأمسية الثانية

الدكتور احسان عباس

لعل هذه اول مرة احاول فيها ان اصدر حكما نقديا على نتاج ادبي اثر سماعه او قراءته مرة ، او سماعه وقراءته في نطاق من الزمن قصير ، ذلك اني لم احسن ـ حتى اليوم ـ ان اكون ناقدا تأثريا يجد الانطباع الادل اقوى الانطباعات تأثيرا وارسخها ، لان النقد لدى يعتمد اول ما يعتمد على اساءة الظن بالانطباع الاول ، وعلى التحرز من تكوين حكم عاجل ، وعلى تقليب الاثر الفني في فترات متباعدة ، ومعايشته مدة طويلة ، لكي يثبت لدى ان اعجابي به اوصد وفي عنه لم يكن وليد عوامل عارضة . فاذا نقضت اليوم منهجا حرصت عليه دائما ، فذلك يجعلني اقل منكم اطمئنانا الى ما احكم به ، شأني في ذلك شأن القاضي الذي كان يسرع في البت في القضايا في «يوميات نائب في الارياف» لئلا يفوته موعد القطار ، ذلك هو الحال لدى حين أواجه قصيدة واحدة ، لشاعر واحد ، ولهذا تستطيعون ان تتصورا مبلغ ما احس به من حرج امام نفسي ـ لا امامكم وحسب ـ وانا اواجه هذا العدد الكثير من القصائد لشعراء كثيرين ، وليس من يخفف من هذه الازمة ان اقول : انني ادون ملاحظات ، فالملاحظات في النقد كالمذكرات السرية ، لا يجوز ان تذاع على الناس في استهانة واستخفاف ،

ولا يخفف ايضا من تلك الازمة ان اقول : صحيح انكم لا تتطلبون من حكم هرم به قطبة في المناقرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علامة ، وان لسانه لوزل « بكلمة واحدة في المفاضلة بين الرجلين لقامت الحرب على ساق . وصحيح ايضا انني لا احكم على طبيعة الغابة بشجرة واحدة ،فحين اتحدث عن قصيدة لشاعر ، لا اعني كل شعره ـ كل ذلك صحيح ، ولكن احقا انه يشفع لي ان اخطأت ؟ ان كان ذلك كذلك فلا تقدم ـ دون تردد المتهيب ـ الى القول بان قصائد الامسية الثانية في هذا المهرجان قد اوحت الي » ـ اول ما اوحت ـ بشدة طموح الشاعر المعاصر (حديثا كان شعره او غير حديث) ، وهذا الطموح في نفسه قد يكون عاملا في ابراز محاولات جديدة او دافعا الى الابتكار ، ولكنه في بعض القصائد المذكورة قد ادى الى نوعين من الخطأ : الاول معالجة الشاعر لموضوع لا حدود له ، او موضوع اكبر من ان تتسع له قصيدة غنائية ، مثال ذلك موضوع قصيدة الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني « ليلة مع الحرف » ـ فالحرف يعني تاريخ الانسانية كلها منذ ان علم الله بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، فاذا لم يختر الشاعر جانبا صغيرا جديا ، من هذا الموضوع الانساني الكبير ، فانه يضيع في عالم متعدد الجنبات ، ولعل فقدان التركيز على جانب دقيق واحد هو الذي جعل قصيدة الاستاذ الكنعاني تمتد امتدادا مسطحا ، وتبدو وكأنها استرسال في الخواطر، اجزاء ساكنة لا تتمتع بحركة دينامية تنظمها جميعا ، وفي قريب من هذا الخطأ وقعت الشاعرة آمال الزهاوي حين اختارت ان تتحدث في قصيدتها « حيدر حيدر » (*) عن مشاعر ايام عاشوراء / فمثل هذا الامتداد في الزمن يقتضي تقصيرا في كل دورة وتكييفا يميز كل دورة عن الاخرى ، والا ظلت القصيدة تمتد لكي تصبح بطولا ملحمة ، دون ان يكون فيها ما في الملحمة من خصائص وسمات ، ذلك هو النوع الاول من الخطأ الذي عددته وليد الطموح لدى الشاعر المعاصر، اما الخطأ الثاني فهو معالجة الموضوع المبني على الاستحالة النفسية ، وذلك تمثله قصيدة الاستاذ احمد عبد المعطي حجازي بعنوان « اغتيال » ، لقد اراد حجازي ان ينقل في قصيدته شيئا دقيقا حقا، هو نفسية رجل قام باغتيال شخص ما بدافع وطني ، وهو بعد ان اطلق الرصاصات العشر اخذ يتأمل ما فعل ، ماساقه حجازي اعترافا ، ولكنه كان تأملات ، يحاول من ورائها ان يستشف اعماق نفس القاتل ، غير انه حين اورد القصيدة على لسان القاتل نفسه اضطراما الى الوصف الخارجي ، واما تأدى الى تأملات قليلة الجدوى : « نرى كيف يحس الدم هذا المطر النارى ينهال عليه » ـ مثل هذا التأمل ترف فكري لا يستطيعه القاتل ابدا ـ او « ربما داخله قبل

(*) القصيدة بعنوان « قامة الريح »

مجيئي ذلك الخوف الغريزي منحا والقى في المكان / نظرة فانتبه الحراس، فأمتد على جبهته برد الامان » ـ انه افتعال تأمل كما ترى ، ولو ان القصيدة تضمنت هذا التحليل ـ التشكيلي ـ بصيغة اخرى غير صيغة المتكلم ، لكان الامر اقرب الى ان يقبل في نطاق تأملات الشاعر نفسه . على ان الموضوع من اية وجه تم علاجه سيظل موضوعا عسيرا على التناول ، ولذلك ترى الشاعر هرب من وجه الموضوع في الفقرة الثالثة من قصيدته لينساب وراء الذكريات عن الوطن والحبيبة ، او الحبيبة في صورة وطن ، كما انه لم يستطع ان يتغلب على الناحية اللاانسانية في موضوعه الى حين جعل الاشياء تتخذ شكل عداء للقاتل وجعل القاتل نفسه يحس ذلك :

كلهم كانوا خصومي
البهو والحيطان والمرمر والحراس
والامن الذي في اعين النسوة والاطفال
كانوا يتحاشون قدومي

وهنا فقط استطاع الشاعر ان يخرج موضوعه من نطاق الاستحالة النفسية الى منطقة « الامكان النفسي » . ان صعوبة الموضوع لتتجلى مرة اخرى حين حاولته الشاعرة آمال الزهاوي ، ولكنها لم تكن شديدة الطموح في تصويره كما كان حجازي ، فقد عالجته في قصيدتها « في قاعة الريح اسمع صوت الأردن » ، لكنها بدلا من أن تحاول ان تحلل نفسية القاتل انصرفت الى تصوير نفسيتها هي في عالم ضائع المعالم ، يكاد يتحقق فيه المستحيل :

صوتي حجر يوقد في الماء مرايا الحجر الآتي
يبعث في ذاكرة الزمن الفاني صورا كالريح

وكل ما تبقى من منظر الاغتيال في القصيدة هو لقاء التعاطف بينها ـ هي الخائفة رغم صمودها ، من منظر القتل ـ وبين القاتل الذي تعده بطلا.

ظاهرة اخرى وجدتها في بعض قصائد الامسية ، وهي التردد غير المسوغ بين السلب والايجاب ، قد تبدأ القصيدة موجبة ، ولكنها تحت وطأة الاحساس بالاخفاق او اليأس او الموت ، تنتهي نهاية سالبة ، وهذا كثير في القصائد الرومنطيقية ، او قد تبدأ بتصوير حال سلبية من الالم او الدمار او العذاب ولكنها تتدرج نحو موقف ايجابي تفاؤلي ، كما هو الحال في اكثر قصائد المذهب الواقعي ، ولكن أن يتراوح الشاعر بين الايجاب والسلب في المقطع الواحد من القصيدة فذلك شيء قد يؤدي الى تحطيمها وابرز مثال على ذلك قصيدة « الحرب تزهر اطفالا » لممدوح عدوان ، فالحرب للظامئين في الصحراء كانت فجر امل لانها استطاعت بما القته الطائرات من قنابل ان تفجر نبع الماء ، قمة عجيبة في التفاؤل وفي

استخراج الحياة من بين اطباق الدمار ، وهكذا تصادف الاطفال والحرب، طالت وكبرت وطالوا وكبروا ، كانت الحرب لهم نهرا من الموت ، ابتدأ الطوفان اضحى الحي « اشلاءً وأضحينا ركاما » ثم تمت هدهدة موج الطوفان حتى هجع ، معنى ذلك ان الطوفان لم يعد كذلك ، واذا بالشاعر ينقض هذه الحقيقة فيقول ، لم يبق الا نحن والطوفان ـ أين الطوفان وقد نام موجه في البيت السابق ؟ على اي حال لا تزال الحرب بيننا وبين الموت قائمة :

فالتوت امواجه اضلع جسر
وتحنت حتى عبرنا
وخنقنا كل آهات الضراعة

وفجأة نجد الصداقة بيننا وبين الحرب قد اضمحلت بسبب الخوف، وحبنا للحياة ، هاتان مرحلتان متباينتان ، ولكن الحرب عادت لتنشب من جديد فاستطعنا ان ندجن الموت واذا « كل طفل وله موت اليف » ـ كيف تم ذلك ؟ متى كانت النقلة الى هذه المرحلة العجيبة ؟ وهذا لا يكفي ففي مرحلة اخرى لعلها الرابعة او الخامسة نجد الوطن « يرجف زهوا في فراش الاحتضار ، نجده يعبر في الموت ليحيا ، فهو ميت وحنين » وكان سبق ان قلنا من قبل ان كل طفل صار لديه حيوان اليف يعايشه اسمه الموت ... لم حدث كل ذلك في القصيدة ، لان المراحل التي يصدرها الشاعر ليست شعرية ولا تاريخية ، ولان صور الموت لديه متعددة ، وهو حريص عليها ، ابتكرها ، وجعل منها صورا جميلة ، فاحبها ولم يستطع ان يستغني عن بعضها ، ان قصيدة عدوان مليئة بجدة النظرة الى طبيعة الموت والحرب ، ولكن انعدام النمو الداخلي في قصيدته ، ووضعها في مراحل قسرا ، (مع انها من اشد القصائد قابلية للنمو) قد حطم فيها التكامل الفني المتدرج .

وهنا يمكن ان اتصدى لشيء اثاره امس نقاء الامسية الاولى ، وهو مدى غموض الرمز ، وما كنت لاقف عند هذا الموضوع لان اكثر قصائد الامسية الثانية كانت اما قصائد مباشرة واما واضحة في رموزها ، لولا قصيدة الشاعر حميد سعيد . قصيدة حميد « اللجوء الى مدن البراق » يحمل عنوانها منذ البداية اللجوء الى حمى « منتقذ منتظر » وقد كانت الشخوص فيها : هو وهو الاخر والعشيقة وعزة : هو الاول لا غموض في هويته ،

رأيتك حين رأوك بقينا
وحين ارادوك معجزة
بعضهم صاحبوك .. توقفت

حتى اذا ادركوا ان بين التوقف والجاه يومي مسير

تنادوا عليك

فهو الفدائي ، والحبيبة يمكن ادراكها حين ترمز الى « المستبيحه والمستباحة والورق المر والجذر حين يموت » اما هو الاخر فهو الحب الذي تمنحه غزة المناضلة لدينا ، فهو حب يجيء قادما من حدود المكابرة والكذب والغزوات الخرافية ثم يتمثل بعد ذلك انتظار غزة للمنقذ الآتي ، الـــذي يؤكد الشاعر انه لابد آت ،

ارأيتم على وجهه غابة وطيورا تقيم

أرأيتم دما ، أرأيتم براقا ؟

رأيت دما غابة وبراقا

فباركته والتجأت اليه

هل هذا حقا ما يعنيه الشاعر ؟ ان كان الامر كذلك فحسبي ان يكون نقدي للقصيدة نوعا من التفسير لها ، ولكن الم يكن في الامكـان وضـــع الرمز في قالب اوضح ؟ ربما كان سبب التعتيم ليس في دلالة الرموز بقدر ما هو في دلالة العبارات المتصلة بتلك الرموز ، فالتعبير عند حميد ذو لون سريالي ، اقول التعبير لا الصورة ، لانه لا يلجأ كثيرا الى الصور في هـذه القصيدة .

ويمكن ان اضع مقابل هذه القصيدة ، قصيدة « النخلة » للشاعر علي الجندي ، نموذجا لعدم الغموض في الرمز ، فالنخلة بنت الصحراء مـن العروبة ، رمز للمجد العربي وللتاريخ العربي ، والنخلة في سموقهـــا الشامخ نحو السماء رمز للسماء نفسها او للالوهية ، فهي رمز للتاريـخ حين يصفها الشاعر بالعقم ، وهي رمز للالوهية حين يقول لها « ورفعنـا ايدينا خانعة نحوك .. ولاعيب في ان يجتمع للنخلة غير مدلول في قصيدة واحدة ، فتصبح هي رمز الماضي ورجاء المستقبل :

رمز البعث والميلاد :

آه كم لحت على البعد لنا باسقة خضراء

لاح القمر الصيفي قرطا ، لاحت الانجم عقدا واساور

رمز جامع جميل في آن ، لكنه صريح ، اعني ان النهاية اليائسة التي انتهت اليها القصيدة ترسم مفارقة ناجعة بين الاوهام والحقيقة ، وهنا يحدث الانهيار ، لاباس ، لكن النخلة في النهاية شيء واقعي، يستطيع الانسان ان يقبره ان يقتله ، إن يزرعه من جديد ، هنا كان اختيار الرمز ـ اعني اختيار النخلة ـ يغفل الارادة الانسانية اغفالا تاما ، لو ان الشاعر كان يدون صلاة استسقاء للمطر مثلا فاحتبس الغيث لقيل ان التطابق بين الرمز والنتيجة امر حتمي احيانا ، فأما عند الشاعر الجندي فان التطابق بين الرمز والنتيجة حتمي ، ولا لوم على النخلة ، انما اللوم على الذين انفقوا في استشرافها عمرا كاملا ، قد يبدو تحكما في طبيعة بناء القصيدة ، ولكني اعتقد ان الغاية التي ارمي اليها ليست كذلك ، فانا لا افرض على الشاعر ان يتجه نحو التفاؤل ، بل انا احس ان احساسه عميق اصيل واقعي ، ولكني انما آخذ عليه طبيعة الرمز الذي اختاره ، حيث اضطر في هذا الاختيار الى ان يجعل الانسان في موقف المترقب لا في موقف متحرك فعال .

وبمثل هذا الوضوح طالعتنا قصيدة « المملوك » للدكتور حاوي ، طالعتنا بالوضوح دون ان تقوم على رمز ، لقد عودنا خليل في شعره ان يوجد رموزه توجيها عميقا مترابطا دون ان تختل لديه العلاقات الرمزية، وكانت اكثر قصائده تصويرا للواقع العربي في ابعاد ثلاثة : الرمز والمحور الفكري والانفعال الصادق ، اما هذه القصيدة فلم يتضح فيها الا البعد الثالث طبيعتها تتطلب ذلك ، كان لابد من ايصالها الى احساس الجماهير دون اللجوء الى تركيب فني معقد،وكانت طريقة خليل للحفاظ على مستوى الشاعرية فيها اللجوء الى الصور العميقة ، وبذلك حفظ لها قدرتها على التأثير (وليست القصيدة بين يدى لأورد لكم شواهد على ما اذهب اليه) .

ويخيل الي بعدهذاالذي عرضتهان هل في الامسية الشعرية الثانية اصوات متفردة ؟ والجواب على ذلك موجود في تضاعيف ما قلته من قبل ، ولكني ازيد الاجابة وضوحا فأقول : كان فارس الحلبة المجلي بين شعراء المدرسة الحديثة في تلك الامسية هو محمد مفتاح الفيتوري ـ مجليا بعشيقين على الاقل ـ بموضوعاته اولا وبطريقته الخلابة في الالقاء المدروس ثانيا ، فالالقاء فن جميل حين يحسن صاحبه ، وقد استمعنا منه الى ثلاث قصائد ليس بين يدي الا واحدة منها وهي « ولهذا اغني .. واكتب مرثيتي » ، وحين قرأت القصيدة واعدت قرأتها وجدت انها ـ وارجو ان اكون مخطئا ـ ليست من شوامخ قصائد الفيتوري . جانبان يتالق فيهما حين يكتب شعرا : تصوير لحظات الرعب النفسي بين الفرد ـ او الجماعة ـ والسلطة، وتصوير لحظات الوجد الصوفي في مراحل التأمل في واقعنا العربي والانساني ، اما هذه القصيدة البطيئة المتناقلة الحزينة ، فانها استعانت

كثيرا بالعبارات التقريرية : العن ازمنة الموت والبربرية / اركض متشحا برصاص الخيانة / اصرخ في غسق الامة العربية ـ ان جـــرح فلسطـين ليست تضمده الكلمات ـ وعار حزيران تغسل عار حزيـــران معركـــة القادسية ٠٠ الخ ٠ حتى المنظر الذي حاول ان يجري فيه الحوار بين الفرد المتهم البريء والطاغية المتوج كان فيه تكرار موجز لبعض المواقف في قصائد اخرى له ، وقد غفل الفيتوري عن بعض امور اولية ـ يتورط فيها كثير من من الشعراء المحدثين ـ ولكني احسب انه قد علا عن مستوى التورط فيها فكلمة « العارية » في قوله « واراحت خيول الطغاة حوافرها العاريـــة » ليست ذات دلالة تعمق المعنى الذي يريده ، ولا أنسى ان اداعب صديقـــي الفيتوري حين اذكر له ان التترى المتوج حين باغت المتهم عن شماله ، لـــم يعد ثم مجال للمباغتة عن اليمين ، لان المباغتة تعني مفاجأة الغافل الفارّ ، والمباغتة الاولى كافية لايقاظه ٠

ولا يسعني ان اغادر الفيتوري دون ان اتحدث عن الشاعر البحراني علوي الهاشمي ، وقد يقال : ما المناسبة وعلوي شاعررقيق بينما الفيتوري شاعر العنف والرعب ، وهذا الخلاف هو سر هذا الربـــط ، فان علـوي الهاشمي في قصيدة الطوفان » كان يرسم صورة المفارقة بين الحاضـــر الذي يحياه الجيل الحالي وبين الماضي الذي كان يعيشه جده ، وقد حاول ان يضفي على الحاضر صورا من الرعب الفيتوري ،

كتل من لحم وعذاب تتقاذف حولي كالامواج
زلزلة الاقدام المجنونة
طوفان النظرات المسنونة ، بركان الحقد المكبوت ٠

وقد غالى علوي في اهالة الاكداس المتراكمة من الرعب والعـــذاب والحزن على الحاضر ، حتى اصبح سؤاله الغنائي العذب الجميل الـــذي اتخذه لازمة القصيدتة ٠

من اين يجيء الحزن الي اذن
من اين يجيء وانت معي

قصائد الأمسية الثانية

الدكتور كمال نشأت

أيها السادة

اتفقت مع الدكتور احسان عباس على ان يكون نصيبي من شعر جلسة الامس القصائد العمودية ٠ وللأسف لم تكن أمامنا جميعا فسحة من الوقت كافية حتى نوفي هذا الشعر ما يستحقه من دراسة ، فالساعات الباقية على هذه الجلسة النقدية قليلة ، ولذلك أعتبر ما قلته في هذه القصائد مجـــرد انطباعات وملاحظات سريعة ٠

والشيء الذي بذهني اول الامر قبل ان تصلني هذه القصائدكلمة متحمسة كتبها الاخ خالد علي مصطفى حول الشعر التقليدي الشكل نشرها في جريدة المربد اليومية ، وهي كلمة مستفزة كلها تهجم وتهكم على هـــذا الشعر ٠٠ والشيء الذي أحب ان أنبه اليه هو انني لا ادافع عن هذا الشعر، ولكنني احب حينما نريد ان نناقش القضايا سواءفي الادب او غيره ان نتحلى بشيء من الموضوعية بنت الروح العلمي ، فان ذلك أعون على الوصول الى النتائج الصحيحة فضلا عن ان اسلوب النقاش الموضوعي هو الاسلوب الذي يليق بهذه القضايا ويليق بنا كشعراء وادباء ونقاد ٠

صحيح ان حركة الشعر الجديد ابتداء من ربع قرن ، قد أحدثت هزة جديدة في الشعر ، وفتحت ابوابا سحرية امام الشعراء ، ونحن نحـــاول جاهدين ان نبني أنفسنا بعد عصور تخلف واضمحلال ٠٠ ان نبني حياتنا الجديدة ٠ وكان من الطبيعي ان تنبثق هذه الحركة الشعرية الجديدة أيضا اضافة متطورة نابعة من احتياجات أمتنا العربية ، ولكن الجـــدة لا تبتر الاسس التي قامت عليها ٠٠ فالزهرة لا تنكر جذورها لانها لا تقوم الا بها ٠٠

ان هذا الشكل التقليدي استوعب تجارب الاجداد الشعورية حوالي ١٤٠٠ وما زال شعراء كبار يكتبون فيه ، وما زال لهذه القصيدة التقليدية الشكل جمهور أكبر مساحة من جمهور القصيدة الحديثة وهو شيء طبيعي، وشعراء القصيدة الحديثة الموضوعيون أنفسهم لا ينكرون هذه الحقيقة التي تثبتها المهرجانات الشعرية خاصة اذا كان شاعر القصيدة العمـــودية من اصحاب المواهب الشعرية القوية ، وليس معنى ذلك ان القصيدة الحديثة بلا جمهور ، ولكن قلة هذا الجمهور ترجع في رأيي الى انغلاق القصيدة على ذاتها بحيث اصبحت كونا خاصالامجال للمشاركة فيه،والى انهاتستخدم تكنيكا معقدا هو ابعدما يكون عن ذوقوعلم وخبرةجمهور الشعر العريض، الا ان هذه القصيدة ــ كما هو ملاحظ ــ حين تقيم جسرا بينها وبين هـــذا الجمهور القارىء اوالمستمع بخيط من الضوء الكاشف لمضمونها تنـــال الاستحسان والاعجاب وكلما هدمت هذا الجسر أو لم تعن باقامته طلـــع شاعرها على المنصة ليلقيكلاما والجمهورصامت تتملكهالدهشة والاستغراب وكأن الذي يقوله الشاعر الغاز ومعميات ، وينزل الشاعر كما طلع دون ان يجد تجاوبا بينه وبين الذين استمعوا له ، وربما كان موقف الجمهور ازاء قصيدة حديثة اخرى أكثر فنية نفس الموقف ، والسبب ان تذوق القصيدة الحديثة يحتاج الى ثقافات متعددة والى دربة ذوقية على قراءة نماذج منالشعر الغربي الحديث او على الاقل على قراءة نماذج من الشعر العربي الجـــديد ومتابعة شعرائه فيما يقولون وما ينشرون ، والحق يقال ان القصيدةالحديثة كتبت لتقرأ لا لتقال ، فان مافيها من رموز فنية او اسطورية او صـــور مكثفة او ٠٠ او الخ يحتاج الى تمعن واعمال فكر والى رجوع الى القصيـــدة مرات ٠ والمعروف انها حددت مساحة جمهورها باتخاذها اشكالا عميقـــة ومعقدة من اساليب التعبير ، ولذلك كان جمهورها من الصفوة ، بـــل ان

بعض هذه الصفوة مازال يجد عنتا وارهاقا في تذوقها ، ومنهم من يرفضها خاصة القصيدة المعماة المظلمة المنغلقة على ذاتها والتي لا تفصح عن شيء ، والتي يراها البعض لعبة لفظية تفتح الباب امام الادعياء والمتشاعرين ٠فاذا كانت القصيدة الحديثة مازالت تجاهد وتكافح في تأصيل قواعدها وتكنيكها الجديد محاولة جذب جمهورها فهل من حق أحد ــ في مجال المنافسة بين الشكلين الشعريين ومضامينهما واساليبهما التعبيرية المختلفة ــ ان يؤمم الشكل التقليدي او يلغيه او يمنع شعراءه من الكتابة فيه ؟

حقيقة بسيطة واضحة وضوح الشمس كما يقولون ٠٠ هي ان شعراء العمود موجودون ٠٠ وانهم يقولون ما يريدون ٠٠ وان هناك جمهورا كبيرا يطرب لهم في كتاب المربد الاول (ليست هناك معركة بين الشعر الجديد والشعر العمودي ٠٠ فان هذه القضية قد حسمت منذ زمن طويل ٠٠) ٠ ولست أدري مدة هذا الزمن الطويل وعمر القصيدة الحديثة منذ نموذجها الاول ربع قرن من الزمان ؟ ولست أدري كيف لا تكون هناك معركة ــ وهي قائمة فعلا وكل الذي نريده أن تكون معركة موضوعية وكل شكل منهما له طابعه وتكنيكه ومضمونه المتعارض الذي لا يتقابل أبدا ٠!!

هذا هو الحماس الزائد الذي لا نريده ، وهو حماس ينكر الحقائق الناصعة ويشوه وجه حياتنا الادبية ٠

ان القصيدة الحديثة عامة تتقـــدم الى أمام وهي تكتسب في كل يوم جمهورا جديدا وهي اضافة نبتت نبتا عضويا راسخا واصيلا وهي قبل ذلك وبعد ذلك بنت حياتنا المتطورة واحساساتنا ومشاكلنا وهمومنا والـــذي ننكره منها ما تتلفع به من غموض غامض لا يستهدف غرضا فنيا في بعض نماذجها،ان حسين مروه ــ وهو كاتب تقدميمستنير كمانعرف جميعا ــ من دارسينا الموضوعيين ٠٠ يقول في الكتاب الذي جمع نتاجات المربد الاول بعد ان تحدث عن الشعر الجديد حديثا جميلا معددا امكانياته (هل يعني كل ما تقدم ان القصيدة العمودية قد استنفدت وجودها حتى الان ٠٠ نقول ٠٠ لا ٠٠ بدليل ان هذا المهرجان نفسه يثبت وجودها ، فنحن نستمع الى أعلام من أعلام القصيدة العمودية في هذه الامسيات ، ونحن نشهد هنا كيفلايزال الكثير من جمهور الشعر يهتز لنبرات هذه القصيدة اهتزاز الطـــرب ٠٠ والواقع اننا لا نزال في مرحلة من التداخل بين نوعي القصيدة ٠٠) ٠ ولكن

في الوقت الذي يقف فيه النقاد الدارسون الموضوعيون يسجلون الظواهر الادبية التي تستعلن بها حياتنا الشعرية الراهنة في صدق وروح علمي محايد نقول ان كثيرا من الشعر العمودي مازال يلوك المبتذلات من الافكار والصور وطرق التعبير البالية ٠

أما شعر البارحة ـ وقد تناولت العمودي منه ـ وهو الذي جرنا الى الحديث السابق كما جرتنا اليه كلمة الشاعر خالد علي مصطفى ، فيؤسفني انه في جملته لم يرتفع الى مستوى المربد ، ولا شك ان عددا من القصائد الحديثة قد تفوقت عليه واخملته وسيتحدث زميلي الدكتور احسان عباس عنهـــا ٠

القصيدة الاولى من شعر البارحة للشاعر نعمان ماهر الكنعـــاني وعنوانها (ليلة مع الحرف) ، يصور فيها سهره في ليلة تمرح فيها الريح وتتنهد في سعف النخيل ، بينما الحارس الليلي يصفر من بعيد ، ويرجع الشاعر يخاطب عناد السهاد والساعة الرتيبة تدق في اوائل يوم جديد ، ويذكر (يذبل) و (ابن ذبيان) سائرا على نفس الجـــادة التقليدية في استرجاع المواقف المشابهة مثلما فعل شعراء اوائل هذا القرن ، فان كان سهاد فلابد ان يتداعى الى الذهن (الليل النابغي) و (النعمان) وقصتـه مع النابغة ٠ وينتقل الشاعر بعد ذلك نقلة مفاجئة لم يرهص لها ولم يمهد، فاذا به يتحدث عن الحرف ويناجيه ويذكر صلته القديمة به وفجأة مـرة أخرى يتحدث عن رمال الصحراء ولياليها حديثا فيه جمال ، ولكنه مبتور الصلة بما قبله ٠٠ ويتلمس طريقه عندما يقول ان ليالي الصحراء :

صرن سقيا الهوى وحلم العذارى عنـد بيت منغـــم لجرير

واذا باسم جرير يجر وراءه المتنبي وكافور ودولة حمدان وصيحـة (وامعتصماه) ٠ ويرجع الشاعر محاولا ربط كل هذه الجزئيات التي فقدت الصلة بينها ببيت يقول فيه :

انه الحرف كان اصدق انبـاء
ولكن حـين احتـواه الضمـــير

وتنتهي القصيدة بقوله :

لمعت نارهم وقد عسس الليـــ ـــل فاقبلت دونما تطفيـــل
أنا لم اسأل القـــرى غير اني شاقني ان اكون بين الرعيـــل
وسألت اليراع بعض حـــروف قال خـــذني تحيـــة للخليـل

فاذا صرفنا النظر عن تعبير «دونما تطفيل» بركاكته وضعفه تعجبنا لسؤاله اليراع بعض حروف فيجيبه (خذني الى الخليل) ذلك ان الشاعر قد كتب القصيدة وفي ذهنه انه سيلقيها في ايام احتفالات الخليل · ومن معالم القصيدة صياغتها المتميزة مما يدل على تمرس واحساس بجرس اللفظة في حدود الاسلوب التقليدي ، وان وقع الشاعر في الاكليشية التعبيري مثل (عسس الليل) و (الظلام البهيم) فهي جمل تعبيرية ابتذلت لكثرة دورانها على الالسنة والاقلام ، وتملي الشاعر ـ أي شاعر ـ ان يبتدع لغته الخاصة·· تركيبه الخاص ·· فأمامه المفردات يشكل منها بناءه التعبيري المتفرد الدال · والقصيدة بعد ذلك تحمل نفسا رومانسيا ومعايشة مع الذات خلال صور بسيطة أليفة خلصة في أوائلها مثل وصفه الليل وتنهد النخيل وأرقه المضني وصوت الساعة الرتيب وصفير الحارس الليلي ، فكل هذه الجزئيات تشكل جوا تعيش فيه التجربة ، ولو اقتصر الشاعر على تجربة الارق ولم يطف بنا في رحلة متقطعة عبر الزمان والمكان لكان أقرب الى النجاح ·

أما قصيدة الشاعر مصطفى جمال الدين وهي في ذكرى الحسين فلم ترتفع عن نفس المستوى ، ولقد كتبت في الشهيد العظيم آلاف القصائد ·· دارت كما دارت قصيدة مصطفى جمال الدين حول استشهاده وبطولته والمعنى الثوري لهذا الاستشهاد ·· فهل استطاعت قصيدته ان تتميز بقسمات خاصة تستعلن بها بحيث تفردها عن غيرها من آلاف القصائد التي كتبت في نفس الموضوع ؟ ان القصيدة من حيث معانيها وصورها واسلوبها من الشعر الذي ألفناه وان دلت على تمرس صياغي واجادة في كتابه الجملة الشعرية المحبوكة ·· ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بعد قراءتها هو ·· هل لها صوت خاص متفرد ؟

أما صالح الظالمي فعنوان قصيدته الاولى (دروب الضباب) والعجيب ان تجربته في القصيدة هي نفس تجربة ماهر الكنعاني في القصيدة التي

تحدثنا عنها سابقا ، فكل واحد منهما قد قضى ليلة متعبة وشكا ألمه وكان الشعر ملاذه ·· فصالح الظالمي ينهي قصيدته بقوله :

ثم خب الضباب وانطلق الصحو أمامي وفي يدي بيت شعر

والتوافق بين الشاعرين لا يثير الدهشة ، لان الموضوع وان اختلفت زاوية التقاط كل منهما هو موقف رومانسي شائع ·· فالليل ملاذ ·· والشعر ملجأ من قسوة الحياة :

خطرت أمس ليلتي وتوارت بين أهدابها عصارة عمري
عشتها للظلام يمضع عيني وللنجم يستحم بفكري
أتلوى على الهجير وقد شد فؤادي بأضلع من جمر ··

وتنتهي القصيدة هكذا :

ثم خب الضباب وانطلق الصحو امامي وفي يدي بيت شعر

وقصيدته الثانية عنوانها (وقفة على الجولان) وهي انتفاضة حزن وأمل كتبها في شكل الشعر الحر وان كانت لم تستخدم امكانيات هذا الشكل وما يتسع له من أساليب التعبير الجديدة مثل تحويل الافكار الى لوحات من الصور والرموز والمعادلات التشبيهية التي توحي بتلك الافكار وتومىء باشكال جمالية متنوعة او غيرها من اساليب التعبير الناجحة · ولعل السبب في ذلك هو انتقاله من كتابة القصيدة العمودية الى الشكل الجديد ، والنقلة من اسلوب الى اسلوب تحتاج الى تفهم ودربة على استخدام الاسلوب الجديد عبر التمرس الكتابي والتحول الثقافي في فهمه وتذوقه عند الاخرين وبذلك يصبح جزءا من النفس عند التعبير عنها ·

أما القصيدة الحرة التي خرجت عن الشكل التقليدي ووقعت في شباكي فهي (الاغبياء) لمالك المطلبي وهي من شعره الواضح ، ويبدو لي ان تجربة الموصل أثناء الاحتفال بذكرى أبي تمام كانت السبب في اختيار هذه القصيدة للمربد الثاني فقد اراد الشاعر ـ كما يبدو لي ـ ان يصل ذاته بالناس عبر قصيدة واضحة اعتمدت الواقع الحياتي للناس ·· ومن هنا كان حديث القصيدة عن جاسم الفلاح الذي مات ولم يرسل الى جوار الحسين ، ولان الزرع مات (لم يكفن مثل باقي الاغنياء) · وهي تصور في صدق وبساطة

جيل الشباب الضائع الذي يتلمس طريقه في بيئة محافظة لايعجبها سلوكهم وآراؤهم ، وهو عبر الصور الاليفة من الوشم والحديث عن الاب الذي حفظ القرآن منذ كان صبيا ينقل هموم جيل كامل ويرجع ليتحدث في سخريـــة حلوة متهكما على العصر الذي لايجدي فيه الشعر والكلام :

نحن عشرون غبيا

نكتب الشعر ونقتات الرؤى العمياء

ان الشعر الصلب الاقرب الى الواقع أكبر تأثيرا في النفوس من الشعر الذي يميل الى الصورة المغربة او الصورة المجردة التي قد تدل على براعـــة ذهنية ولكنها تظل في برودة استغلاقها أبعد عن المشاعر ، ذلك أن هذا الشعر الصلب عبر جزئياته الاليفة يثير صورا مختزنة في الذاكرة وتجاريب حياتية مرت بنا وأصبحت جزءا من كياننا ومن هنا كان نجاح هذا الشعر ٠٠ ومن هنا ايضا كان نجاح قصيدة مالك المطلبي ٠

قصائد الأمسية الثانية

الأستاذ صدقي اسماعيل

يبدو لاول وهلة ان عملية النقد والتقييم في مناسبة جماهيرية كهذه ، لن تكون أكثر من رأي عابر يبديه الناقد في أثر فني شارك الآخرين في الاستماع اليه ، وحاول ان يتذوقه على نحو ما . والواقع ان المناسبة لا تبدل شيئا من طبيعة العمل النقدي ، بل انها تضيف عنصرا جديدا الى هذه الظاهرة الادبية « الموسمية » أعني مهرجان المربد له خطورته التقييمية ، هو علاقة الشاعر بالجمهور . واذا كان ثمة مجال للحديث عن أي تفاعل جدلي بين الاثر الفني والتذوق البديعي لدى الجمهور . فانه يبرز من هنا ، في أشد مظاهره وضوحا وضرورة في آن واحد ، وكثيرا ما نفعل مثل هذا التفاعل لاننا نجد انفسنا منذ البداية في صدد الكشف عن هذا العامل المجهول الذي يلعب دوره الغامض في تحديد الجودة والاصالة لدى الشاعر ، دون أن يوليه النقاد في كتاباتهم الا القليل من الاهتمام .. وليسمح لي الشعراء ان استخدم عبارة الاستجداء القاسية في التدليل على أهمية هذ العامل الذي هو الجمهور . صحيح انهم ـ يأتون لكي يمنحوا الجمهور شيئا من المتعة الفنية او « التوعية البديعية » او الوعظ والتوجيه الفكري ، عن طريق الايقاع الشعري والصور الغنائية ، ولكنهم يتوجهون منذ البداية الى انتزاع الاعجاب والتقدير . بل ان كثيرا من الشعراء يدركون في وعي واضح ، ان الجمهور هو الذي يصنع الشيء الجديد في تكوينهم الشعري ، على الرغم من ان معظمهم يكتفون بهذه

الهيمنة العفوية مع وجدان الاخرين ، وهم موضع الاهتمام الجاد ، ومثـــار التساؤل ٠

ان الاطار الكبير الذي يتم فيه هذا اللقاء الادبي بين الشاعر والجمهور٠٠ ولا أقول جمهوره كما يتردد في معظم الاحيان ٠٠ يحمل الينـــا مزيدا من الاهتمام بهذه العلاقة ٠٠٠ الاطار هو المربد ٠٠٠ ونحن نحاول الان ، بعـــد ألف عام ، ان نستعيد بعض تقاليده العرفية ، وما زلنا ، لسوء الحظ نغفل ما كان ينطوي عليه هذا اللقاء الموسمي بين الشاعر العربي والآخرين مـــن ازدهار حقيقي فيتاريخ الثقافة العربية يتمثلفيان الشاعر القديمكانينفق عاما بأكمله من معاناة التجربة الشعرية لكي يسمح لنفسه بالوقوف أمـــام جمهور أوسع من أبناء قبيلته ، ومن ثم كان يجد نفسه ايضا ملزما بكثير من الشروط الصارمة لا نوليها الان ما تستحق من العناية والاهتمام ٠ اول هذه الشروط ان « الجمهور الاوسع » هو الذي كان الحكم الاول في تقييم الاثـر الشعري ، وان الرواة والنقاد لم يكونوا في الغالب الا مدى لهذه القوةالبديعية الغامضة التي ندعوها بالحس الجماهيري ٠٠٠ وذلك انهم لم يكونوا يملكون من حرية الاصطفاء في نقد القصيدة او البيت او الشاعر ذاته الا ما فرضته القبيلة اولا ، وجاءت به ، تحاول ان تفاخر به الآخرين على انه يمكن انيفرض جدارته الفنية على العرب جميعا ٠ وما دمنا في صدد النقد العابر ، فلابد ان نستعيد الصيغة الحقيقية لمثل هذا الملتقى الشعري ٠

أولا : ان المهرجان الشعري هو مناسبة فذة تتجاوز حدود الظاهـــرة الادبية اليومية : ان تكون هناك حادثة او تجربة يقال من أجلها الشعر ثـم يندثر معظم ما قيل أمام ما هو أكثر جودة وأقوى تعبيرا عن الاصالة الفنية ٠ ومن ثم يكون هناك مايسوغ القاءه في كل ما يتاح للشاعر من القـــدرة على التفاخر به بين الشعراء الآخرين ٠ لقد كان المربد لقاء يقوم على التحـدي المباشر ، تحدي الشاعر للشاعر وتحدي القبيلة للقبيلة ، وتحدي الشعر للجمهور الذواقة أيضا ٠ ايهما أقدر على التأثير الاقوى في صنع الوجـدان الفني الجديد للعرب جميعا ؟ وليس بحثا في هذا الصدد ما يشار اليـه في الغالب من السليقة الشعرية لدى الجمهور ذاته ٠ ففي كل انسان فنان كامن يتوجه الى الشاعر لكي يمنحه الصيغة الفنية المبدعة التي تعبر عـن رؤيته الجديدة الى الاشياء ، مثلما تمنحه اللفظة الغنية التي تزيده ارتباطا بلغته القومية ٠٠ غير اننا قد الفينا على مايبدو مثل هذه الغاية الحضـارية الرائعة ٠ كما لو اننا نستمع الى الشعراء لكي يستمتعوا هم باصغاء العدد الاكبر من محبي الشعر ، دون ان يعنيهم اي رأي لهؤلاء للآخرين ٠

ثانيا : ان المهرجان مناسبة لا مكان فيها الا للجديد من الشعر ، آخر

ما أبدع الشاعر من نتاج تجربته الادبية ، ولا أعني بالجديد في هذا المجال، أن يتجاوز الشاعر أسلوبه وطريقته في الاداء ومستواه الفني ، بل أعني مالم يسمع بعد · ولهذه الناحية أهميتها الكبرى في تحديد الارتباط العميق بين الاثر الشعري والمرحلة التأريخية من حياة الشاعر وحياة الشعب معا ، ان من موضوعات النقد الادبي في الشعر الجاهلي مثلا ، ان الشاعر كان المؤرخ والمحرض والفنان في آن واحد ·· ولم يقدر له أن يكون على هذا النحو من الاندماج بمجتمعه وتجسيد تطلعاته وتصويره الحار ، لو لم يكن منذ البداية محركا « تاريخيا » ــ اذا صح التعبير ــ يعكس حركة البيئة في مرحلة زمنية معينة ، ويمتلك في الوقت نفسه شرعية وجوده الفني التي تتيح له أن يلعب دوره في صنع الثقافة القومية ، ان ما هو جديد في نتاج الشاعر هو الجديد في تطور هذه الثقافة وازدهارها · وكم نخطىء حين نطالب شاعرنا المعاصر بان يكتب قصيدة جديدة في مناسبة كهذه ، لكي يضيف شيئا الى صفحات دواوينه ، لا أكثر · ومهما نحاول ان نضفي على هذا الجديد من معنى في تطور تجربة الشاعر ذاتها ، فاننا نخطىء اكثر حين نعزله عن التيار الشعري الذي يأخذ به ، وهو انعكاس الحيوية التي تتجدد بها الثقافة على نحو عام، ونكتفي بان نعرف انه قد تحول من الشعر العمودي الى القصيدة الحديثة مثلا او انتقل من وصف الطبيعة الى الغزل ·· وما الى ذلك · ومن المؤسف ان معظم ما قيل ويقال في مثل هذه المناسبات ، قد استهلكه القراء وعرفه الجمهور اكثر من مرة ·

ثالثا : ان اغفال الجمهور والمرحلة التأريخية للثقافة العربية ، مايزال يلعب دوره في الانحراف بالنقد الادبي المحض عن مهمته الاساسية · فحين يقف الناقد أمام الاثر الشعري ويحاول تحليله وتقييمه ، في معزل عن هذين الشرطين الاساسيين انما يجد نفسه ملزما بنوع من العودة الى الرأي المرتجل العابر الذي يمليه عليه تذوقه المباشر للشعر : ومهما تكن لديه من معرفة بالشاعر وفهم لطابع الثقافة في عصره ، فانه لا يستطيع الخروج من سياج المعايير العامة ·· التي يصطنعها في النقد والتقييم ، وقد يتأثر بعض الشي بموقف الجمهور اثناء القاء القصيدة مثلا ، ولكن«عمومية» المقاييس ــ اذا صحت العبارة ــ تفرض عليه ان يعتبر الجمهور واحدا ، وان يرى الثقافة نفسها : شيئا سكونيا جامدا · ان في الجمهور عديدا من البيئات المتباينة في تذوق الشعر وفهمه · كما ان الثقافة هي دائما ذات طابع تأريخي متحرك · ومن التجني على الشاعر ان نستنجد بأية منطلقات ثابتة في التقييم

والنقد . فكثيرا ما يبدو الشاعر غريبا عن نتاجه ذاته في احدى مراحل تجربته الفنية ، اذا ما أرغم شعره على الخضوع لمقاييس قديمة تخطاها نتاجه . ومع هذا فما زلنا نصنف الشعراء لا الشعر ونطالبهم باستمرار ان يكونوا عند حسن الظن في النتاج الذي أردناه لهم ، كما لو اننا نصطنع شخصية ثابتة كاملة لكل شاعر ، ينبغي الا تتجاوز حدود المقاييس التي وضعناها . في حين يبدو لنا الجمهور على عفويته أصدق حدسا حين ينطلق من البداية الفطرية السليمة في تذوق الشعر ويتساءل قبل كل شيء : أهناك شاعر او مشروع شاعر ؟ أم متأدب يتوسل بالكلمات دون أن يملك رصيد الموهبة الحقة ؟ ومثل هذا التساؤل ينسحب أيضا على المستوى الشعري ذاته : لماذا لا يستطيع الشاعر التقليدي مثلا أن يستوعب التجربة المعاصرة بالاداء العمودي ؟ أصحيح ان هذا الاداء قد نضب وانطوى على انه استمرار باهت للتراث القديم ؟ وما الذي تعنيه بنية القصيدة الحديثة في ثقافتنا القومية ما دام روادها قد استنجدوا « بتقنية » الاداء العالمي في التعبير عن الرؤية الشعرية ؟ هل يمثل هؤلاء الرواد تحديا للتراث أم خروجا به الى تجربة الانسان المعاصر ؟

رابعا : وعلى هذا النحو فان مقاييس النقد القديمة او الحديثة ، المرتبطة بتاريخ النقد الادبي عند العرب او التي تبحث عن تجربة شعرية فذة تمنحها طابعا معاصرا ، تبدو في هذه الحقبة من حياتنا الثقافية ، في سديم غائم من شتى الاعتبارات الشخصية ووجهات النظر المرتجلة ، ومع هذا فاننا نستطيع ان نتبين ، خلال ما ألقي من الشعر أمس معطيات اولى تصنف القصيدة العربية من ناحية الصياغة والاداء ، في ثلاثة أنماط رئيسية من الايقاع الشعري تملك كلها في رأيي كل مقومات التعبير المعاصر : ايقاع القصيدة العمودية ، وايقاع المقطوعة الشعرية التي تجتزىء من الاولى بعض أوزانها وقوافيها ، وايقاع القصيدة الحديثة ، وهي ذات بنية جديدة كل الجدة ، تتجاوز رتابة الايقاعين السابقين الى تكوين عضوي متلازم لتجربة الشاعر ، لاسبيل الى استيعابه وفهمه الا بعد ان تكتمل هذه التجربة ، وتنضج ، وتفسح المجال بالتالي لتجسيد « الرؤية الشعرية » الى العالم من خلال ما ادعوه « بالقصيدة ـ الشاعر » .

خامسا : في سبيل شيء من التقييم الذي يتعلق بمضمون القصائد التي ألقيت أمس ، لابد من تجاوز « المذاهب الشعرية » المتعارف عليها ، التركيز على الايحاء المباشر الذي تحمله الصور والمعاني وتحمل معه موقفا شعريا معينا هو في الحقيقة موقفان واضحان الاول ينطوي على السلبية والقياس في النظر الى أشياء العالم ، والثاني يمثل شيئا من الصحة والعنفوان رغم كل ما في ايقاعه من تساؤلات حزينة وقلق حائر .

ففي شعراء القصيدة التقليدية يقف مصطفى جمال الدين نموذجا عفويا صافيا لهذا العنفوان . ان أصراره الفطري على رشاقة العبارة العربية وقدرتها الغنائية البليغة على التعبير عن تطلعات الوجدان الطيب ، مايزال من أكثر المظاهر جرأة على الايمان بان البيت التقليدي يمكن أن يروض ويتسع لكل المعاني « الحديثة » حين يتاح للشاعر من تجارب الحياة واكتشاف تناقضاتها ما أتيح له من اشراقة البيان . في حين تتنازع الشاعرين نعمان ماهرالكنعاني وصالح الظالمي محاولة الابقاء على المضمون المألوف في رصد الصور الحسية الدارجة والخروج بها الى الكثير من انطباع القلق الحزين والمعاناة الذاتية الموغلة في كآبة العزلة والتمرد اليائس .

ومثل هذا الانطباع الذي أصبح ـ لسوء الحظ ـ موقفا جماعيا يبدو على نحو أكثر شاعرية واشد مرارة في الوقت نفسه لدى شعراء المقطوعة (علي الجندي ، ممدوح عدوان ، أحمد دحبور ، فؤاد الخشن) مع ان علي الجندي يحاول ان يتلافى هذه السلبية برمز « النخلة » التي تمثل الثورة العقيم ، ولكنها مع ذلك ما تزال ذات جذور حية يمكن ان تنتظر موسم الخصب ، وعبثا نجد مثل هذا الامل البعيد في « حزيران » ممدوح عدوان ، رغم براعته في نسج الصور المرهفة في التعبير عن الانحدار . وقد يكون من التجني أن يؤخذ الشاعر الموهوب أحمد دحبور بهذه النظرة المريرة ، وقد عودنا في قصائده الاولى على الايقاع الحماسي المؤمن ، غير ان لجوءه الى الارضية السيريالية في قصيدته الاخيرة «رسالة الى الام .. ..» قد حمل شيئا من اصطناع المأساة على نحو غير مألوف في طبيعة تجربته الفنية الجميلة في ارتباطها بالوجدان الشعبي . وقد حاوول فؤاد ان يتجاوز الموقف ذاته بالصور الوصفية الحيادية وقد عني في رصدها بشيء من الروح الغنائية الحالمة .

أما لدى شعراء القصيدة الحديثة (خليل الحاوي ، حميد سعيد ، محمد الفيتوري ، أحمد عبدالمعطي حجازي ، آمال الزهاوي) فقد احتفظ حميد سعيد بكل ما يمكن ان يحمله أيقاع الضياع والرفض العابث من حرارة الاداء السيريالي الغامض ، سواء عن طريق الصور الغزيرة المزدحمة ، او عن طريق الرؤى « الفكرية » المشتتة . ان هذا اللون من القصيدة الحديثة لايمكن أن يدرس ويقيم الا من خلال ظاهرة الضياع بأكملها ، وليعذرني الشاعر حميد سعيد اذا توقفت عند هذه الملاحظة . وهو ما أقوله أيضا في قصيدة آمال الزهاوي . لقد تولى زميلي الدكتور كمال نشأت تقديم

الشاعرين الكبيرين أحمد عبدالمعطي حجازي ومحمد الفيتوري • ولكن لـي كلمة صغيرة حول المضمون الموضوعي الجديد الذي تحول اليه حجازي في قصيدته « الرمزية » هذه • انها موضوعية أقرب الى الحياد الذي أخشى ان تنزلق فيه تجربة هذا الشاعر الى نوع من التعبيرية ، القائمـــة ، لا تخفي شاعرية التجربة وتطورها في الاداء ، ولكنها تضع حدا بين شاعر « شدوان » الجماهيري الملتزم ، وبين الشاعر « الصامت » الذي يريد ان يصبح أياه • أما محمد الفيتوري فانه ما يزال يرسخ جذور تجربته المبدعة في أبلغ اداء عن قوة الارتباط بالمصير العربي •

واخيرا ••• طلب الشاعر الرائد خليل حاوي أن لا نتعرض له ، ولكن قصيدته القومية القصيرة تؤكد من جديد ان نسيج الريادة يلبث دائما طوع بنـــانه •

الأمسية الشعرية الثالثة

١٩٧٢/٤/٤

المتنبي وخواطر من اليوم

عدنان فرهاد

هيهات يبدع ما ابدعته الكلم ... فليعذر الشعر ان لم يعذر القلم
كفى الثريا شموخا في تألقها ... ان ليس تبلغها في شأوها القمم
وان اقباس نور من توقدها ... للمدلجين بها تستكشف الظلم
ان غاض للشعر يوما عذب مورده ... وغل صاد - فهذا سيلك العرم
أو صوحت ظمأ يوما أزاهره ... فمن نداك عليها تهطل الديم
او جاد قيثاره اغاني برائعة ... فمن صدى عزفك الايقاع والنغم
سعت اليك العذارى من عرائسه ... مجلوة - وبها من لاعج ضرم
واستودعتك كنوزا من مفاتنها ... فلم يصنها عذار عنك او عصم
قد كنت فارس احلام لصبوتها ... وكنت اول من تسعى له القدم

* * *

ياواهب الشعر آمالا مجنحة ... السحر منهلها والعطر والنسم
ومصطفيه بيانا مشرقا نضرا ... لا الشيب يدركه يوما ولا الهرم
تمضي العصور ويبلى ثوب جدتها ... وثوب جدته لم يبله القدم
خوالد في فم الدنيا روائعه ... وكيف لا تخلد الايات والحكم
كأن جبريل أوحى الذكر منزلة ... اياته فاصاخ البيت والحرم
وطوفت في الدنى للشعر معجزة ... فكل من في الورى اذن لها فم

* * *

لله (كوفتك) المعطاء ما نسلت ... وبوركت ارضها بل بورك الكرم
قد كان طالع سعد ان يجود لها ... بمثل من عقمت عن مثله رحم
لم يبرح المهد حتى شده ادب ... وضاق عن مأمل فيها له حلم
ولم يكد في نهاه يرتقي رشدا ... حتى تجلى له في ذاته العظم
كأن اطماحه بحر يفيض غنى ... في لجه غرر الامال تلتطم
ويممت خيله ارض (الشام) وما ... غير العلى مطمح فيها ومقتحم

يا قاهر البيد تحدو ركبه الهمم ... ويستحث خطاه مطمح نهم
ركبت انجادها والعلم مطنب ... وجزت اغوارها والعلم مغتنم
كان خيلك فيها وهي مصحرة ... يقتادها المجد لاتقتادها اللجم
والمجد اخلده في الدهر ما ابتدعت ... خوافق الفكر لا الالقاب والنعم
ورب معجزة في الشعر خالدة ... دويها دونه البركان والحمم
توارث الجيل بعد الجيل قصتها ... كما توارث امجادا لها الامم

* * *

(ابا المحسد) والاداب مأثرة ... للنابغين وصرح ليس ينهدم
والشعر ملحمة التاريخ يحفظها ... للملهمين وطود ليس يقتحم
بلغت فيه من الاعجاز ذروته ... وان اسمك فيه المفرد العلم
ماضار مجدك عملاقا يلاذ به ... ان قد تطاول حتى كعبك القزم
وأن هجاك صعاليك فكم هزأت ... من الصعاليك تسمى نحوها (ارم)
ابيت ان تلطم الشتام تزكية ... وجه اللئيم يزكى حين يلتطم

* *

وقفت في (حلب الشهباء) اسألها ... اين الامارة اين الملك والحشم ؟
وأين قلعتها تختال شامخة ... وسيف دولتها والقصر والخدم ؟
وأين منبرك المرموق جانبه ... وحوله قسمات الملك تبتسم ؟
وأين وفرتك السوداء تنشرها ... ان جاش في النفس يوماعاصف ازم؟
واين درتك العصماء تنشدها ... وصوتك الجهوري العذب يحتدم؟
(واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم)
(أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي ... واسمعت كلماتي من به صمم)
(انام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر القوم جراها ويختصم)
الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والرمح والسيف والقرطاس والقلم

* * *

وطفت بصر الهوى صبا يطالعني ... الخالدان بها النيل والهرم
استلهم الوحي منها وهي غانية ... تختال تيها على الدنيا وتحتشم
وكم لمصر بقلب من هوى عجزت ... ان تستبد به الايام والغمم
كلفتها وشبابي مشرق نضر ... ولم يزل حبها في القلب يكتتم
وجلت بالطرف في (فسطاطها) جذلا ... وصورة الامس في عيني تزدحم
كان الفا من الاعوام ما انسلخت ... من عمرها او توارت تحتها الرمم
وقفت اذكر (كافورا) وكم حفلت ... به الملاحم وامتدت له النقم
وكيف جل 'باء ان تقيم على ... ذل الهوان وانت العز والشمم
وكيف حاق بمجد جئت تنشده ... مقام ضر ، فاضنى قلبك السأم

وكيف جد بليل للرحيل هـــوى ... ولم تقف دونك الاخطار والعتـــم
كذا الاباة يهـــون الموت عندهم ... ولا تهـــون حياة دونهـا قيـــم

★ ★ ★

(ابا المحسد) والذكـرى معطـرة ... لولا الاسى في فؤادي اليوم والالم
وآفة الداء لا يشـقى بمحنتهـــ ... الا الذي هده الاعياء والســقم
وشر بلوى يعيش المرء محنتهـــا ... ان تستباح باوطان لـــه حـــرم
وأن يداس بأقـــدام العـــدو لها ... مجد تخوار بهـــا عن رده قـــدم
كفى التعلل بالامال ينسجهـــا ... وهم ويغدقها في الصدق متهـــم
ما كان للحق يوما مـن يناصـــره ... مالم يكن بيديه الصـارم الخـــذم
شريعة الغاب مأساة تذكـرنـــا ... ان الحقوق بشـرع الاقويـــاء دم
لهفي عليك فلسطين فما اهتضمـت ... حقوق شعب كما ابناؤك اهتضموا
ولا تحـدث تاريـــخ بمظلمـــة ... في الارض حاقت بشعب مثلما ظلموا
ما خان عهدك ابناء بتضحيـــــة ... وانما خانت الاطمـاع والذمـم
لهفي عليك وما الشكوى بمجديـة ... وكيف تجدي وفي اذاننا صمـــم
في كل يـوم لنا حـــق نوســـده ... للنائحات وللاعداء مـا غنمـــوا
ضاعت فلسطين واحزني لضيعتهـا ... فليس ينجدها عهـد ولا قسـم
فهل يعود (صلاح الدين)من جدث ... محررا ام يهب اليوم (معتصم)؟

★ ★ ★

شلت يداك (حسين) كم شللت يدا ... بيضاء ثائرة للحـــق تنتقـــم
شلت يداك فكم غالت بخنجرهـــا ... شعبا ٠٠٠ وهان لديك العار والوصم
عرق الخيانة دساس ٠٠ فلا عجب ... اذا تدنست الاخلاق والشـــيم
ان اسعفت كافرا بالامس توبتـــه ... فاليوم لا توبة تجدي ولا نـــدم
سيقبل الصبح وضاحا على وطنـي ... وسوف يهوى على اقدامه الصنـــم
والقتل خير قصاص للجناة ومـــا ... سواه من شرعة في العدل ترتسـم
فيا سليل خؤون كان مصرعـــه ... حكما من الله جل الحكم والحكـم
لم يحمه المسجد الاقصى وقد برمت ... به العدالة واستشرى بها البـرم
سيقبر الموت احلاما مدنســـة ... اوحى اليك بها مستعمر هـــرم
ما كان خلق بلادي عرض زانيـــة ... فيستباح ٠٠٠ ولاغنما ٠٠٠ ويقتسم

★ ★ ★

آمنت بالشعب يابى كل نائبـــة ... وان تواصل ليل او هوت رجـم
آمنت بالشعب سباقـــا لتضحيـة ... وان غلا ثمن للنصـر او علـــم
آمنت بالشعب يبني صرح وحدتـه ... وان قيمت حدود او ابت نظـم

فما سوى البذل للاوطان من شرف ... ولا سوى السيف من يخشى ويحترم
وما سوى الوحدة الكبرى لامتنا ... من عاصم ... فسواها الموت والعدم
هل في الذي ضاع من حق لنا عظة ... ورب خطب يعيه المدرك الفهم
ام بعد (سيناء) و (الجولان) من دية ... ام (طنب) اخرى بها قد يطمح العجم
فجدتي امتي ماضاع من امل ... فليس ينصر جيش و هو منقسم
وليس يقهر شعب وهو متحد ... ولن يبدد شمل وهو ملتئم
يانطفة المجد يا اما اهب بها ... بين جنبي نار الحقد تضطرم
شاي العزائم ما خابت لذى امل ... مطامح صدقت في بعثها الهمم
الاسد اسد اذا هبت لملحمة ... وليس اسدا اذا ماضمها الاجم
مازال جرح حزيران ينز دما ... وليس يلتام الا والضماد دم

* * *

(ابا المحسد) عذرا ان شكا القلم ... اليك وهنا وغاضت في فمي الكلم
قد كنت للشعر والفصحى نبيهما ... فكيف يبدع في قول سواك فم ؟

حوار عبر الابعاد الثلاثة

بلند الحيدري

حذار .. حذار فان قتل الاب اكبر
جريمة في التاريخ
دستوفسكي

يا كلكم .. يا غيبة الحاضرين
يا انتم ، المارون كل لحظة ببيتي المنكفيء الاضواء
والحاملون ليلي الثقيل في صمتكم المرائي
انا .. هنا .. أموت من سنين
ازحف من سنين
خيطا من الدماء بين الجرح والسكين
ـ نم ايها المجنون .. نريد ان ننام
ـ نم ايها اللعين .. نريد ان ننام
ـ نريد ان يعتقنا الظلام
يا ايها العدل المعلق في رقاب المائتين
يا انت ، يا ملاءة سوداء في الاقبية العتيقة
اصرخ بهم : قد كذبوا
فليس بين الزيف والحقيقة
الا دم ، جف على الاسفلت من سنين
جف فلن يذكره الجرح ولن تعرفه السكين
اصرخ بهم ... غدا اذا مر بنا الصبح
ستلتقي السكين والجرح
وبقعة الدم التي تحملها احذية العابرين
خطيئة اخرى بلا خاطئين
اصرخ بهم : غدا اذا ما استيقظت زنزانة السجين

اذا التقى المسجون والسجان
يسقط في عينيهما وجهان ٠٠ الله والشيطان
وليس الا قسوة الجدران
شهادة صفراء كالبهتان
وليس الا كوة كان لها انسان
ـ نم ايها المجنون ٠٠٠ نم ايها اللعين
قد تعب الصدى
وانغلق المدى على صراخك الحزين
واستيقظ السجان في السجين
نم ايهـا المجنون
نريد ان ننام ٠٠ نريد ان يعتقنا الظلام

* * *

كورس مشترك : ربنا ٠٠ ربنا ٠٠ ربنا
تعلم اننا لسنا من هؤلاء ولا من هؤلاء
واننا وجهك في الرجاء
وامرك في البقاء
فلا تأخذن الرائي بجريرة ما رأى
ولا السامع بجريرة ما سمع
فبالاذن التي اعطيت سمعنا
وبالعين التي وهبت رأينا والعين لا تشبع
من النظر والاذن لا تمتليء من السمع
وبمشيئتك القائمة على الحق نقول الحق
هلـلويا ٠٠٠ هلـلويا ٠٠

كورس نسائي :

باسمك ولد وباسمك استشهد في أزمنة الضيق
يوم ان عرفك في الحر المطلق
ويوم ان عرف نفسه في العبد الموثق
رغب فيـك
ورغب عنـك
فكان ان ثار بك عليك فقتل ، فاستشهد
ربنا ٠٠ ربنا ٠٠ ربنا
من عرفك في نفسه
كبر بك عن جنتك وصغرت به جحيمك
فلا هو من جنتك
ولا هو من جحيمك

هلـلويا ... هلـلويا ..

كورس مشترك :

غفرانك يا رب لسنا في هذا الصوت سواك ولا
في ذاك الصوت سواك .. لسنا
الا حقك في هذا الصوت وفي ذاك
نجتمع في الرغبة
ونموت في الرجاء
فان سمعنا فالسامع انت
وان رأينا فانك انـت الرائي

كورس رجالي :

عرفوك في المسافة فكنت الرب وكانوا العبد
فمن رغب في حريتك جردك منها وقتلك
فيلقتل بمـا رغب
يا رب .. الحرية حاجه
من ادرك نفسه في عبد فيه تجاوزها
في حر فبك
لتكون المسافة في الفصل كل الوعد في الوصل
بين الرب وبين العبد ..
هلـلويا ... هللويا ..

كورس نسائي :

باسم الرب ولد وباسمه استشهد فكان الانسان

كورس رجالي :

باسم الرب عدلوا وباسمه قتلوا فكان الانسان

كورس مشترك : ربنا .. ربنا .. ربنا
لسنا من هؤلاء ولا من هؤلاء
لا نحن من شهدائك
ولا نحن من مجاهديك
لسنا الا الحرف السامع ، لسنا الا الحرف الرائي
لسنا الا بعدك في خطوة انسانك عبر الارض
بعدك في الصحو النائم كل مساء

بعدك في النزع المتسائل في الف رجاء
* * *
القاعة ذات القاعه
بكراسيها
وبصوت مناديها
بعيون كلاب الصيد المغروزة في لحم اضاحيها
نفس الياقات البيضاء
ونفس الاحذية اللماعه
والزمن المتخثر في الساعه
ما زال كما ...
واللوحة ما زالت ذات اللوحة منذ العهد التركي
« العدل اساس الملك »
مـاذا ..
« العدل اساس الملك »
كذب .. كذب .. كذب .. كذب
الملك اساس العدل
ان تملك سكينا تملك حقك في قتلي
ـ صه لا تحك
ما اكذبهم .. ما العنهم
« العدل اساس الملك »
اوشك ان اضحك لولا اني
اترسب في الظن
فاوشك ان ابكي
ـ صه لا تحك .. لا تحك .. اصمت .. اصمت
وصمت .. وها اني
اسقط في بعدي الاول
وجهي يغرق في وجهي
عيني تبحث عن عيني
ها اني
اتمزق بين اثنين
رجل يصمت في طفل يسأل
* * *
باسم الرب .. باسم الشعب .. باسم القانون
سنحاكم هذا الوجه المتجهم كالارض البور الخائب كاللعنه
سنسمر في باب القاعة كفيه

وسنحفر في عينيه الجنه
ـ ما اكبر عدلك ياربي
ـ ما اكبر ظلمك في القاتل باسمك يا شعبي
ما اوسع ظلي
فلا جلي بعث الوعد المدفون
ولاجلي
صاروا الرب وصاروا الشعب وصازوا القانون
ولاجلي سيكون
الكل بلا ذنب
فانا وحدي المقتول بقتل ابي
والذنب وحيد مثلي
.....
.....
ـ ما اسمك
ـ لم اعرف لي اسما ... لا اذكر ما اسمي
فلقد ماتت امي
وانا لم اولد بعد بمعنى في اسم
ولاني لم احمل اسما
لم اعرف من كانت لي اما .... تلت ابي
ـ اقتلت اباك ..؟ قتلت اباك .. قتلا
ـ ت ابي
ـ سموا القاتل محمودا او احمد
مسعودا او اسعد
سموه اسما يدنيه من الصلب
فدم المجرم عرس الرب
دم المجرم ـ عرس الرب . عرس الرب .. الرب .. الرب
.....
ـ ماذا قلتم وبماذا تفتون
ـ فليعدم .. يعدم فليعدم
ـ باسم الرب ... سيعدم
ـ باسم الشعب سيعدم
ـ باسم القانون
ـ لا تغسل كفيك فلن تندم
فالجرم يطهره الدم

لا شيء سوى الدم .. دم .. دم .. دم .. دم
.....
القاعة ذات القاعة منذ العهد التركي
« العدل اساس الملك »
اوشك ان اضحك لولا اني
اترسب في الظن
فاوشك ان ابكي

* * *

كورس مشترك : ربنا .. ربنا .. ربنا
ها اننا مثلك نولد في التكرار لنخلد في العادة
مثلك في الصيف الذاهب والصيف الآت
مثلك في الحجر الساقط في الموت بلا مأساة
مثلك في درب المحراث
يا ربنا
افردتنا في البعد فرأينا الكل
واضعنا سرك في الاجزاء
صرنا حقك في القاتل مذ صرنا حقك في المقتول
فدروب المحراث سواء
تجرح في ذهابها
تجرح في ايابها
والجرحان رجاء
هلـلويا ... هللويا ..

كورس نسائي : ساعة ان ولد في الرغبه
نسيك في الوعد القائم في النار وفي القار وفي الرهبه
فتيبس ثدياها
جفت شفتاه على ثدييها
سأل عنها فيهم
وتسآءل عن وجه ابيه ليعرف قاتل امه
صرخوا في وجهه :
ما اسمك .. ما اسمك .. ؟ من لا اسم له لا ام له
ما لا اسم له نكرته ابوته
ـ اعطوني اسما لاصير به حبكم في الارض ، لاصير
به وعد محبه
قالوا له : اسماؤنا صلبانا
تتعذب فيها .. نحلم فيها .. وسيعرفنا الرب بها

يوم الدينونه
لن نعطيها ما لم نعرف وجهك في القاتل او وجهك
في المقتول
.....

يارب .... لقد اسقطه حقدهم في الغربه
هجرته مسافتهم .. سحبوا ارضهم من بين خطاه
فكان انت ، وكنت القاتل والمقتول به
هللويا ... هللويا ...

كورس رجالي : ربنا .. ربنا .. ربنا
يامن سمعت باذننا .. يا من رأيت بعيننا
باركهم في القتل فلولا اسمك ما قتلوا
ادنيتهم منك .. فكنت ، في مسقط نورك فيهم
وعدهم بالحق .. فالحق .. هم
وكان المتنكر لك بينهم فأدين بحقك فيهم
ضيقت مسافتهم
فالجزء هو الكل لديهم والمجرم من لا يعرفك
في هذا الجزء ، او ذاك الجزء
فكيف بمن لم يصعد جبلا ليبارك مسكنة الروح
ليبارك من يرثون الارض
ليقول لهم :
طوبى لكم في الجوع وفي العطش
في الحزن
وفي المزن الساقط باسم الرب
ليقول لهم : لن يفسد ملح الارض
ربنا .. ربنا .. ربنا
ان تقبله شهيدا من اجلك في الحق .. اقبلهم
في القتل طريقا للحق
هللويا ... هللويا ...

* * *

باي شيء تحلمين الان يا مسالك الرماد
اي رؤى قد صيرت عينيك ارض الله والميعاد
فامتدتا دربين اخضرين
وكنت كل الارض ، كل الجنة السمحاء في الدربين
طوبى لكم

ما ارحب السماء بين غمضتي جفنين
ما ابخس الجنة اذ نبتاعها بالدين
نامي اذن
ثرثرة الغابات لا تسأل عن اذنين
نامي اذن
فالليل في مسالك الرماد
يصير ارض الله والميعاد
يصير في عينين
دربين اخضرين
ولتصرخي كما تشائين اصرخي ، بوجهي المرمي
تحت ارجل الجراد
بكفي المسمره
بالجسد الموصل بين ناره وبين من يحلم خلف
المبخره
كما تشائين اصرخي :
كذبتم ٠٠ لم يكذبوا
لم يصلبوا الحق وان قد صلبوا
مسيحنا
فدربنا ليس زقاقا اسودا
ولا دما على زقاق اسود
ولا فما عض على شهادة لموعد
قولي لنا :
كذبتم ٠٠ لم يكذبوا
فالحق ليس شارعا يلتف كالحبل على المدينة
ولا يدا ضنينه
الحق هذا السفر الوضاء عبر الزيف والاجلام والسكينه
قولي لنا ايتها الخدعة : ان ناموا كما ننام كي ندرك ارض الله والميعاد
قولي لنا :
الحق ليس الحد بين الموت والميلاد
ناموا كما ننام
ليرجع الدربان بالحق الذي تبغونه ، ابيض كالاحلام
فلم تزل اعينكم ملأى بما تحمل من نعاس
تحمل من مآذن ولهى ومن اجراس
تحمل من درب الى الله بلا سجن ولا حراس
ناموا كما ننام

ما ارحب السماء بين غمضتي جفنين
ما ابخس الجنة اذ نبتاعها بالدين
••••
كذبتم ·· كذبتم ·· كذبتم
ـ نم ايها اللعين
اتعبتنا ·· ارهقتنا ·· قتلتنا
نم ايها اللعين ·· نريد ان ننام
نريد ان يعتقنا الظلام
لا توقظ السجان في السجين
ـ اقسم لن انام
تموت عيناي ولن انام
وانني اسخر من دربين اخضرين في مسالك الرماد
انا هو الدم الذي جف على الاسفلت من سنين
يعرفه الجرح ولن تنكره السكين
انا هو الموت الذي يجيء كالميلاد

* * *

كورس نسائي :

يامن صيرت قيامك في ذاتي كلمات عزاء في زمن الضيق
ونداء محبة ، يوم الغضبة
ما اظلم انسانك في الفرد ·· اذ سواك على شكله
ليقايض مجدك ، ذاك الخالد بالوجه الفاني للانسان
كانوا ضدك ، ساعة ان ظنوا انهم نعموا بمحبتك
ارضوا ودك
باسمك قالوا : فليفن هذا الابن العاق
هذا الراغب ان يصبح صنوك في المجد الباق
ففنوا فيه
وتأبد منهم
عاش الانسان نزوعا في الانسان وماتوا
في صفرة كفيه وسكتة عينيه
وتلك ارادتك
تلك مشيئتك في الدرب الصائر دربين
الاول يستر نفسه عن نفسه ويعود لامسه
والآخر يكشف نفسه في نفسه
والدربان

وعدك ان يبقى ووعيدك ان يفنى
الاول يسقط في الخارج ، لتصير الاجساد معابد
ان هرمت ، هرمت في الظل نبؤتك ..
امست حجرا تتستر خلف كثافته ديدان الارض
وولائم ديدان
والثاني .. كان انت بلا معبد
يا ربنا القائم في الانسان
جنبه الحقد المتربص في النيران
جنبه وعيدك في البغض .. وفي الرهبه .. وفي اللعنة
من يرفض وعدك بالجنة ، يبقك في الارض محبّه
هللويا ... هللويا ...

كورس رجالي : اللهم .. اسمعنا
لا عذر لهذا الانسان
سدت اذناه فلم يسمع اجراسك يارب
عميت عيناه فلم يبصرك وراء الصلبان .. اجل يارب
جحدت شفتاه عطاياك فكان الخاسر في النكران
وكان ... وكان ... وكان
لا عذر لهذا الانسان
فلقد شفناه
ورأينا خنجره الغائر في قلب ابيه
وسمعنا دم ذاك المظلوم
ينعب مثل البوم
يسأل عنك وفيك
يارب .. قتل الاب .. اكبر من كل خطاياهم ، السبع
يا رب
لا ترحمه ، فتصير الرحمه
دربا للقاتل والمجرم والآبق
مأوى للسارق من بيت ابيه
ارث الانسان الى الانسان
الهنا الخالد في الحرف الموصي بالعدل المتصلب كالغل
المتعنت كالقتل
الهنا الخالد في الحرف القائل :
ان كونوا كالصيف الذاهب والصيف الآت
كالحجر الساقط في الموت بلا مأساة
هاذا يبقى من ارضك ان ثار الابناء على الاباء

ماذا يبقى من امسك ان صار الحاضر نفيا للامس
ان صار الطهر شبيها بالرجس
وبماذا تطعم نارك يوم الدينونه
ولماذا يحلم من يحلم بالجنه
يارب ٠٠ ان كنت ستعفو فلماذا اوجدت الذنب
لا ترحمه ٠٠ وابح لهم دمه
وليرجمه الحجر الساقط في الموت بلا مأساة
هللويا ٠٠٠ هللويا

* * *

ولاني لم احمل اسما
لم اعرف لي اما
صيرت حليب الثدي اليابس سما
مت به يوما ٠٠ عشت به يوما
وكبرت سؤالا ٠٠ ما اسمي ٠٠ ؟
من كان ابي ٠٠ من كانت امي ٠٠ ؟
يا ناس هبوني اسما
اسما يحملني وعدا ، رعدا ٠٠٠ غيما
مطرا قد يوعد بالنعمى
سموني اسما
مسعودا او اسعد
محمودا او احمد
اسما يدنيني من الرب
اسما يدنيني من الصلب
اسما ٠٠٠ اسما ٠٠٠ اسما
فانا يا ناس بلا اسم
سكين اوغل في قلب ابي
٠٠٠٠
وطرقت الابواب ٠٠ بابا ٠٠ بابا
ورشوت البواب
استجديت امرأة ٠٠ طفلا ٠٠٠ شيخا وشبابا
ماردوا
لا باب ينفك ولا شباك ينسد
ان جاء مساء
امسيت رصيفا في هذا الشارع
تسحقني اقدامهم

ابيض بها حينا ، احيانا اسود
ان جاء صباح
اصبحت قمامة زبل لا تعد ..
ورغيفا نتنا في كفي طفل جائع
وبكيت هنا ... وبكيت هناك
وتسكعت هنا ... وتسكعت هناك
ابحث عن نفسي في عنوان ضائع
مرت آلاف الاسماء
لوحات .. الوانا .. اضواء
اسماء تخنقها ياقات بيضاء
اسماء تعرق تحت معاطف سوداء
اسماء بيوت
اسماء شوارع لا يحصيها عدد
مرت .. لم يسألني احد
من ابكاك .. من اين اتيت واي حليب بلل فاك
... لا احد
فقمامة زبل لا تعد
ورصيف الشارع لا احد
....
ها انـي
اسقط في بعدي الثاني
عيني تبحث في عين ابي
عن موت انسان
ها اني
اتمزق بين اثنين
هذا المرمي على الدرب ، صراخ امرأة يستنجد بي
اقتله ... اقتله ... اقتله
وانا الغائر في التوبة حتى الذنب
....
ياوجه امي المنفي بلا كسرة خبز او قطرة ماء .
لم عدت .. ؟ اما ادركت بانك مت ككل الاشياء
وصدئت ككل الاشياء
فلماذا عدت الي
لا شيء لدي ، الا جبني وبكائي المشدود الى اذني
فلماذا عدت .. لماذا عدت .. لما ...

يا وجه امي المنفي
انزع وجهك من وجهي
اقلع كفك من كفي
يكفي ، ان اسقط في عينك وجها آخر منفيا في عري الصحراء
افقر من عري الصحراء
افقر من كسرة خبز او قطرة ماء
فلماذا عدت الي ... ؟

* * *

مسيرة الخطايا السبع

١ ـ ومرة ركضت خلف ظلي
حاولت ان امسكه
حاولت ان اصير فيه كلي
وعندما انحنيت كان
منحنيا مثلي ... محدقا مثلي
في كسرة عتيقة من وجهي الطفل
ظلت بلا ارض ولا زمان
ظلت بلا ظل

* * *

٢ ـ احلم .. كي ارفض ان اولد في محرار
لانني اعلم ان الليل والنهار
لن يسألا : اين انا
في الثلج ام في النار

* * *

٣ ـ وامس اذ ولدت في حقيبة لامرأة مريبه
ادركت في مرآتها
كل الذي اجهل من اسرارها الرهيبه
ادركت ان ارضها اصغر من حقيبه

* * *

٤ ـ وعندما نفيق او ننام
لا نحفر الارض ولا نبحث في الركام
عن وجهنا المطمور بين كومة العظام
ولن تقيس عمرنا
جمجمة تيبست في قبحها الاعوام

نحن هنا ... مسافة
تجهل ان تطول ... او تقصر في ارقام
اذ ليس في طريقها مدينة
تولد في استغاثة الصباح او تموت في انحناءة الظلام
وليس في سنينا ايام

* * *

٥ ـ ساعة ان تغمر صحو حلمنا البحار
ننساب في التيار
اشرعة تحمل في حنينها اللؤلؤ والمرجان والمحار
او منية لصبية صغار
تمرح في شواطيء عذراء ما مر بها اعصار

* * *

٦ ـ انا امرأة
ولدت في ليل شتائي طويل المدى
فكان ان سددت باب غرفتي
اغلقت شباكي على الرياح والنجوم والصدى
فصار بيتي مدفأه
ونمت كي اولد كل لحظة في موت

* * *

٧ ـ لكي نظل نحلم
ان جاءنا مسيحكم كنا كما ارادنا ادعية تتمتم
وان ابحتم قتله
صرنا له المسمار والنار التي لا ترحم
وحسبنا من كل ما كان له
من كل ما شاء لنا
اقنعة جوفاء لا تبكي ولا تبتسم

* * *

نداء الخطايا السبع

كررت الف مرة باننا زائفون

زائفة ايامنا
وزائف الهنا
وان ثقب بابنا
ليس له مفتاح

وانه ما حبلت شمس به ولا زنت رياح
وانه ما كان
الا طريق الموت والنسيان
والف ٠٠ الف مرة قلت لنا : بانه لن يكون
وعدا لنا في الصباح
واننا ٠٠٠ زائفون
واننا ٠٠٠ ضائعون
واننا لا ارض ، لا شمس لنا واننا حالمون
هلا علمت ، اننا الشمس التي تدفئنا
واننا الصبح الذي نريد ان يكون
فأطفيء قناديلك يا مجنون
نريد ان ننام
نريد ان يعتقنا الظلام

* * *

كورس مشترك : ربنا ٠٠٠ ربنا ٠٠٠ ربنا
هلا غفرت لنا ٠٠٠ ذنوبنا
فها نحن كهؤلاء وهؤلاء ، نترسب في صوتيهم
ونتوه في المسافة الضيقة ما بين عينيهم
شئنا ان نبصر ٠٠ لم نبصر
شئنا ان نسمع ٠٠ لم نسمع
فالارض مسافات يا رب ، الارض مسافات
ولكل مسافه ، ابعاد قد تبدأ من هذي العين ولا تبدأ
من تلك العين
قد ترحل من هذه اللمسة لا من تلك اللمسة
والحق هو البعد المتحرك بين الاشياء
بين الانسان وظل الانسان
بين الزمن المتغلغل في الداخل
والزمن المتخثر في الخارج
يا رب فمن ٠٠ بعد عنك ٠٠ لم يرك
يا رب ومن ٠٠ قرب منك ٠٠ لم يرك
والقائل : اني ، انا الرب ٠٠ لم يرك
ربنـــا
ربنـا ٠٠ ربنـا
هلا غفرت لنا ٠٠ ذنوبنا

فانت ، انت اقمت الناس حدودا
صيرت الواحد منها نفيا للآخر
ليكون الموت خلودك في الارض
يا ربنا ·· في الحب وفي البغض
اقبلنا شاهد عدل ·· لم يبصر شيئا
لم يسمع شيئا
لم يدرك الا بعدك بين الاشياء
يصير رجاء في قلب
ويصير فناء في قلب
والخالد مثل الموت ·· هو انت يا ربي

* * *

ان خفت
تسترت بجوعي عن خوفي
وكبرت على ضعفي
ان جعت
اقتتت بجوعي
ومددت ذراعي لجياع خلفي
وكبرت على ضعفي
واذا جفت شفتي ، يبست كظهيرة صيف
اوسعت لها جرحا في كفي
خبأت به صوتي
خبأت به شفتي
ونطرنـا
وانتظرت ان تندى في زمن النزف
وكبرت على ضعفي

····

ومشيت دروب الناس
لملمت خطاهم ··· لملمت رؤاهم
ما يسقط منهم في رقم او حرف
فعلمت بان السراق هم الوجه الاخر للحراس
وعلمت باني بين الناس
وجهان لهذا العبد وذاك النخاس
وعلمت باني في الجبل الشامخ حدبة كهف
فكبرت على ضعفي

ما هنت ·· ولا شنت ولا كنت
الا الموت الناطر في حد السيف
والمقت المترصد في الجوع
وفي الخوف
فاعتقني يا زمن النزف
انزل ابليسك عن كتفي
سادك جبالهم
ساهد كهوفهم
وساوقظ في موتهم حتفي
ـ صه لا تحك ·· لا تحك ·· لا
لن اسكت ·· لن اسكت ·· لن
يا انت الحجر الساقط في الموت بلا مأساة
كـن موتى
كي تولد في الزمن الآت
كن جرحا في كفي
كن افعى في صوتي
كن انت ، الله الانسان بلا موت

* * *

ماذا قلتم ·· وبماذا تفتون ··؟
فليعدم ·· يعدم ·· يعدم ·· فليعدم
باسم الرب سيعدم
باسم الشعب سيعدم
باسم القانون

* * *

أكره ان اشنق في مفارق الطرق
ـ تشنق في
ـ ترجم في
تحرق في مفارق الطرق
ولن تكون شارة لقرية ، او مرتجى مدينة
ولن تكون ملتقى دروبنا في منية
ولا يـدا
تبحث عن دفء دماها في يدي
هنا ··· على مفارق الطرق
غدا تصير مسربا للريح والرمال والغسق

وتنتهي
لا جبهة كنت ولا ...
دمـا ... ولا
فمـا ... ولا
الا جذى تلك الرؤى ، وذلك الملقى ...
ـ اجل وذلك الملقى هوى اضاء دربا واحترق
ـ كذبت ... لا
لا شيء غير رمة للصقر الجائع ... لا
شيء سوى جمجمة تصفر فيها الريح ... لا
شيء سواك مأتما وميتا ملقى على مفارق الطرق
....

يا ايها الناس
ايتها المآذن الولهى ويا اجراس
ـ من يوقد النار له ..؟
ـ انا .. انا .. انا .. انا
من يغرز المسمار في كفيه .. من ..؟
ـ انا .. انا .. انا .. انا
من يجمع الحجار كي نرجمه ..؟
ـ انا .. انا .. انا .. انا
....

يا ايها الناس
يا وجهي الآخر في الانسان
يا وجهي الآخر في المسمار والنيران
يا وجهي الممحي بين الله والشيطان
متى ... متى
تدرك ان من اتى
بوجدك الحي يظل حيا
يولد في مسمارك الغارز في راحته نبيا
ـ تكذب يا مجنون
ـ تكذب فالمسمار درب المطرقه
ـ جدفت يا ملعون
يا وجهي الآخر في الانسان
الى متى
تصير لي في مرة سنبلة

ومرة تصير لي كل حبال المشنقه

* * *

كورس مشترك : ربنا ... ربنا ... ربنا
شاهدنا شيئا لم نفهمه .. ورأينا حقا لم ندركه
وجه امرأة محفورا في جبل قرب المفرق
ورأينا في عينيها نبعي ماء
قمـــرا
ونجومـا
وســماء
ورأينا الجسد العاري ، رغم الصقر الجائع
والريح الملعونة والليل الداج
رغم المسمار ورغم النار .. يتحول ارضا
خضراء
وسمعنا صوتا .. لم يأت من ارضك يا رب
لم يأت من تلك النار الموعودة .. يا رب
لم يأت من جنتك الموصودة .. يارب
صوت امرأة قال :
ابني لم يشنق .. ابني ما مات
من مات اذن قرب المفرق .. يا ربنا
يا ربنا
من مات اذن قرب المفرق ..؟
والمرأة .. تلك المرأة من كانت .. يا رب ..؟

خواطر بطل عادي جداً

يوسف الصايغ

غداءٌ
غداءٌ
غداءْ ...
من اسماعيلَ الى « واحدْ » في قمر الموتْ
الوحل الاحمرْ ناقصْ خمسهْ يساوي اثنينِ . أكررُ : ناقص خمسهْ يساوي اثنينْ
انّا لعشاءٍ سريّ ندعو . وبخمر الفصح ومائي ، أغسل أقدام أحبائي ..
فوداعاً : الليلة يسلمني أحدٌ منكم للموتْ ..
[فالكل يرقبُ اللهفة في أصابع انفجارهِ ، والصمت في وجوده الناسِ يرتدي ضراوة الاعصار . قال (راءُ) أمسِ لي ...]
الصديقُ يقتلني أولى ، والمدية في كفّ حبيبٍ غفرانْ .
أما أنت ، فتنكرني قبل صياح الديك ، ويقتلني النكران ، وأغفرُ ..
فاسألْ من غفروا . نذروا للعباس وما سجدوا ..
وبقرآن ابن الجمعة ، والوعدِ ، وشدّةِ وردٍ :
كل حبيبِ أتبعهُ ، يوهمني بالتجربة الاولى ، فأموت على يدهِ — يا طيبةَ قلبي — وأصدّقُ موتي ..
فلاسماعيلَ المتضامن في رغبته بالموت ، وبالدفء وراء لثام فدائي ،
أعطني شبهاً بالذين أحبُ ، اقترحني أخاً للتي عيّروني بها ،
افترضْ ، موضع القلب والشفتينْ .
وارسمْ قمراً لاثنينِ أنا وحبيبي في منتصف الثوره ..
وارسمْ عشر نقاط للحب وللتفتيش .
نما شعرُ القلبِ ، وطالَ ، فجاء يمشّطه بأصابعهِ ،
لكنْ سأكررُ : من إسماعيل الى « جبل النزهة » في عمانْ ..
حيّاكم .. ما زلنا ننتظر الاغصانْ ..

[أصبحت الكتابةُ اليومَ ، كمن يبحثُ عن وصيةٍ . مات كثيرونَ ، أحسّ أن أمسِ كان في خيالِ رجلٍ غيري ، أواننيِ خلقت من جديد ..]

في اللحظة ما بين دمي وقميصي .. حين تصيرين أمام الموت امرأتي ، وتجيئين الى قلقي ، عارية الازرارِ ، مشعّثةً ، ترتعدينَ ، وتنمو اللذةُ في جسدي .. تنمو .. تنمو ..

يأتي رجل في القاعة يوقظني ..
اذّاك احس باني كنت أمثّل دور شهيدْ ...
وأصير على أطول موجات الصمت نداءْ
نداءْ
نداءْ ...

دشّنّا كل اكاليل الشوكِ ، وجرّبنا تفاح الصحراءْ .. [تحوّل الرصاص عصفوراً ، ونحلةً ، وصارت « الدوشكا » فنادق المشاةِ ، والعيون تلتقي على الانقاض باللوازم الحميمة المبعثرة ..]

ما ترى ؟ والذي عاد من موته ، مزدرى . ختنٌ جرّب العجز عند سرير العروسِ .

كمنّا له خلف باب شهادته ونَطرنا أنين البكارهْ
نراهن دون عذاباتهِ ظفراً وانهيارا ، ونرقب في عجزه خوفنا الابديْ .

فملنَ على سرّه يا عذارى ، واستترن على ابن الناس بزوج يمامٍ أو فرخ حمامْ .

يكفيه أن له ندماً في النومِ ، وآخر في الصحو ، كانك ملتبسٌ ، وبوجهينِ ، فايهما تختارُ ، وأيهما ترفضُ ، من لذتينِ ؟ !

فواحدة لليمام القتيلِ ، وأخرى لنبض الدمِ المستحيلِ ، وثالثة اللذتينِ اذا صدقوا ..

من يخادعُ طيرا على دمهِ ؟ أو يجاذبُ باكرةً ماء منديلها ؟ . تهمةً ؟ مسّدوا الشاربينِ ، وشدّوا حزام خناجركمْ ..

[فالمرأة الفولاذ ، تزحف الان الى « الحسين » ، في جنزيرها الاغراء بالموتِ ، وضدَ الريح .. تقطع الطريقَ .. فالغبار والدمارُ والبارودُ والدمُ الذي يشبه في نحوله القمحَ . اختبا « ألفْ » من خوفه النهارَ كله ...]

فللرفاق في ملابس الاعداءِ ، والاعداءِ في ملابس الرفاقِ ،
والاعداءِ في ملابس الاعداءْ ...
الدم في العروقِ لا يصير ماءْ
نداءْ .. نداءْ ... نداءْ
سوءُ الفهمِ هو السفّاكْ
والبحر له سوراتٌ : سَمكٌ يتعشى سمكاً
فبماذا يتعشى السماكْ ؟
وأنا رجل ، متهم ببرودة كفيٍّ ، وبالخوفِ المبهم فوق فراش التجربة الاولى ..
وبأني أمشي في النوم الى هدفٍ مجهولْ ..
وبأني ارسلتُ الى نفسي عشر رسائل ، كي اتثبّت من عنواني ..
والحق أقول لكم : عنوانُ العصرِ قتيلٌ ما ، لا يعبأ بالاسماءْ
مشغول عن عادات بطولته ، بعناد الطفلِ
فلا يعنيه أن اسمه منسيٌ بين الشهداءْ
لهذا خجلتُ . تدبّرتُ وجهي امامك يا امرأتي . قلتُ كيف سابدو غدا ان حملتُ اليك قتيلا ؟
أغمضتُ عيوني . وفغرتُ فمي ، وأملتُ على كتفي عنقي ، ورأيتُني مقتولاً قدام المرآة ، وصرت شهيداً لا أجمل مني ..
ـ لا أجملَ منك امرأةً ، ساعة ذاب الشمعُ ، وكان لنا متّسعٌ في المشهد قبل ختام الفصلْ ..
يستأجرني العالمُ للقتلْ .
كل حبيبٍ أتبعه ، يشترط الموت ، ويعطيني رقماً ، ويؤشر عند اسمي الساعة ، واليوم الموعودْ .
وأنا ابتعتُ لليلة حبي تذكرتين ، فكنا اثنين انا والقاتل في منتصف الثوره .
[تشتعل القنابل الحرام من شرارةِ 'تحدَس في عيون الثائرين . أمطرتْ . أحسست أن الموت انسان بلا معنىً ، وأن من رأيت مقتولاً على الطريق ، لم يمت .. وانما نام من الاعياءْ ..]
نداءْ .. نداءْ .. نداءْ
من جذر الاعداد المجهولة ، للخبز اليابس والجبناءْ
ـ أوحشتْ ساعتي .. أوحشت حلقة الحب في بنصري ، كنت بين الهزيمةِ والموت متهماً ، واعتراني البكاءُ على سوء حظي ...
ـ فلماذا تتعجب للقسوة ؟
تبكي للطير وأنت الاقسى ..

لو جاوزت حليب الام ، وعانيت فطامي ، ما عاقبتك بالعودة قبل مغيب الشمس الى رحمي ... ووصلت بسرّتك المقطوعة حبلي ...

ـ فالى اين تسافر يا منفياً عن مقتله ؟

ـ اعددت حقائب للتطواف . كويتُ قميصي للهجرةِ ، كان القلق السري يسابقني في طرقات يملأها الشحاذونْ ..

طوّفت شوارع تحمل اســـماء رجالٍ قتلوا .. ورأيت الســاحات تماثيل من الياقوت ، فحكّتني الغيرة في قلبي ، وصرخت : اذن .. اين مكاني ؟ أنتصبُ الساعة فوق رخامةِ قبري ؟ اتحــوّل تمثالا ، وأموت ؟ فلا يُستهزأ بي ؟ أخافُ ...

[اخاف من يدي . فهي التي تجــرّب الان مذكرات الحزن ، كانت طول هذا اليوم ، تضغط الزناد ، أو تقلّب القتلى ، وتحفر القبورَ للاصحابْ ..]

جوازاً الى هربي ..

يا جواز المرور ، وفيتُ الضرائبَ ، أعطيتُ كل ديوني

غسلت يدي وفمي وعيوني

فخذني الى بلد لا تكون الضرورة فيه عذابا

وعوّض باهلك عن اهل بيتي صحابا .. فاني تعبتُ

فمن خط النار الى خط النار نداءْ

اللبن الاحمر للاموات ، وفاكهة الخيبة للاحياءْ

لتلك التي ما تزال تجربتي عند اسوارها برتقالاً ، وفي سورتي عوســجاً دونه الموتُ

تلك التي ما اشترت لي لثاماً ، وغدارة في الطريق

فاني تسليت عنها بجوعي الى وحدتي ، وبعدّ الحصى في عروقي ،

وظلت ضرورتها ، فزعاً يقتفيني .. فاهربُ ...

ـ ما تسمعون الدماءَ تهاجرُ من تحت اقدامكم ، فتغــوص بها عجــلات الدروع ، وترسم منها خرائط للنكسة المقبلةْ ؟ وترسمُ ..

[لم أستطع أمس كتابةً . فبطول الليل كنا نزرع الالغامْ ... تضــاءل الـ (إم دي) . وفي المساء أخذت مكبرات الصــوت تدعونا للاستسلامْ ..]

.... والاصحاب ، انصرفوا . وضعوا الصمت وكيلاً فوق مقاعدهمْ . مرّوا بحدود المسرح ممتلئين بغطرسة المتفرج . خلّوا « يوسف » مبتلاً بالافكارِ ، وقالوا :

ـ يا ابله . ان البدعة ان تبحث عن موتك في الكلمــات ، فما زلت تداجي لغة لا تعرفها ، وتدجّن نفسك في الثورة ، كي تضمن في دائرة العصر وظيفة موتكْ ..

ـ خلّفتُ ورائي ٠٠ انثى السنوات ، وصـــرتُ الكهل المنبوذ ، اجربُ قمصان بطولتهم، وأحاذرُ من اني لا أملك أن أملأ أيّاً منها٠٠
ـ صفرٌ في كل الاعداد يساوي صفراً من ايلول الى ايلول نداءٌ
٠٠٠٠ لقد اعلنت ساعة السجن في الوطن المستباح تفاصـــيل دفن الشهيد ،
ـ تعالوا نشيّعه قلقاً واعتذارا
كانّا نعالج من خلفه ذنب أنْ مات من دوننا ٠٠ صدفةً ٠٠ غفلةً٠٠ واضطرارا ٠
رمادٌ لوجه الحضارة اذا كان فيها الشهيد يموت انتحارا ٠٠
فانتبهوا : [اصبح كل شيء مشـــرفاً على ختامه ٠ مات الكثـير من رفاقنا ، وشح عندنا الرصـــاصُ ، لا طعامَ ٠ والعمود الان يستعير صوتاً راعباً وحاسماً ٠٠٠]
وأنا وحدي ٠٠ بملابس من قرن لم يأتِ ، تناديني الارض ، فاصرخ :
ـ يا أرض بلادي ، يا خشباً للمسرح ٠ اي قتيل فوقك يملك ان يدفـــع عن نفسه سوء الظن ؟
سالمٌ دمى رملاً عجباً ٠ واقول سلاماً ٠ نحن الان هنا غرباء ، كلانا لا دور له ٠
فتعال نمثل قدام مقاعد فارغة ، كل الادوار الممنوعة باسم القانونْ٠٠
وتذكرت مقاطع من اغنية التمِ :
وكنت وحيداً كالحبل المتـــدلي في غرف الاعدام اذا خلفـها القتلى والجلادونْ ٠
ورجعت اليها : ندمي جرس الباب، ومنتصف الليل حبيبلايرحمْ٠٠
كان عذاب الموت على المسرح ينبض في لغتي
وسمعت وراء الباب خطى سيدتي ٠٠
فتمنيت على هذا الجرس الموحشِ ان يوقظ كل الابطالِ المفصولين بغير ارادتهم ٠٠٠
أن يجمع من فشلوا في ادوار الحبِّ ، وادوار الغيرةِ ، والموتِ العمدِ ، وسوءِ الفهمْ ٠٠
من رجل مقتولٍ ، لرجالَ شجعانْ
حياكم وصلت كل الصلبانْ !
[واقتحم المشـــاة فجأة مخيم النزهةِ ، دُمّر المقرّ ٠ والقتال الان من بيتٍ الى بيتٍ ، وفي انتظار المقبل المجهولْ ٠٠]
تسللت في غفلةٍ عن عيون الجناة ، وقلت ســـابني بهذا الدم المتبقي عواصم للنازحين ، وحين ابتدأتْ ، رأيت الناس وراء نوافذ من قلق عذب ترقبني ، حتى ادركنا الحراسْ ، وأفرغت الساحة من قلق الناسِ ، وخيل لي : ان رخاماً يتقوّس من

فوقي ، وبان اكاليل من الورد الورقي تمس جبيني ، وبأني
اتحوّل في جندي مجهولْ ...
أرأيتِ الى بيتي ؟ وسمعتِ الابواق تحييني ؟
فأحبيني : جرسٌ للباب ، وآخر للاحبابِ ، وتنتظرين قدومي ، فوق
فراش العرس ، مضمّخة بهزيعٍ ،
فبأي دم اخفي عنك الخيبة يا امرأتي
(ان الروح تجيش بصدري لكن الجسم ضعيف)
ـ فان عدت من سفر يا حبيبي ... والفيتني نمت عنك لطول انتظاري
وألفيت خائنة في ازاري ... فلا تأخذني بعاري ...
تذكر باني انتظرتك عمداً .. ثلاثين ، حتى تضرّج في جسدي البرتقالْ
لا توقظني . دع وعدك يلمس قمر الغربة في روحي .. واترك حبّة قمح
فوق سوار المرجانْ ...
من عمانَ الى عمانْ
من تموز الى ايلول وكل شهور حزيرانْ
ـ لو كان يباع سوار المرجان بعينيّ ـ عميتُ ـ وعدت لها بسوار
المرجانْ ..
لو كان 'يقامَر .. أو يسرق ... أو كان كما في الحبِّ ..
فرشت له ، وتعرّيت دماً ورخاماً
وأكلت التفاحة من شجر الحرمانْ
لكنْ صار الصمت نداءْ
والموت نداءْ
والحراس على الاسوار ، رأوني أمشي في النوم ، فصاحوا بي :
ـ قف ... قف .. سر الليلْ ..
قفْ سر الثورة !
وقفتْ ساعاتُ العمر على كتفي وانتظرتْ ، فرفعتُ يديَّ ، وفتّشني
الحرس الملكيُّ ، وفتشني الحرس الثوريُّ ، وفتشني في لغتي الموت ،
فمن يعطي للثائر في ساعات الرعب هويتهُ ؟
من يمنحه الطاقة ان يختار اذا سألوهُ عن سر الثورة ؟ ..
[يوزع الرفاق الان ، كل ما نملك في المقر من طعامْ ..
وكسرةً ، فكسرةً تقتربُ المجاعهْ ...
ويصبح العمود عادة ويصبح الـ ...]
ـ بطلٌ بالوراثة يا سيدي ، كيف بي حين تفحص لي مسحةً من دمعربيٍّ
فلا تلتقي نسباً ؟
تراك ستلعنني ام ستلعن هذا الزمانْ ؟
فانا رجل مقتول في الشعر وفي الحب وفي العادات اليومية ..

وأنا أسكن محض اجوري ، وطموحي ما زال كفاف اليوم ، وعاطفتي
تحسب لي ، عشراً برغيف ... واراهن بالشـــعر على جسـدي ،
وبتجربتي الاولى ، واحاول وجهي بيدي ،
فالويل لكم : من يقدر أن يختار ملامحه أو يوم ولادته .. والموت ؟
عقاقير السرطانِ .. وبا « لسكتهْ القلبيه » !
[الطائرات الان تقصـف القرى ، وتفتح النـار على الاهلين ،
والجنود في مخـيم النزهـةِ ... قيل لي أن أتـرك المكان
للوحداتِ والطريق للوحدات موت مثلما هو الحسينْ ...]
وظلت تحرّضني : وأنا ملصق فوق نصبي
يتدلى حتى الحافة كفاي .. أكاد أمسّ الماء وامنعُ .. انى للقوس
الخائف ان يتحرك عن محورهِ ؟ انى لي ان افتح عينيّ وانظرُ : ان
كنت تمرّين .. تمرّ السنواتُ . وعشراً ، قالوا ــ ما جئتِ ، ولا
سلمتِ ، وسال الماء من العنق الى القدمينْ
وظلت تحرّضني ...
ــ دون ما تشتهين ... اتركيني مقتولاً من أجلك في نصـــب الحريهْ ..
النهر النازل من منبعه ، جسداً صار لهذا الجيلْ
الكلماتُ .. الكلماتُ ..
اخضّر المعدن بين المرفق والساعدِ ،
واكتنزت بدمي في الكفّين السبابة والوسطى ..
قولوا : ايهما للقتلِ وايهما للحبْ ؟
لو كان الموت كما في النصب لاوصيتُ على موتي بقياس اكبر ،
واخترت نحاسي ..
قلت له : في المعدن متسع لاثنين . فما خلاّني ...
ظل يمد الى الحافة كفّين هنيين ويشبع موتاً
ظل يلاعبني بين السبابة والوسطى ...

المربد ١٩٧٢

الموت والميلاد

علي الحلي

صليبا ·· عدت قبل الغربة الاولى
بلا قدمين ، او كفين ابحث عن ربي وطني
وعن بيّارة الشهداء ، عن نعشي وعن كفني
كأني مت آلافا من الاعوام في ومض من الزمن
وكنت الموت والميلاد ابحر دونما سفن
افتش عن يهوذا تائه قبلي
بلا زادٍ ، بلا ذكرى ، بلا اهل
حزيران المدمى كان في كفني ···
وفي جلدي ، وفي اغفاءة الشجن
مسجى ينخر التابوت ، يهذي القصة الثكلى
ويغري الفأس والحفار بالافصاح عن رمسي
وعن امسي الذي اغفى مع الخطرات ···
والكلمات ···
في الكتب

ولم يترك له رجعا ولا لونا ولا ظلا
على اوراقه ··· الصبار والصفصاف والدفلى
ولم يجرح شموخ الشمس والابراج والشهب
ولم يحرق حداء الطير عبر مشاتل القصب
كأن لم يخفق الوجدان ، لم يسفح له جرح
ولم يفتض سور الرعب ، ينحر فدية القتلى
فضجت قبل خفق الطين للديمومة ··· الريح
رمايا امسك المصلوب مثل ترابك المنسي
بقايا النقش في « غرناطة » الاولى ···
نفايا الحرف في « الحمراء » سقيا غصة العرب
تصادت من صهيل الموت ···· للميلاد واللهب

* * *

سألت الموت والميلاد عن جرحي ، وعن نسبي
عن الثأر الذي قاءته في صلواتها الريح
متى تصطك في اجداثها ... الموتى ؟!
متى تنسل من اكفانها الفرسان ،
تلفظ مجدها الميتا ؟!
وتزحف كالافاعي السود فوق سباسب النقب
تجذ مخالب التنين ، تقتات الدجى الطفلا !
وتشرب من صديد جماجم القتلى
عظامي ما تزال تلملم الصوتا
وتعرى من عواء العار ، تصرخ بالدم الكذب
متى يايونس الموعود يبرح جسمك الحوتا ؟!
ونحتض الضحى الزنجي مثل تساقط الزغب
فضجت قبل همس الرعشة المقرورة .. الريح
بقايا رمسك المرجوم غطى قعره الملح ! .
وعافت زاده الغربان بين موائد الموتى
ولم تترك له وسما ولا ظلا
على بوابة النسيان حين تثاءب الصبح
وعرى جدبه الصيفي فوق طحالب الامس
وكانت نخبة الاحياء تطعم من دم الموتى
وتشقى من خواء الغربة ... الدفلى
تعب المحل والغثيان ... من خمارة الزمن !

* * *

سألت الصحو والعتمات عن ظلي
عن السر الذي اسرى من التعب
مع الفادين عبر جنائز الشهب
ولم يحفر على سمت السنا .. نحتا
متى يا جرح ، يا سكين .. يطفيء جمرنا الطل
وينأى عن قطيع السبي ، قبل مخاضنا ، الليل
فضجت قبل رعش الطين للاشراقة ... الريح
سيبقى في مدب الاعرق المنزوفة .. الجرح
على شطانه .. الاشواك ...
والحلفاء ...
والملح !!
بلا نعمى من الينبوع .. آه .. تحجر اللمح
وفرت من صهيل البعث ، من اطلالة الشمس
بقايا موكب الموتى !!

قراءة في مرآة النهر المتجمد

أحمد المجاطي

يمسح وجه الراية الحمراء
يدقها في ساعة الصفر وفي منابت الاسماء
يغمسها في زبد الاحجار
يكتب في اجرة « عاش » وفي اجرة « يسقط »
ثم تسقط الثورة والثوار
لكنني اخرج من سوالف الاوتاد
امازج الاعشاب والاسماك والطوبا
ادق باب السجن في مراكش ،
أفلت من محفظة الجلاد
ارسم فوق جبهة السلطان
علامة الثورة ثم انثني دؤوبا
اغوص في قرارة الامواج مصلوبا
أغوص لا أرى سوى أحذية الفرسان
وصدأ الحديد في أسلحة الميدان

* * *

كأن ذاك الاطلس العاشق حين رقرق الماء
بكى دما ، وشق في الصحراء صحراء
فها انا على مدار الطحلب الجافي
انسج من تسميتي ، ومن نعتي ، وأوصافي
خط مداد ، مطرا جائع

لافتة تسير في الشارع
نيافنول الزمن الضائع
دمي على مصارع الابطال نوارة
رسم على معصم
ثروة أسوارة
سلافة تخرج من اقبائها القديمه
وها أنا على مدار النصر والهزيمه
امسك حد السيف ، سور القصر ، ما النهر
رأس الوطن المقطوع ، لون العلم المرفوع
أنزع ثوب الهاش والحاشية الخرساء
انقض صك البيعة اليتيمة
ادسه في قبضة الاطفال
في ولع الاطفال باللعنة والشتيمة

★ ★ ★

كبرت يا نهر ، نمت من حولك الاغصان
وخرجت احجارك السوداء من اسمائها ،
وخرج الزمان
فمن يقول ان هذا السور ، هذا القيد ،
هذا التاج ، لا تخرج من اسمائها
ندى وصهباء
ومن يقول ، ان ذاك الاطلس العاشق حين رقرق الماء
بكى دما ، وشق في الصحراء صحراء ؟!

تحية البصرة

حافظ جميل

ها قد تحقق يا فؤاد رجائي ... ونزلت ضيف البصرة الفيحاء
فلأصدحن مجددا ما كان لي ... بالامس من طرب بها وغناء
ولأهبطن بايكها متظللا ... بوريف ما فيه من الافياء
ولأتلون على خمائل شطها ... نفثات اشواقي لها وولائي
بلد الرحابة والسماحة والندى ... وخميلة الادباء والشهداء
فخر البلاد اروعة وحضارة ... ام النوابغ دارة العلماء
هيهات تبلى رغم احكام البلى ... ذكرى هواي لاهلها الودعاء
فارقت احبابي بها وتعللت ... نفسي بعاجل اوبة ولقاء
فاذا بطول البين يجتاز المدى ... ويزيد فرقتنا طويل تنائي

* * *

يا للاحبة ما عساني ذاكر ... مما اتاحوا لي سوى النعماء
كم ظل منهم من رعاني وده ... وجزيته ما يقتضيه وفائي
قست السنون علي حتى لم تدع ... لي في نواهم من جميل عزاء
ان كان ماء العين سح لبعضهم ... فلطول عمر الاخرين دعائي
املي بان اجد النجابة لم تزل ... سمة البنين الفتية النجباء
فلطالما ورث البنون مكارما ... تربو على ما كان للابناء
ما جاوزت بغداد في افضالها ... ما عند اهل البصرة الفضلاء
ان كان من ذكرى لهم لا تنمحي ... من خاطري فشمائل الكرماء
لا يعرفون المال الا انه ... وقف على الاضياف والنزلاء
ولقد اقصر حين اطري معشرا ... جلت مآثرهم عن الاطراء
بوركت يا ثغر العراق ولا عفا ... اثر النعيم بارضك الخضراء

يا صاحب التاج

حافظ جميل

يا صاحب التاج لا تأمن رعاياكا ... فكلهم ان طلبت العون اعداكا
هيهات يجديك من قد تستجير بهم ... الا مواليك اعمتهم عطاياكا
يا صاحب التاج والتاريخ ذو عظة ... هلا احطت به فهما وادراكا
اين العروش التي تاه الملوك بها ... أخلتْ عليائهم من دون علياكا
لو قيس مجدك بالامجاد لانبهرت ... من عز من لبسوا التيجان عيناكا
رب الملوك وان كانوا جبابرة ... يأبى عليهم له في الملك اشراكا
يا صاحب التاج ليس التاج ابهة ... يخر هذا لها او ينحني ذاكا
التاج في رأس من لم يرحموا ملكا ... ملطخا بدم الاحرار سفاكا
ارخت بال عدو كان يقلقه ... ان لا بقاء له في الارض لولاكا
مازلت تعلن عن شتى جرائمه ... حتى لادهشنا للصلح مسعاكا
واي صلح مع الاعداء تنشده ... ان لم تدمّ الذي بالسيف دماكا
ولو صرخت بوجه الظلم تجعله ... مجاهدا في سبيل الحق لباكا

* * *

يا صاحب التاج كم تاج وصاحبه ... دنياهما ذات غدرٍ مثل دنياكا
فمن لعرشك من يحمي جوانبه ... اذا استعنت بجندي فاعياكا
ومن لتاجك من يجثو لهيبته ... اذا دنا منك موتور فأرداكا
عقبى الخيانة اغبى الناس يعلمها ... فهل علمت مصيرا مثل عقباكا
اكل من ذاد عن اوطانه فتكت ... به حرابك ارضاء لمولاكا
الم يحل دون (اسرائيل) تغضبها ... وكنت حتى اذا ثرثرت ينهاكا
ما زال يتخمها مالا واسلحة ... حتى رمى عظم خنزير فالهاكا
ليت العروبة لاعاشت ولا شهدت ... مرآى عميل لاعداها كمرآكا
بلوى العدو وان طالت وان عظمت ... فلا تعادل ما جرت بلاياكا
قد كان بطش (هلاكو) في فرائسه ... وانت ابطش منه في رعاياكا
اني لاخشى اذا ثارت حفيظتهم ... ان لا يكون ببطن الارض مثواكا
في كل يوم تفاديهم بمجزرة ... هات السجل الذي يحصي خطاياكا
ينبيك (ايلول) عما سال من دمهم ... اليس اخوتك القتلى وابناكا
صدورهم برصاص الخصم ناغرة ... ومن وراهم جحيم من شظاياكا

ا انت والطغمة الاشرار ترأسهم ... مطية لهم ام هم مطاياكا
سل كل من رمت ان تلوى صلابته ... ان كان ابدى خنوعا ام تحداكا
اتشتهي ان يقول الناس قاطبة ... انلا إله لهذا الشعب الاكا
دع للكفاح شبابا لا يثبطهم ... ما يفتريه عليهم كذب دعواكا
واحدب عليهم وشاركهم مسيرتهم ... اياك والعرش يستهويك اياكا
وعدت سيدك الاعلى بمحوهم ... أكلُّ هذا ولم تكشف نواياكا
زعمت انك ماح فوضويتهم ... لم الق مثلك في التضليل افاكا
نحى بغدر العدا من جمعهم فئة ... وانت شعبك طرا من ضحاياكا
دم (الحسين) ليدعو الله مبتهلا ... ان تلعنن السما من كان سماكا
بايعت مولاك طوعا فارتضاك له ... عبدا ولكن على الاحرار ولاكا
اغمضت عينيك عنهم غير مكترث ... فالعرش غرك والدولار اعماكا
خل المشرد من اهل ومن وطن ... يموت من جوعه صوما وامساكا
ماذا يضيرك والصحراء مسكنه ... ما دام في شامخ الابراج سكناكا

* * *

يا صاحب التاج من للتاج يحرسه ... ان صد عنك الذي بالامس والاكا
عدو شعبك (امريكا) وانت لها ... عبد تدوس بنعليها محياكا
ماذا يهمك ان اسست مملكة ... تزيد من شعبك المنهوك انهاكا
ظننت انك تجتث العدو بها ... فما اقلك ادراكا واغباكا
ا انت تخدع شعبا ليس يخدعه ... مكر العدو الذي بالمال غذاكا
اعطيته من ضحاياك التي نحرت ... اضعاف اضعاف ما قد كان اعطاكا
ماذا يريد وقد برأت ذمته ... وصافحت كفه الحمراء كفاكا
ومن انابك عن شعب رأك له ... الد اعدائه بغيا فعاداكا
فضلل الناس فيما انت صانعه ... وليشتموك (فينغوريون) زكاكا

* * *

ياصاحب التاج بئس التاج يحمله ... مهين رأسك لا عالى سجاياكا
هلا تذكرت كم حر فتكت به ... ام ان بطشك بالباقين انساكا
غدا ترى ان للاحرار جولتهم ... ترتد مذعورة عنهم سرايا كا
غدا تصافح من (عبدالاله) يدا ... وفي جهنم (عبدالله) يلقاكا

الوحش والاسئلة المميتة

خليل خوري

الى المعلم الرائد

يقف الوطن المنتمي لهزائمه عند مفترق الطرق : الاسئله
ترتدي نفس اثوابها
بمرارتها ، بتحرق من يعبرون ولا يعرفون
يقف الوطن المحتمي بتعاويذه بين سيف الغريب ، وسيف بنيـــه
وابو الهول ما مل ! لكن احجبة الحيوان الخرافي تبقى بغير جواب
يقف الوطن المرتدي ذله بين حيرته ورؤوس الحراب ٠
والطروادات
العشرون
المنهارة لم تختر غير الشكوى للسطان ٠
لكن السلطان اختار النوم ، السلطان نؤوم ضحى
العصر يدق على ابواب الشمس ، ولكن السلطان نؤوم ضحى ،
يتمدد في حجرات البرج معافى ما بين السياف وبين السجان ٠
محروسا بالخيل الفولاذ ، وادعية الخطباء ، وحكمة اهل الـرأي ،
وبالايمان بأن ملائكة الرحمن تقاتل عنه ٠
وفرسان الجان !
والطروادات
العشـــرون
المســـــبيه
بخيول بنيها الخشبيه
تبكي ! وتظل تلح الاحجيه
وتظل بغير جواب اسئلة الحيوان !
مرة ترتدي صوتك المسرحي ٠ وآناً تظلل بالرمز صوتك ٠

آناً تصيح بغير رموز • بكل فجاجة صوتك • وآناً تنـادي بحنجرة
تتصادى بأوتارها نبرات الفجيعة ،
آناً •• تلون صوتك ، لكن صوتك يبقى بغير صدى :
فقد اسمعت لو ناديت حضيا ولكن لا (حياء) لمن تنادي •
ونناقش في جلسات المساء المخارج ، نبحث درب المداخل ،
نسأل عن علة اللعنة المتواترة ، الموت ، وجه السقوط ، الخديعة
ننهش عرض المقاهي ، الكؤوس ، اللفائف ، ننحر
افئدة النظريات عل بها مخرجا ، او جوابا ،
ونعوي
وتعوي
بأعماقنا الاسئله
ويصير الجواب هو المعضله
انها صفحة
تتكشف عن •
صفحة •••
ويصير الجواب سؤالا ، يصير السؤال حصانا الى خدعة
هكذا ترتدي طيبة يأسها •
وتظل المتاهة تلتف ، تخنق طيبه !

⊙

خلعت نجمة ثوبها واستحمت بضوع القـراءة في صفحـة قرأت :
لف اليأس الآباء تعالوا فلعل لدى الاطفال جواب الاحجيه
نجمة ثانيه ،
فتحت صفحة قرأت :
يدري الاطفال جواب الاحجيه
ابصره محفورا في اعينهم ، واشارات الايـدي ، ايماءات الغضـب
المكتوم ، ولكن الآباء فمن منكم :
يأذن للاطفال بأن يلجوا باب الوحش الاسطوري الجاثم
فيقولوا الرد ، لعل الوحش يموت ؟ ومن منكم
يقنع آباء الاطفال الممنوعين من القـول بأن الاطفـال نمـوا :
كبروا
شاخوا
من هول الايـام الحائم • !
ورأوا
في طيبة تنينا يتعاطى تمزيق البسمات
ورأوا

سلطانا يسكر في حرم البيت
ورأوا نهرا ينضب دما حيا في البحر الميت
ورأوا
يحيى رأسا مرميا ما بين الشهوة ، والسكين ، وفخذي عاهرة تزني
في قصر السلطان الزاني بتراث اخيه ..
ورأوا
في ستة اعوام اهوال قرون عشرين
ورأوا ارحام النسوة لا تعطي الا اطفالا بشعور بيض فدعوا الاطفال
يقولون الرد لعل الوحش يموت .
فجأة
ولدت لغة يتزاحم فيها التساؤل عن :
هل تقوم القتيل ؟ ومن حز بالسيف شريانها ؟
اترى تركوا كوة عند رأس القتيل فيعبر منها الصدى ؟
كفنوها ؟
بماذا ؟
ومن ؟
كيف ؟
هل ؟
ومتى ؟
ولدت لغة ثانيه :
فئة صغرى غلبت فئة كبرى فمن المؤمن ؟
هل نرفض ام لا نرفض ؟
هل نرضى بالقسمة ام لا نرضى ؟
هل نذعن ام لا نذعن ؟
ولدت لغة ، ولدت لغة ، بلبلت اهل طيبة ، صارت لغات ،
وظل السؤال بغير جواب .
ضحك الوحش الجاثم من اسئلة الاطفال ، الوحش يريد ردودا لا
اسئلة تتراكم غابات غابات . اغفى الحيوان .
تعبا اغفى ، في ظل السلطان الغافي
في ظل السياف الغافي في حضن السجان ... ! فما اغبى الاطفال ،
واسئلة الاطفال !
ثم لما انحنوا فوقه نائما وجدوه
دثروه بصمتهم رجعوا ولهم بينهم لغة يائسه !.
يا نخيل انحن الان فوق القتيل لعل بها رمقا من حياة
ربما .. انه زمن المعجزات

زمن الموت والبعث والموت والبعث نهر التحدي ٠
وعندي
لعينيك ، يا طيبة الحزن ، عندي لعينيك
ميتة ، حية ، وطن في فؤادي ،
افتحوه
تجدوا وجهها ، تجدوا وجهها الآدمي الذي شوهوه
وعباءتها ، وجدائلها ، ومرايا سباها
ولها صورة ما مشى الجوع فيها على وجنتيها ،
ولارث فستانها الليلكي،ولا خنقتها رياح السراديب،والغزو ،والغدر٠
من انت ؟ من انت ؟
شاهد عصر الخيانات ، ابصرت في طيبة ، كل من مثلوا ،
والذين تقاضوا لتفتح اسوار طيبة ، من مهدوا ، ارشدوا ،
جبنوا ، هربوا ، اسلموا ، استسلموا ٠ غرقوا في التواطؤ ،
من انت ؟
جالد احلامكم في الوصول ٠
تحاميتكم ! اسأل الان ، والوحش في لغتي نائم ، اسأل الان :
ان جاءت الصفر فرصة ان يتحول ، يصبح شيئا سوى
الصفر ، في نهزة من زمان الجنود ،
اياكل لحم اخيه ؟
اكلتم لحوم العشيرة ، ابصرتكم واحدا واحدا تأكلون لحومكم ، واحدا
واحدا انا ابصرتهم رقصوا في جنازتها ٠
افتدرون كيف تهاوت سياجات طيبة ؟ كنتم مفاتيح اسوارها والدليل
اليها ، الخيول الخشب !
واحدا واحدا انا ابصرتهم :
يزلق الفحل منهم بين البياض وبين السواد ، وبين القتيل ، وبين
الكفن
فاسمعيني
تحاميتهم رسموك على دمهم لقمة ، في ضمائرهم
درهما ٠
كان لحمك زاد الوليمة ، عابوا
اشتروك وباعوك في حلبات الصيارفة الجند
ابصرتهم واحدا واحدا يكتبون التقارير
عنك وعني
هو العصر ، عصر الجواكر ، والحذلقات ، واحذية الجند ،
والبهلوانات

ارفضهم انهم ..

انت قومي تري دمهم في مصارف من وظفوا دمهم .
يأنف الشتم ان يتدنى ، لهم صفحة في سواد التاريخ يوم يصاح بهم، ويغربل فيهم ..

سيخفض ابناؤكم من نواظرهم كلما تليت صفحة عنكم . واحدا واحدا سقطوا والمسيرة شوط طويل ، ولكنهم سقطوا ، انهم كل عار انوصول :

احتموا ببقايا رفاتكم
ان تكن ابقت الفرص السود
منكم رمادا . ولكنني

اعرف الدرب : اعرف من فتحوها ، ومن عبدوها ، ومن سقطوا دونها هربوا في اوائلها ، غادروها الى السوق ، اعرف من صمدوا في مفازاتها

فاحتموا

انني طيبة المتعبين ، تعالوا ارح من ضناكم واثقالكم أتناس جروحي .

فما وطن للذي سوف يأتي سواي
ولا وطن للذي سوف يأتي سوى ان اكون

فاحملوني وموتوا اذا راودوكم ، وموتوا اذا قهروكم ، وموتوا اذا عيروكم :

فانتم لاجلي تموتون . اني براءتكم ، ووسادة راحتكم والطريق .

انكم وجهي المتسائل عن لونه اين غار ؟ وكيف تقاضت دماه الليالي العجاف ؟

وربيعي الذي عقه المطر الآدمي احتواه الجفاف وزناي

لأني اهملتكم يا صغاري ،
وكنت اظنكم المرتجى واخاف .

اتبجح ان الثدي التي ارضعتكم تمد الى تربتي نسبا ، واخاف ثم اصبح خوفي افعى وصار بني رماة وصرت انا دمية الساحرة .

يتناوشني رمحكم . ثم القيتموبي الى الجب في ليلة ، شاهدي بصمات اياديكم ، ودمائي على وجهها ، وشماتاتكم ، وخداع المرابي الذي راودتني خزائنه وابيت

فكيف ؟

وكنت اعلمكم ان تشدوا حزامكم ، وتقولوا لمن يتساءل

فيم شحوب وجوهكم • ان تقولوا : وطاوي ثلاث ، ففيم
اذن بعتموني
انا طيبة الطيبين •
طيبة الترتدي جرحا بين سيف الغريب وسيف بنيها •
اكذب عنكم ، اكذب عنكم
ولكنهم افحموني وقالوا :
بأن كان منكم ـ رأيت القميص الذي قُدَّ من دبر ، والذي قدموه دليلا ـ :
بأن كان منكم افاع ، وان كان منكم ثعالب
ان كان منكم سعال ، وان كان منكم ارانب •
لكنني :
سأكذب عنكم ، اكذب عنكم ، اكذب عنكم ،
الى ان تعودوا
ونلقى جواب السؤال ،
وننحر في دمنا وحشنا ،
ونعود !

١ ـ ٥ ـ نسيان ١٩٧٢

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

عبد الرزاق عبد الواحد

كل من مات
اسقط عني وعن نفسه عبء ان يشهد الآن
لي او علي
فأني اخاف شهادة امواتكم
ارتضيكم شهودي
انا المستباحة ذاكرتي
المؤجل من يوم مقتله رهن تحقيقكم
نُشرّ الناس
كل القيامات قامت
ومازال منتظرا
أ اذا جاء يسعى نظرتم الى بعضكم ؟
ما الذي تنكرون ؟
الم تبصروا قبل ميتا يراجعكم ؟
الف ميت تركت على الباب
بل واحد يتكلم عنكم
ولحظة يدخل في بهونا
يغق الباب من خلفه
ثم يقتل ٠
دافعتهُم
وركضت الى سترة كنت خبأتها
ورجعت كما الطير
احمل نشوة موتي القديم
ودافعتهم ٠٠
: انا عندي بطاقة موت

عندي سيف في خاصرتي
لا املك مقبضه
لكني املك خاصرة فيها سيف
ورهيف حد النصل
واحضنكم حد تمزق احشائي
زهوا في خاصرتي احملكم
آه
ويقتلني زهوي
لكن ياحيفْ !
ان عندي بطاقة زهوي
بطاقة موتي القديمة
يامن جعلتم من الموت منعطفا
وجعلتم من الموت مختبرا للدموع
وكان الشهادة تمنح للمتخرج فيكم نبيا
وصغَّرتم الموت
حتى تأبطت الناس اكفانها
افان جئت اسعى نظرتم الى بعضكم ؟
انه القتل عمدا
ى جسدي موثقا بين قضبان اعينكم
وتقولون : شُيعتَ ...
يخذلني الحب حتى اوافقكم
وللمرة الالف يقرأ اسماء امواتكم
لم يجد اسمه بينهم
مات من دونما شاهد ؟
ليكن ،
سلموه جنازته
ويوقع الا تكون على قبره اي شاهدة
وتركت على الباب الفا
قرأت عرائضكم كلها ،
كيف كذبتموهم ؟
كلهم سمعوا هاتفا
كلهم ابصروا علما ضرب الماء فأنشق
قالوا تبارك موسى
وخاضوا .

قمن سحب العلم المستقر من الماء ؟
فرعون ؟؟
ام ساورت ريبة قلب موسى ؟
فقالوا خذلنا
ودار بنا الموج
كل المرافيء كانت تضيء
ولكن اعيننا نذرت لفنار
من القلب تصعد خفقة مصباحه
فهي تبحث ..

* * *

ثم سمعنا بأنا نعينا الى اهلنا
فرجعنا
ونقطع من لحمنا
ونريهم دما تتوهج رغوته
فيقولون :
لكن دفنتم ..
كسر النابض فيك اذن
فتأرجح في الماء كما تهوى
لاتخضع الا لشروط اللعبة تلعبها
اما الموت فمسألة اخرى
انهي الا اسماء ..
بل انزلتم سلطانا
وحكمتم بالموت ونفذتم اعلانا
وتركت على الباب الفا يلاحقني صوتهم
سلهم ، متى يطلقون سراح جنائزنا ؟
: لا تعد قبل ان تتبين ،
ها انا الان اسألكم
ها انا الان اسألكم
ويعاتبني صدقكم
ويعاتبني الناس فيكم ،
ودرب قطعنا معا ..
ويعاتبني انكم خيرنا رغم ما كان
ينكسر الغيظ في راحتي غصنا
كنت اشهره لاصول عليكم
اذا مسكم اورقت كل اشواكه

واذا اخطأت وخزتني
يا ما بحثت
يا ما بحثت
انا المستباحة ذاكرتي
عن دليل لاسواقكم
لميادينكم
قلت اهلي
فما ولد الفطر في حائط رجلا
وعرضتهم لي اليتم حتى انكسرت
وأنكر ان اتبنى على كبرى
انني شخت حد ابيضاض العيون
ونظرتم الى بعضكم ٠ ٠
وي ،
اصر على تهمة اتلبسها !

صرت فيكم لقيطا
وقد كان مائي
وكان انائي
وكان القميص الذي ترفعون خضيبا قميصي
واذكر اني ٠٠
ولكنني لم اعد اتذكر
ذنبي اني نسيت على الدرب ذاكرتي
قلت يعرفني الناس
ارتضيكم شهودي وان كنت اجهلكم
كلكم تملكون جراحا
كلكم ستدينونني
غير اني احذر اسر عكم للادانة اني سأسأله
ولقد كنت املك ان اتهاوى برأسٍ اعلقه
فوق رمحي

* * *

وقيل انتصف
عنق وسدتها المقادير سيفك
ان هو الا كما تطرف العين
توفيء للكتفين
فينزلق الرأس
تعدو به بطلا

وتأملت ..
الفيت حنجرة جحظت ،
واستطال من الخوف بلعومها
لست ادري لماذا تذكرت اعناقكم فأرتعدت
* * *
وقيل انتصف
اترى ؟
انني لم أخيرّ
وها انا ادخل وجدك ياجر
لكن من الطرف الاخر المتمزق
فأغفر مكابرتي يارياحي
ما كنت املك نفسي في حالتي
لهذا اموت
وتملكها ،
ولهذا تموت
وشتان ما بيننا
ان تطارد موتك حتى تطوعه
ويطاردني الموت حتى يطوعني
حين قدمت رأسي لهم
رفضوا
قلت لا أدعّي عنقا لست صاحبها
فأمنحوني بطولة رأسي
ضحكوا
قيل لولا تركتم اخاكم يمارس حرب الطواحين
هل كان دربي طويلا الى عصركم ؟
انني لست احمل ذاكرتي
وانا مستقر على ان اقاضى
فليفرش كل منكم ذاكرة البطل القادم من سيناء
وليحش بعيني قميصا خضبه في الاردن
وليدفع وجهي بالعار
لأني لم اقتل في القدس
لأني لم اقتل في الخرطوم
لاني لم اقتل في كل حروب الرده
لأني لم اقتل وكفى ..

جئت من حيث جئتم جميعا
ربما كنت منهزما ،
لست ادري
فعند الهزيمة لا تسأل الخيل فرسانها
ركضوا وركضت
طريق قطعناه
كل اتجاهاته علمتها الحوافر
من يدعي ان حافره ملك الاتجاه الصحيح
الى الموت ؟
واقفا بين اجساد قتلاكمو اتفصد خوفا
ولم اغمد السيف
اعلم اني حملت دليلا علي
لقد كنت ابحث عن شاهد لمكابرتي
عندما وطأتني حوافركم وهي تركض
في كل منعطف
ايها الناس ..
من يسمع الصوت في زحمة الموت ؟
الخيل تركض
والارض تركض
يا ايها الناس
جرحاكمو
اهلكم
جثتا قبل يوم وقفتم لها خشعا
تتقاذفها ارجل الخيل
فلتتقوا رحما سوف تسأل اعينهم
كنت منهزما ؟
ربما
غير انك لم تتحرك
احاطت بك الخيل
نودي بالويل
صاحت بك الصائحات ولم تتحرك
ثكلتك
ايهما اصدق الان ؟
هذي العيون الغريقة في دمها ؟

انها جفت وحّد الموت فيها البطولة والجبن والصدق والـ ..
حملقي في ايتها الاعين المستباحة حد التألق

ايكما اصدق الان ؟
انت وصمتك ؟
ام كل هذي الحوافز تضرب اذني ؟
ايكما اجرأ الان ؟
من قال انك لم دتفصد جميع خلاياكِ من خوفها ؟
تملكين لسانا ؟

اذن فأسكتي
انهم يملكون
ولكن موتك انبل
سمعت اللهاث
رأيت الى العرق المتصبب منهم يخالطه عرق والخيل
كانوا صغاراً

صغاراً الى حد اني بكيت لهم
فتشرختُ

صار مداري شطرين
بينهما برزخ للهزيمة
ثوبي شطرين
افردت بينهما عاريا
صار وجهي شطرين
شطرا لوى عنقي لا يبارح اجساد موتاكم
وشطراً تطاير بين حوافركم

* * *

أ أقول اعرضوا خيلكم ؟
انها دعوة للشهادة تصفون منها

فقد ضاعت الخيل
فقد ضاعت الخيل
او نفقت

وأنا ؟
ان لي شطر وجهي الذي ظل عند الحدود
ربما حجرت جثث الميتين معالمه
ربما شاه

لكنه الآن وجهي

* * *

حينما عدت
الفيتكم تولمون
وابصرت نسوتكم في الجوار
يطرزن قمصانكم
ثم يعرضنها للصغار
انكسرت على زهوهم
وسمعت تفاصيل مثل الاساطير
انصت
الفيت نفسي غريبا
فقيرا
أضعتُ ولم التفت بين امواتكم
خُرجَ ذاكرتي ..

١٩٧٢ - ٣/٢٠

ماقاله اخر الخوارج لصغيره

خالد محيي الدين البرادعي

تقحمت اعناق الملوك بفيصلي
لابعد وهج النار عن مقلة الطفل
وأقطع وحي الخوف عن مهد فكرة
تراءت لمحزون يموت على مهل
وباعدت ما بين الجحيم وبينه
بفرش دمي بين الغنيمة والقتل
ووزعت نعمى الارض كلا لحاجة
وخلفت عرش العهد من عنت يغلي

* * *

وقلصني الضرب ، حتى قعدت ،
وحتى اتيت صغيري
لتحمل عني رايات قوم جياع سيوفهم الالسنه
وبوعد ما بينهم والتراب ،
بوهم الاماني بتزوير رؤياهمو
وحوّل مصحفهم اعجمي الحروف ، ولحّن اقصوصة ،
للبكاء ، واغنية محزنة
ومزق جند الخليفة ثوب السلام
وجاسوا بأمن الديار • وفر الصغار •
وساءل طفل اباه عن الارض ما حل فيها •

وهل يبلغ المرء في داره مأمنه
وجن جنون البغاء ٠ ونام التراحم
واستنفر العور
والضرع جف ٠٠
وضيّع كل امرىء موطنه
فهل ينقذ المحزون الا حسامه
اذا ضلت الاحزاب وانقطع الحبل
وواصل صناع الكلام خطاهمو
وتحت الخطى نام المعمر والطفل
وتطمر اقمار وتطوى مباسم
ويخلو لجلاد الخليفة ما يحلو
فلا الحرف فعال ولا السيف قاتل
بأرض اغتراب ليس من اهلها الاهل

* * *

ستعلم هذا غدا يا صغيري ،
وتسأل عني
فاني ولدت عجوزا بأرض المجاعة والاغنيات
رأيت القرود امام القبيل ملوكا وساده
وقرد يعلم اهلك اكل التراب ،
وشرب الهجير ٠٠ ويعصر من دمهم خمرةً
عتقتها ليالي الهموم المعاده
ستعلم كيف انشددت من الارض نحو السماء ،
على سلم الوهم اعرج فيه ،
وعمري تمزق بين النجوم ،
وكانت عروقي تجف رويدا رويدا وذاكرتي كالوساده
مذلاً ، واحلم بالكبرياء ،
واركض خلف المرابين ، في عالم من طقوس ،
وبعضي دماء ، وبعضي موت ، وبعضي وهم ، وبعضي بلاده
نفضت غبار القرون ورائحة الارض عن جسمي المستعار ،
وفك الزمان عراه ، وامسيت كالقرد ٠٠ كالببغاء ،
اغني حكايا العجائز ، اضحك من فرحة الميتين ،
واذوي ٠٠ واعجب ما كان حزن الحجار ٠٠ وضحك القرود ،
ودنيا بغير رياده

* * *

تجردت رغما من الكبرياء ،
وامسيت في وطني دودة او جراده
لها هاضم ، ثم لا شيء بعد الطعام سوى البحث عنه ،
بوهج الضياء ، وصمت الظلام ·· وفي عودة او وفاده
وحاصرني الذل حتى بسطت حصيرا بمحرابه ،
كان لي ·· كان بي ·· كنت فيه طقوس عباده
ومرّ امامي الزمان
يسائلني كيف كنت ؟
وكنت لقيمة موت
تدحرج تحت الاعاصير
منسيّة من وجود ومحرومة من ولاده

★ ★ ★

غدا ياصغيري ··
يجيء المنجم من عالم الميتين ··
يجوس بذهنك ·· يسرق منك البراءة ··
يبلع بالسحر لون الصباح بوجهك ،
يفرغ قلبك من نعمة الحب لينشدّ وجهَك نحو صحاري الصقيع
وتسري بليل المجاعه

★ ★ ★

ويسأل عني ·· ويعلم اني ولدت عجوزا بارض المجاعه
ويعلم اني كأطفال عصر الجنون ،
يجيئون شيبا ويحيون خوفا
وينسون في زحمة الكتب ماءَ الطفولة
ويعلم اني كأبناء عصر الضياع ··
جلود معبأة بالاماني الجميلة
وانضاء فكر وطراق ليل ، والحاح
حاديةٍ للطفوله
ويعلم هذا المنجم ، اني قفزت
بعكس مسير الزمانَ الى الثدي امتصه
بعد عصر الطفوله ·
ويعلم اني وابناء كل نساء القبيله
كرات صقيلة
يهذبها منطق العاطلين ··
فتغدو بسلك الظلام مسابحهم
في ليالي الشتاء

تذكر اباك صغيري
تذكر غريبا تودعه الارض كرها
ليرحل عنها

★ ★ ★

ينام على نار سيأتي لهيبها ..
الى الزمن المشلول في غابة الاسر
يحرق اظفار الوحوش .. وضوؤه
يفك خطى الاطفال من خدر السحر
ويمتص اسياف الملوك ويحتوي
سرار الحزاني عن مواكبة القهر
فيغسل طوفان الحريق دفاترا
تقاسمت الافياء في زحمة السير

★ ★ ★

وينفى ابوك صغيري
وتصلب احلامه في النهار
ولا زال حياً
وتحكي دفاترهم موته او رحيله
مررت على الصيف مثل الشتاء
وكان شتائي بغير مطر
وزرت الربيع خريفا .. وكان ربيعي بغير اخضرار ،
وصيفي بغير ثمر
واي ربيع يمر بصحراء .. كانت قديما
حديقة ورد وبحر شجر ؛
وكان الكساح بصحراء نفيي ..
لتمتصني شهوة العاطلين
واحلم والمقلتان زجاج ..
وأسأل والكون صمت ،
واضحك والعصر دمع .. وابكي
ويسحق ذاك المدى اللانهائي ذاتي
والمس قلبا ، أجس وراء ضلوع النيام
فألفى حديدا تكوم حول بقايا بشر

★ ★ ★

غدا ياصغيري ..
ستقر أفي دفتر السالفين حكايا
عن المهرجان الكبير بارض القبيله

عن البهلوان المغني ٠ ٠ الملون ٠٠
في جفنة المخرجين الكبار
وكيف احترقنا وقودا لطهو السراب
وكيف بعثنا مسوخا ٠٠
نؤدي التحية للقادمين الغزاة ،
ونلعنهم ، ثم نجثو فنلعق اقدامهم
ثم نفرش مثل السجاجيد في مسرح عمرته القرود ،
وجدد اعماره الجائعون لمص الدماء ٠٠
وحمل الخطيئة والصولجان ٠٠
وحلم سرير على جثث التائهين العراة

★ ★ ★

ستقرأ قصة مسخ الملايين
من خالقين الى جيف ينفخ الخوف فيها
وكيف استحال الفرات صديدا ،
وصارت مدينة اهلي بغيا
ستقرأ ٠٠ كيف تمط الحروف
لتصبح ثوبا لخاطئة ٠٠ او قميصا لعثمان ٠٠
ظل يسافر عبر العصور نديا
وتقرأ في سلم المعجزات حديث المروّع بعد الصمود
الى حالقٍ اغنيات وانجم بذلٍ وابطال كشف وصنّاع دنيا
واهوى من الشامخ الصاعدون قرودا
واهووا عبيدا
وشالت نعامتهم واستحال الربيع لديهم
زمانا غبيا
وافرغت الاكبد الظامئات
وجفت مياه القلوب
وامست حدود السجون بعرض حدود التراب ،
بطول مياه الجداول ٠٠
والسيد المستعار على جبل من عظام ،
سجين الهراوات عبد السيوف
يفكر ميتا ، ويفجر حيا
وملهمة الشعر صارت بغيا
يضاجعها قارىء الكف ، واللص ، والبهلوان ،
وقارع طبل دخول الغزاة ،
وقاضي القضاة ،

ولاعق رجل الامير ، وماسح نعل الخليفه
وشيخ تعفن ايمانه تحت ليل القباب
وفرّ الرغيف الى موضع الانجم في فلكٍ لا يطال
وصارت قواميسنا مركبا للوصول الى سدة القهر ،
اوسلما او مطيا

غدا ياصغيري ..
ستسأل عني .. وتعلم اني تقطعت ذعرا ،
وكيف تلفت القى تبيعا من الجن والواصلين
والقى رئيا
يقيم بذهني . .
ويمسك ذاتي عني
ويسرق مني
طعام الصليب ليشبع سادية الدمية المرمريه
فقم ياصغيري .. انهني
الحسام صقيل .. عجزت عن السير في رحلة العائدين
الى ذاتهم فهيّا

ألستَ ترى رؤية الدافق الارجواني احلى من الذل في زمن البغي
احلى من الزحف تحت صليل القيود ..
تقحم وراء سدود الصباح
وغسِّلْ تراب بلادك
من رجس عاهرة بربرّيه

* * *

سلمت صغيري .. آه ..
ودامت يداك لعصر سيأتي
كفى انني ذاهب ..
ذاهب
ذاهـ
ذا
ذ

ما رواه الاقدمون عن سحيم

حميد الخاقاني

صوت (١)

(تجرحت على جبين ابنتكم
عباءة الزنج
تساقطت اصابع الشاعر فوق الثلج
وانهمر العراق من عيون (فوز)
مرثية كالمطر الابيض ،
كالحناء
وانهمر العراق
رواية في كتب الصحراء)
هل غادرت وجهك اسراب اليمام فانتفضت مثل
زهرة بيضاء .
عصبت بالسدر جبيني وشممت صوتك البري في
شباك بيتي
وانتشر فوق وجهك الصغير كالفراش ، كالرحيل في الصحراء
بكيت مثل طفلة تبللت ثيابها بالماء
بكيت ، كان الاصدقاء يرحلون في اصابعي مبللين بالامطار والشهوة،
راكضين صوب البحر حيث الشهداء يملؤن الطرقات
الغربة البيضاء تملأ الوطن
ما بين دمعة ودمعـــة
ما بين اصبـــع واصبـــع

ما بين جثة واخرى ، يقف الصنوبر القديم ،
والحزن القديم ،
والنوافذ القديمة

● في شارع ما ، شجر يسقط اوراقه

● في غرف النوم رجال يقفون قرب بحر هادىء وفي السرير امرأة سرية اكثر من غابة

« المرأة تملأ رأسي بالوطن الضائعفي ابواب الحانات ونقالات الجرحى،
حيث الشاعر انثى تحلم في عش الفاتح والمجنون
وحيث الكاهن لا يذكر في النوم الله اذ ان المرأة سجع
يتساقط من كل الافواه »

صوت (٢)

« هاجرت النساء في جثته
وانحنت القبيلـــة
تحت ثيابه حصى ، ونخلة قتيلة
وحين غنت الصحارى ..
سحيم هذا العبد
عباءة من وجد
تقتات عرى النهـــد
جاء على عيونـــه عشب
وفي راحته جديله »

في زمن الامطار كان الفقراء يسقطون كالطيور فوق قلبي ويغادرون في نافذتي الاصداف والموتى المبللين بالعشب ، بكينا ، سقطت سعفة دمع في البيوت

رأيت كل عابر يموت
رأيت كل الفقراء في المقاهي يرقبون المطر العائد في حقائب الجنود
او تحت ثياب امرأة سوداء

هل حلبت يثرب في اسرة الملوك ثديها ؟ امتلأنا لبنـــا
وامتلأ الشاعر بالحزن ، بكينا ، بكت النساء في الحانات والمساجد
يثرب لا تعرف غير النوم في معاطف القتلى
وغير الصمت في القصائد

صوت (٣)

« الحزن الموشوم فوق صدره
صبيـــة سوداء

علقها الاطفال في اقراطهم طيرا تشهي الريح في الصحراء

* * *

الحزن الموشوم فوق الماء
مدينة تقايض النساء بالقصائد »
هل عرفت يثرب قتلاها المهاجرين كالاطفال من مقهى الى مقهى
ومن مفازة الى مفازة ؟
(امرأة تخرج للعاشق في الليل
وتنسى وجهه في الصبح
يثرب يا شاعر يا سمينة عرش فيها الجرح
يثرب اسرى

طفلة تبكي

وفوز ياسمينة مسكونة بالدمع والضحك
هل غادرت وجهك أسراب اليمام فانتفضت مثل زهرة بيضاء
حلمت ان الشجر الراحل في يديك يبكي فركضت للبراري واغتسلت ، صرت ظبيا فوز ماء وجنين والعصافير ، نموت ، واحترقت في شواطيء الفرات سدرة تبارك المياه والموتى ، انتشرت فوق وجهك الصغير كالفراش شعرك البري والخيل صديقان ، انتظرنا البجع القادم ، افقنا كانت الامطار في السجون ،

والجنود في النهر ،
وفوز في جبيني

« البجع القادم من عيون فوز
تميمة مبتلة بالدمع والاعشاب
تجيئني ،

تجرحني ،
تأخذني ،

وتختفي في مدن الاغراب »

صـــوت (٤)

« رأيته في مدن الاغراب القى رأسه
في الرمل ، هودجا ومات
ركضت خلفه ، بكيت ،
بل دمعي وجهه المغسول بالاصوات
قبلته ، صارت يداه عوسجا
ورأسه قبرة في جسد الولاة »

صـــوت (٥)

« لم اره ، لكن امي
حملت جراحه ، في كتفها الايسر »

هل غادرت وجهك اسراب اليمام فانتفضت مثل زهرة لم تغتسل بالدمع ، هذا شجر الاهل ، وعيناك مليئتان بالامطار والقتلى ، وفي المدينة الجنود ، في المدينة البكاء ،

في المدينة الخوف وانت ٠

صوت (٦)

« في غرف النبيذ ، كان الجنس سريا
وكان الحزن سريا
وكان الموت ،
سريا »

الوطن النائم في ذاكرة الاعراب كالسجادة الملونة ٠
رأيته ينام في الصحراء والدمع يبل لحيته
والبدو حوله محجبون بالريش ، صرخت ايها الاطفال هذا وطني الناعم كالرمال ، والجميل كالشهوة ، هذا وطني ، ومت ٠

رسالة الى حفيد

صادق القامرسي

لا تقل خانني اب – ياحفيد ... وأدت صولة الكريم الوعود
لا الدجى غم مقلتيه عن القصد ... ولا قصرت خطاه القيود
لو رعت عهده السنين لحياك ... على البعد ظله الممدود
ولأغراك بالفداء دم منه ... على الرمل ثائر عربيد
ولخفت اليك تستصرخ الثأر ... خيام ومحنة وحشود
ولقصت عليك قصة شعب ... ذل واستأسدت عليه قرود
لطمت خده – على غل ايديها ... وسلطان حاكميه – يهود
وترامت بغدره هي والقنا ... نص هذى تثير ذاك يصيد
لج في حرية الزمان فاضحى ... وهو عن عقر داره مطرود
لم تكن مازن قبائله الصيد ... فتحمي ذماره وتذود

★ ★ ★

ولدلت عليك اذ انت طيف ... راقص في خياله مولود
رف في وجنتيك فجر تفانيه ... ووقد من الضحى محسود
يتملى رؤى غد فيك ضاح ... تتفيا ظلاله وترود
صر احلامه العراض على طول ... شباب بساعديك يميد
تمتطي ثاره وتنضوا ... اضاحيه وترضي شموخه وتسود
فاستوى واثبا – وقد فز عرق ... عربي الدماء صلد عنيد
لا يبالي اذا تيقظ فجر ... ان ايامه الحبالى رقود
امهر العودة الفداء ويغلي ... المهر ان ترتضيك بكر ولود
وسقى الارض بالدماء ليلقاك ... شهي الخدود حين يعود

★ ★ ★

حمل التأثر حاسرا جللته ... لامتا حربه دم ووريد
يتد الارض تحت رجليه عزما ... طارف من ثباته وتليد

شـــد عينيه للصباح وضـــوى ... في دجى الليـــل نجمـــه المرصود
ابدا ما التـوت يـــداه ولا لانت ... قنـــاة لـــه ولامـــال جيـــد
بات حلس الـــوفاء للـــدرب حتى ... رف عشـــب عليـــه واخضر عود
ما غفا ســـاعة جواه عـــن الحقد ... ولامـــل مـــن لظـاه الوقـــود
ظـل يســـتنزف الدماء ولمـــا ... اعوزتـــه العروق نـزت جلـــود
ماعدتـــه العزائم الحمـــر لكن ... ملكت شـــوطه عزائـــم ســود
واذا الليـــل صـارعته غيـوم ... تطلـــب الفجـر فالصباح الشهيد

★ ★ ★

خـدرت حقده العصـوف رياح ... وثبت تمتطي الوغـــى وتقـــود
وانبرت تصطلي لظـــاه كمـــاة ... من بني قومـــه بهاليل صيـــد
غبرت في غياهب اليأســـ حتى ... وثـــق النصـر انـــه الموعـــود
حملـت ثقله على كاهـل النجـم ... اذ الارضـــ متنهـــا مكـــدود
واذا الافـق دارع لا تجاريـــه ... متـــون عريانـــه وزنـــود
وكذاك الحـديد مهمـــا تلـــوى ... ليســـ يثني عـــراه الا الحـديد
هكذا صعدت رؤاه وهل بعـــد ... هـــو ان النـــزول الا الصعـود
اعمت الليل بالنجـــوم وهـــز ... الافـق الجهم مـــن سناهـا عمود
تتناخى لثأره يتحدى الكـــون ... منها تحفـــز ووعيـــد
لســت ادري ـ ياللـــذكاء ـ ... اتنستنفر عونـــا لغوثـــه ام تكيد

★ ★ ★

شخصت اعين الربى تلمح الدرب ... ونطت ـ لترقـــب الفجـــر ـ بيد
واشرأبت طلائع الافـــق تشتد ... بـــروق بركبهـــا ورعـــود
وتعالت من الســـفوح زغاريـد ... تحـــد للحنهـــا تصعيـــد
وتبارت بعزفها القمم السمـــراء ... اي الملحنـــين المجيـــد
فاذا الناعب الذي ناح بالامـــس ... هـــو اليوم طيرهـا الغريـــد
واذا الصـــالة الحميراء ســـوق ... للمـــرابـــين رابـــح محمـــود
واذا انت والوغـى والضحايـــا ... سلع مالســـعرها تحـــديد
ملكت ســـومها سماسرة الليـل ... تنـــادي بســعرها وتزيـــد

وقائع
الجلسة الثالثة
للأبحاث والنقد

الشعر والثورة

محمد مبارك

الشعر والثورة موضوع قد يطول فيه القول ويتشعب الاجتهاد ، حتى اننا قد لا نقف منه ـ بل نقف بالفعل ـ على رأي واحد او موقف متجانس • ذلك ان الناس من موضوع الشعر والثورة على خلاف ليس من اليسير ان يسوى او يقرب بين شقيه ؛ اذ هو أثر لما يختلفون فيه موقفا ويتضادون دورا من حركة المجتمع فما يراه بعضهم ثورة قد يصفه اخر بالتخريب وما يصنفه هذا في باب الابداع الشعري قد يسقطه ذلك ويصمه بالعبث والتجديف •

ثم ان اتساع دائرة الاثر في موضوع الشعر والثورة ؛ اذ هي تتسع للناس جميعا ، قد الغى دائرة الاختصاص واعطى الحق لكل من يرغب في ان يدلي بدلوه •• فيمنح على قدر ما تصل اليه درايته او تجربته في هذا الشأن ، دونما اعتبار لما قد يجره هذا من اختلاط في الاحكام وتعجل فيها • هذا الى ان غياب النظرية الهادية في مجال النقد والتقويم الادبي قد شجع هو الآخر ظاهرة الاعتباط في الاجتهاد وزرع الأفق بأنبياء دجالين راحوا يوسعون الذوق العام فسادا •• ويعبثون بكل القيم والموازين دونما وازع من ضمير او خشية من مغبة •

ومهما يكن •• فانه يلزمنا ونحن نعرض لهذا الموضوع ، ان نقف على بعض ملابسات الثورة العربية ، لنخلص من ذلك الى تحديد علاقة الشعر العربي المعاصر بما نعيشه منها ، اليوم ، من ضرورات ووقائع • بعد سبات امتد قرونا عديدة في ظل اعتى واغبى استعمار اقطاعي ـ

عسكري عرفه التاريخ ، وفي ظروف ردة حضارية رهيبة ، جاء الرأسمال الاوربي الذي اطلقته علاقات الانتاج البرجوازية العتيدة هناك ، ليشحذ طاقات السوق العربية التي قطع اوصالها النظام الاقطاعي السائد آنئذ.. فيسهم بذلك في تفكيك عرى هذا النظام الذي استنزفه تعاقب السنين الوئيدة عليه ، ويساعد في استبدال نظام الانتاج البضاعي بنظام الانتاج من أجل السوق فيعجل بهذا في خلق الشروط التأريخية لنشوء وتطور طبقة تجارية شاء لها ـ اي هذا الرأسمال ـ ان لا تتجاوز في مجمل حركتها ونشاطاتها الاقتصادية الحدود التي رسمها للسوق العربية كمنفذ لتصريف بضائعه الجاهزة وكحقل لتزويد متروبولاته بما يلزمها من غذاء ومواد خام .

من هنا .. ارتضت هذه الطبقة ، التي كان مقدرا لها ان تقود المجتمع العربي الحديث في مسالك التطور المادي والوحدة القومية ، ان تحجر على مجمل طاقاتها ونشاطاتها الاقتصادية في مسارب ومجالات لا انتاجية كالصيرفة والأتمان واستيراد البضائع الجاهزة وتصدير ما يغله الريف ، وفي مصادرة اصحاب الاقطاعات والعقارات على اقطاعاتهم وعقاراتهم . فكانت ثمة ظاهرة الاقطاع المترجز ـ اي الذي يرتبط بالسوق فيما يخطط له من انتاج ؛ والبرجوازية الكومبرادورية التي تقوم ، اساسا ، على الاستيراد والتصدير وترتبط بالشركات الاجنبية ارتباطا مصلحيا متشعبا وواسعا .. وكانت بدعة مجتمع الخدمات الذي ينوء تحت وطأة طوابير ضخمة من الموظفين العاطلين من كل موهبة والكسبة او الحرفيين الذين يؤثرون الكسل لا يحتفون الا بنهب المستهلك ومزاحمة بعضهم بعضا .

ولقد وجدت كل هذه الهنات والادواء التي طبعت تكوين هذه الطبقة طريقها الى ايديولوجيتها .. فكان ممثلوها في حقول النشاط الفكري والادبي ـ وهم انذاك ممثلو المجتمع ككل بحكم وضع طبقتهم من حركة المجتمع وهيمنتها على مقدراته ومثله ومعاييره ، مترددين بين فكر العصر والثورة وبين الجمود على الاوضاع الاجتماعية المتهرئة والقيم والمواضعات الفكرية المتخلفة ؛ تماما كما كانت هي مترددة بين الثورة والمساومة .. بين ان تواصل عملية تصفية النظام الاقطاعي المتآكل من الداخل لتصل بالمجتمع العربي الى مرحلة جديدة من التطور والحضارة وبين ان تكرس كل مقومات واسس هذا النظام في صيغ للاستغلال والنهب الطبقي تسمح لها بان تنفذ من خلالها الى الارض فتشارك المالك القديم في استغلالها وامتصاص قوة العمل فيها .. فترضي بذلك مطامحها الآنية وتنفذ ارادة سيدها ـ الرأسمال الاجنبي القاضية ببقائها في مجالات الاستثمار اللاصناعي وغير الانتاجي .

ومن ثم ٠٠ جاءت محاولات رواد ما يسمى بالنهضة العربية الحديثة في تبني فكر العصر والانفتاح عليه خائفة متوجسة ٠٠ فلا هي الى هذا الفكر ولا هي ضده ؛ وانما تقف بين بين ٠ ٠ فاذا نقلت فكر الثورة الفرنسية ودعت اليه فلكيما تقتله في تخريجات وتفسيرات محافظة وممارسات تحرص بها على ارضاء الرجعية الدينية ومساومة ذوي العقد والحل ٠ واذا عمدت الى طرح دارون والفكر الراديكالي الذي عجت به اوربا القرن التاسع عشر ، فلتمسخه بما تلبسه من اردية ثيوقراطية فجه وتبريرات ميتافيزيقية هزيلة ٠

ولم يكن الشعراء في هذه المرحلة بغائبين عن اجوائها المهزوزة هذه؛ وانما كانوا جزءا حيويا منها بل في مقدمتها ٠ اذ كانوا مترددين شأن غيرهم من رجال الفكر من قضية العصر والثورة ٠٠ فلاهم الى الحاضر بجديده ولاهم الى الماضي برثه وبليده ، ولذلك جاءت آثارهم الشعرية ـ على ما فيها من مضامين اجتماعية وسياسية ، لا تكاد تخرج على ما ورثوه من آثار الماضي وقيمه في البناء الشعري وفي التعامل مع الاشياء والنظر اليها ٠ بل انهم لم يخرجوا حتى على اغراض الشعر القديمة في المديح والهجاء والرثاء وفي المقارضات والاخوانيات وتصيد النكت والمفارقات البائخة ٠ وتكفي الدارس نظرة واحدة عبر دواوين شعراء هذه المرحلة من النهوض العربي كاسماعيل صبري ، والبارودي ، واليازجي ، والحبوبي ، والاخرس ، ليقف منها على مصداق ما قدمناه بشأنهم ٠

ولعل هزال مواهب شعراء هذه الفترة ، وعدم وجود ايما ارهاص بالجديد الذي قد يرتفع ، بما يستوفز من عصب ويستفز من رؤى ، حتى يمثل هذه المواهب الى مستويات عالية من العطاء ، مسئول هو الاخر عما انتهوا اليه من فهاهة وهزال ٠

ولكن تطور الحركة السياسية في الوطن العربي ، نتيجة نمو البرجوازيات التجارية هذه على هناتها الكثيرة ، واحتدام الصراع ، بسبب ذلك ، بينها وبين اساليب الحكم العثماني وطرائقه في النهب والابتزاز من جهة ، وتطور حركة الدستور العثماني متمثلة في حركة الاتحاد والترقي وانتصارها الحاسم عام ١٩٠٨ من جهة اخرى ، لم يفض فقط الى ولادة منظمات سياسية واجتماعية تدعو الى اللامركزية والاستقلال؛ وانما وضع كامل حركة التطور العربي في مختلف الامصار العربية التابعة للسلطان العثماني في مرحلة جديدة من المواجهة والتحرك كذلك ٠

وكان ان استجاب الشعر العربي الى ذلك ٠٠ فتأصلت مضامينه الاجتماعية وازدادت جرأته في المواجهة والنقد السياسي٠ثم جاءت الحرب الكونية الاولى لتؤكد ذلك بشكل اكثر فاكثر ٠٠ ولتغنيه بما ضاعفت من روابط الفكر وفتحت من نوافذ على الغرب المتحضر ، وبما فجرت من

حركات سياسية وثورات وطنية طامحة في مصر والعراق وسوريا ٠٠ فكانت ظاهرة الشعر السياسي التي استقطب الرصافي ابعادها الفنية والمضمونية في العراق ، فكان الصوت المجلجل في كل مناسبة وطنية او قومية ٠٠ مقارعا قوى الاحتلال ومناهضا سلطة العملاء والخونة وداعيا الى قيم جديدة ومعايير انسانية متحضرة في السلوك والعمل وفي النظرة الى المرأة ٠

بيد ان هذا الالتصاق بحركة المجتمع التقدمية ٠٠ وهذه المضامين السياسية والاجتماعية الجريئة ٠٠ وتلك البساطة غير المسفة او المباشرة في التعبير التي كانت تحتمها مرحلة ما قبل الثورة اللغوية التي فجرتها وسائط الاتصال الجديدة وبشكل خاص الراديو ؛ لم توفق عند هذا الجيل الذي ضم شوقي والرصافي وحافظا والزهاوي والشبيبي وغيرهم من مخضرمي ما يسمى بمرحلة النهضة العربية الحديثة الى امتلاك الشكل الفني الذي يخرج بها عن ظرفيتها المحدودة الى حيث شموخ الآثار الابداعية الراقية ٠ وعلة ذلك ترجع ـ عندي ـ الى الفقر الايديولوجي الذي كانت تعيشه الحركة السياسية وبالتالي شعراء هذه المرحلة ، بسبب من بقاء الطبقة التي كانت تقف على رأس حركة المجتمع مترجرجة متـرددة ازاء قضية الثورة والتطور الاجتماعي ؛ اذ هي ـ على ما اسلفنا ـ كانت منذ نشأتها على صلة بالرأسمال الاجنبي الذي لا يبارك لها اية محاولة للانتقال بالسوق الوطنية من الطابع الاستهلاكي الى الطابع الانتاجي الذي يقدر على النهوض بمتطلبات المجتمع الحديث ويسد حاجات افراده الحضارية المتزايدة ٠

واذا كان الشاعر ـ على رأي هازلت ـ لا يستطيع ان يعمل شيئا سوى ان يطبع فكر العصر على اعماله ؛ فان شعراء هذا الجيل ـ على سلامة مضامينهم الاجتماعية وجرأة مواقفهم السياسية واستجابتهم لمتطلبات المرحلة التعبيرية في المباشرة والتبسيط اللغوي على الاقل ، لم يستطيعوا ان يطبعوا فكر العصر وروحه على اعمالهم ؛ اذ كانوا من هذا الفكر بين بين ٠٠ فهم من ناحية مأخوذون بروعته واصالته ، ومن ناحية اخرى لا يجدون في انفسهم القدرة على مواكبة ذلك٠ولذلك وجدت حافظا يقول :

من لي بتربية النساء ؟ فانها
في الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا أعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجُلْنَ في الاسواق

يدرجن حيث اردن لا من وازع
يحذرن رقبته ولا من واقي

يفعلن افعال الرجال لواهبا
عن واجبات نواعس الاحداق

في دورهن شؤونهن كثيرة
كشؤون رب السيف والمزراق

كلاولا ادعوكم ان تسرفوا
في الحجب والتضييق والارهاق

فتوسطوا في الحالتين وانصفوا
فالشر في التقييد والاطلاق

ووجدت شوقي لا يخرج في حديثه الى العمال عن حكم مكرورة ومواعظ باردة .. متخذاً من كل ذلك وسيلة لحثهم على ان يهرقوا أعمارهم جهدا وعرقا لتتكدس الاموال في خزائن ارباب العمل وتتزين لهم ولذويهم الحياة،لا ان يتمردوا على الظلم الطبقي والعسف الاجنبيفيقول :

ايها العمال ، افنوا ال
عمر كدا واكتسابا

واعمروا الارض فلولا
سعيكم أمست يبابا

ان لي نصحاً اليكم
ان اذنتم وعتابا

في زمان غبي النا
صح فيه اوتغابا

اين انتم من جدود
خلدوا هذا الترابا

قلدوه الاثر المعج
ز والفن العجابا

اتقنوا الصنعة ، حتى
اخذو الخلد اغتصابا

ان للمتقن عند الله
والناس جوابا

اتقنوا ، ، يحببكم الله
ويرفعكم جنابا

* * *

ايهـــا الغـــادون كـــالنـ
ـحـــل ارتيـــادا وطـــلابا
في بكـــور الطـــير للـــرز
ـق مجيئـــا وذهـــابـــا
اطلبـــوا الحـــق برفـــق
واجعلـــوا الواجـــب دابـــا
واســـتقيموا يفتـــح الله
لكـــم بـــابـــا فبـــابـــا
اهجـــروا الخمـــر تظيعـــوا
الله اوترضـــوا الكتـــابـــا
انهـــا رجســـس فطـــوبى
لأمـــرئٍ كـــف وتـــابـــا

واذا كان للرصافي ان يقترب في مضامين شعره من روح العصر والثورة اكثر من سابقيه ، فانما يهبط بذلك الى مستوى النظرة التجزيئية الشكلية المسطوة وتصوير الام الناس وفواجعهم الفردية بطريقة تفتقد النظرة الطبقية والرؤيا الشمولية المعمقة للاشياء والظواهر ....

رام خبزا والجوع اذكى الاوارى
في حشـــاه فعللتـــه انتظـــارا
ثم جاءت بالمـــاء تبـــدي اعتـــذارا
وهـــل المـــاء وهـــو يطفـــيء نارا
يطفيء الجوع ذاكيا في التهاب ؟!

او

لقد جثمت فـوق التراب وحولهـا
صغـــر لهـــا يرنـــو بعيني ميتم
تراه ومـــا ان جاوز الخمس عمره
يدير لحـــاظ اليافـــع اتفهـــم
بكـــى حولهـــا جوعـا فغذتـه بالبكـا
وليســـس البكا الا تعلـــة معـــدم
واكبر ما يدعـــو القلوب الى الاسى
بكاء يتيـــم جائـع حـــول ايـــم

او

صباح به يختـال بالوشـي ذو الغنى
ويعـــوز ذا الاملاق طمـــر مرقـــع

صباح بـه يكسو الغنيّ وليـده
ثيـابـاً لهـا يبكي اليتيم المضيع
صباح بـه تغدو الحلائـل بالحلى
وترفض مـن عين الارامـل ادمـع

بل انه لتختلط عنده الرؤيا احيانا ، فيقع في مثل قوله :

وما جـاء فيهم عادل يستميلهم
الى الحـق الا صده الـف ظالـم

متوهما ان الشعب هو هذه الفئة البيروقراطية التي شدها الاستعمار الى مصالحه ، بحيث لم يعد اصلاح البلاد ليرضي مصالحها هي ، اذ زوال سيدها وزوال النعم التي يغدقها هذا السيد عليها • ومن ثم •• وجدتها تقف بوجه كل دعوة للاصلاح او فكرة للتقدم • ولـو ان الشـاعر اراد بوصفه هذه الفئة البيروقراطية الخائنة ، لكان اقرب الى منطق الوقائـع واصدق في التصوير ؛ الا ان وعيه ، الذي كان محدودا بوعـي الطبقيـة التي ينتسب اليها بشكل أو بآخر لم يبلغ به ذاك •• فجانب الصدق أو جانبه الصدق في الرصد والتصوير • فكانت ادانته للمجموع دونما تمييز او اعتبار •

وكذلك كان نصيب شعراء هذا الجيل من محـاولات التجديـد في الشكل ، التي عمد اليها بعضهم اذ لم ينتهوا بها الى الصيغة التي ترضـي الحس الجمالي للانسان العربي المعاصر ؛ بل ان هذه المحـاولات جاءت في معظمها منفرة بغيضة لهذا الحس ؛ وفي القليل منها رومانسيـة حالمـة واحيانا متمردة ، الا انها لم تشبع – حتى عند كبار المهجريين – حاجـات امتنا الجمالية •ولذلك ماتت كل تلك المحاولات قبل ان تستقيم على حال• ذلك انها كانت فقيرة ايديولوجيا غير متميزة الموقف ، وان كانت منحازة شكليا الى جانب التقدم والثورة •

وعندي ان الشكل الفني لا تكتمل ابعاده الجمالية وتنضج رؤيـاه الشكلية ، حتى يكتمل وينضج مضمونا وفكرا • اذ ليس ثمة من فاصـل بين المضمون والشكل في ايما عمل ادبي او فني ، وانما هما كل موحـد مؤتلف •• فلا مضمون الا وله شكل يكافئه ويساوقه ، ولا شـكل الا وينبض مضمون يناسبه اصالة ويماشيه عمقا وشمولاً • ولذلك فالفهم الايديولوجي الذي كان يعيشه شعراء هذا الجيل ، وبالتالي آثارهـم الشعرية ، لا يمكن ان يتمخض الا عن فقر جمالي وفجاجـة شكليـة في التعبير الفني او الابداعي •

ومهما يكن •• ففي هذه الآونة ، وخاصة في عشرينات وثلاثينات هذا القرن ، اخذت تظهر حركات سياسية واجتماعية من نوع آخـر ،

نتيجة ظهور الطبقة العاملة في بعض المنشآت الانتاجية التي اضطر الاستعمار الى اقامتها في الوطن العربي كالسكك الحديد ، والموانيء ، وصناعة النفط والمعادن ، وغيرها من المؤسسات الصناعية التي كان يعتمدها في نهب ثرواتنا واستنزاف طاقاتنا البشرية والطبيعية • وكان لظهور هذه الطبقة آثار بعيدة في حياتنا السياسية والفكرية • اذ جاءتنا باساليب جديدة في التفكير والممارسة •• وطرحت علينا موقفا جديدا من حركة التاريخ والمجتمع وصيغا غير معهودة في النضال السياسي والاجتماعي •

الا ان ضعف تكوين هذه الطبقة ومحدودية حجمها وعددها في المجتمع ، ثم ارتباطها نشأة وصيرورة بمنشآت انتاجية لا تدخل اساسا في النظم الاقتصادية التي تقوم عليها المجتمعات العربية ، كل هذا وذاك ، جعل هذه الطبقة غير قادرة على تمثل كامل معطيات موقفها الايديولوجي والنضالي الذي انتهت اليه عالميا • ومن هنا •• كان ما عاشته وتعيشه هذه الطبقة وممثلوها في السياسة والفكر من اضطراب سياسي وايديولوجي في الكثير من مواقفها العامة •

ولكن هذه الهنات التي رافقت نشوء وتطور الطبقة العاملة العربية لا تمنع ان يكون لظهور هذه الطبقة على المسرح السياسي والايديولوجي اهمية استثنائية في تأريخنا المعاصر • ذلك ان وزن هذه الطبقة النضالي والايديولوجي عالميا ، اضافة الى مالنهجها الجدلي في التفكير ومنطلقها المادي في الرصد من شمولية وعمق ومرونة ودقة لم تعهد لمنهج فلسفي من قبل ؛ قد جعل لظهور هذه الطبقةفي المجتمع العربي ـ على ماسلفنا ـ آثارا بعيدة في مجمل حياتنا وتصورنا للكون والانسان •

وفي ميدان الشعر كان لظهور هذه الطبقة مردود ايجابي بارز من حيث انه كان الاساس او المبرر الموضوعي لاغتناء رؤى الشعر بمضامين العصر واقدر على اشباع الحاجة الجمالية والروحية للانسان العربي المعاصر • فكانت مرحلة ما قبل حركة الشعر الحديث ، التي وان استطاع شعراء من مثل ابي شبكة ، وابي ريشه ، وابي شادي ، وعلي محمود طه، ان يتمثلوا بعض معطياتها ويستوعبوا قدرا غير يسير من ملامحها الروحية والجمالية ؛ الا ان الجواهري في العراق هو الذي استطاع ان يرتفع اليها بكل شموليتها وعمقها وأن يصير بمنظور الانسان العربي وحسه الى آفاق انسانية جديدة •• وان يرضي طموحاته الفنية ونازعه الجمالي الخفي الى حد بعيد •

ولئن بدا الجواهري غريبا بين من ذكرنا في مواقفه ومضامينه ولغته، فانه لينتسب اليهم ـ اوهم ينتسبون اليه ـ فيما جاء به من مبتدعات

شعرية وما انتهى اليه من ايقاعات غنية وصور فنية لاتنتهي بالبيت الواحد ، شأنها عند شوقي مثلا حيث النظرة التجزيئية للكون والانسان، وانما تتجاوز ذلك الى المقطع فالقصيدة ، علاوة على ما تزخر به ـ اي هذه الصور ـ من علاقات وجودية متشعبة ورؤيا شمولية منحازة عنده بشكل خاص . وثم .. لم يسقط الجواهري كما سقط الجيل السابق في الحماسة الفارغة والتجزيئية المحدودة الافق ، ولا عمد الى الحكم المكرورة والمواعظ الفجة ، وانما راح يتمثل الواقع بكل تشعباته وعلائقه الحياتية فيما يبدع ويصور . ولذلك وجدته يخاطب العمال بغير ما خاطبهم شوقي فيقول لهم :ـ

بكم نبتدي ... واليكم نعود ... ومن سيب افضالكم نستزيد
ومن فيض ايديكم ما نقيت ... وما نستجد . . . وما نستعيد
بكم تبتنى شرفات الحياة ... وينشق للفجر منها عمود
ومما تكدون تنمو الزروع ... وتغذى الجموع وتكسى الجنود
ولولاكم لم يقم معهد ... ولا اخضر نبت ولارف عود
ومن جهدكم دائبا مضنيا ... توفر للخير منا جهود
وللشر .. حيث الدمار الفظيع ... يباد به شيخكم والوليد
بايديكم اذ يشد الرصاص ... نموت وحين تصب القيود
فنحن اذا شئتم والفناء ... ونحن اذا شئتم والوجود
اذن ، انتم الدهر من حقكم ... اذا حان يومكم ان تسودوا
مضى امس اسود من خلفه ... وجوه مضت تنطف اللؤمسود
وفي يوم تموز شقت له ... وللعاكفين عليه لحود
وفي وهج الثورة المزدهاة ... تهرت من المتخمين جلود
وانتم وان حم فرض الوفاء ... بان حل عهد وولت عهود
فان وراءكم غاية ... ستطوى مفاوز منها وبيد
كأن رؤوس السعالى بها ... وهام الشياطين طلع نضيد
اذا ماركضتم الى خلب ... سراب تبدى سراب جديد
خذوا يومكم مغنما واحرصوا ... عليه وزيدوه حرصا وذودوا
فمازال مستنقع الكادحين ... يغطيه للمستغلين دود

ووجدته ، خلافا للرصافي ، لا يتوجه للحاكمين فيستنهضهم ويستثير فيهم نوازع الاباء والرفض فيقول :

بالله يا وزراءنا ما بالكم ... ان نحن جادلناكم لم تنصفوا
وكأن واحدكم لفرط غروره ... ثمل تميل بجانبيه القرقف
افتقنعون من الحكومة باسمها ... ويفوتكم في الامر ان تتصرفوا
هذى كراسي الوزارة تحتكم ... كادت لفرط حيائها تتقصف

انتم عليهـــا والاجـــانب فوقكـم كل بســـلطته عليكـــم مشـرف
ايعـــد فخـراً للوزير جلوسه فرحا على الكرســـي وهـــومكتف

وانما ينتجع المدفع الحقير فيستنهضه ويستوفز فيه انسانيتـــه وتمرده ·· فيقول له :

تقحـــم لعنت أزيز الرصاصـــ وجـــرب مـــن الحظ مـا يقسم
فامـــا الى جـــدث لـــم يكـــن ليفضـــله كوخـــك المظلـــم
وامـــا الى حيـــث تبدو الحيـاة لعينيـــك مكـــرمة تغنـــم
يقولـــون من هـــم اولاء الرعاع فافهمهـــم بـــدم مـــن هـــم
وافهمهـــم بـــدم انهـــم عبيـــدك ان تدعهـــم يخـــدم
وانـــك اشـــرف مـــن خيرهـم وكعبـــك مـــن خده اكـرم

وفي هذا وغيره · كان الجواهري في الشعر العربي المعاصر اقرب من جيل شوقي والرصافي الى روح العصر والثورة ، لا فيما طرح مـــن مضامين ثورية وتناول من موضوعات انسانية فقط ، ولكن في منطلقـــه وزاوية رصده للظواهر والاشياء ايضا · اذ كان يتناول الظاهرة وهـــي حية نامية ، وفي مجمل علاقاتها وارتباطاتها الحياتية ·· ويأتي موضوعاته ـ سياسية كانت ام وصفية ، بفهم جدلي ورؤيا طبقية صريحة · الا انه في هذا ، وان استوعب معطيات مرحلة كاملة وطـــوع اداة الشـــعر الكلاسيكية بشكل خلاق للتعبير عن موجوده العتيد من الفهم وزاويـــة الرصد ، كان يقف عند الحدود التي تسمح بها المرحلة التأريخية مـــن جهة واداة الفهم الشكلي لاستيعاب موضوعات الجدل الحي من جهـــة اخرى ·· فكان في معالجاته لموضوعات الجدل والصراع يراوح بين المنطق الديالكتيكي والمنطق الشكلي ، بل انـــه فرض عـــلى حركة الجـــدل صـــيغ هذا المنطق ومعاييره · ولذلك نهضت الضرورة لولادة شـــكل جديـــد للقصيدة العربية · شكل ينبذ كل آثار النظرة الشكليـــة والرؤيـــا السكونية للحياة ، ويستجيب لروح العصر والثورة فيمـــا يأتيه مـــن مضامين واشكال فنية ، بصورة افضل وادق ·

ولعل نضوج الطبقة العاملة العربية ابان وما بعد الحرب الكونية الثانية ، وانتشار الافكار الاشتراكية والتقدمية على نطاق اوسع بـــين صفوف المثقفين العرب ، خاصة بعد اندحار الفاشية وفكرها واساليبها العدوانية على يد شعوب الارض المكافحة التي كانت تخوض غمار المعارك في اخطر الجبهات واشدها عنفا تحت قيادات ثورية اصيلة ؛ اقول : لعل هذا هو الذي فرض على الشعر العربي ضرورة ولادة اشـــكال جديـــدة تستطيع ان تتخلص من تأثيرات الرؤيا الشكلية للوجود ، لتستقيم لهـــا رؤيا جدلية واعية ومكينة··وهو الذي شكل ويشكل الارضية الاجتماعية

والروحية التي جعلت لتجارب الآخرين في مجال البناء الشعري قيمة محققة في حياتنا الفنية ومهدت السبيل لها لان تأخذ موقعا متقدما من حركة الشعر العربي المعاصر ، اذ ما كان لهذه التجارب ان تترك ما تركته من آثار بارزة في محيطنا الثقافي والفني لولا قيام هذه الارضية الاجتماعية الروحية التي هيأتها الظروف والاوضاع آنفة الذكر .

من هنا .. كان ظهور الاشكال الحديثة في التعبير على الاشكال الكلاسيكية والرومانسية العظيمة . ذلك ان هذه ، وان وجدت مواهب فذة كموهبة الجواهري مثلا ، لا يمكن لها ان تستوعب المضامين والموضوعات الجديدة بكل تعقيداتها وتفرعاتها الشديدة التشابك والتداخل

ربما كان الجواهري الظاهرة الاستثناء ، على ما يقول الاستاذ حسين مروة ، الا ان هذه الظاهرة الاستثناء لم تنته من موضوعاتها وما توفرت عليه من معالجات شعرية الى ما انتهى اليه الشكل الحديث .. ففي قصيدة ابي العلاء المعري مثلا ، يقول الجواهري :

آمنت بالله والنور الذي وردت ... به الرسالات طرا منهجا لحبا
وقد حمدت شفيعا لي على رشدي ... اماً وجدت على الاسلام لي وأبا
لكن بي جنفا عن وعي فلسفة ... تقضي بان البرايا صنفت رتبا
وان من حكمة ان يجتني الرطبا ... فرد بكد ألوف تعلك الكربا

يتقدم شاعرنا الكبير لنا ، في هذه الابيات ، بصورة شعرية رائعة تكاد تتلمسها خطوطا والوانا . وتشربها موقفا منحازا وفكرا منتميا الى طبقة الكادحين . فهي اذن ، نازعة بمضمونها متفجرة بغايتها ، تنكر على المجتمع ان اقام على الاستغلال .. وتكفر به ان صار بذلك الى تشويه الانسان صورة ومسخه جوهرا وروحا ، فكان ثمة الالوف التي استحالت دوابا تعلك الكرب .

ويتحدث البياتي – من رواد الشكل الحديث للشعر العربي ، في قصيدته عن ابي العلاء ايضا ، عن مصطفى الفلاح المنهك المكدود :

ومصطفى الاخر في الحقل على مسحاته يخور
مهشماً منخور
عيونه جاحظة ووجهه مجدور
يستقريء الارض ويمضي باحثا فيها عن الجذور

ثم ينتقل بنا في الدورة التاسعة من قصيدته الى صورة اخرى يتحدث من خلالها وعبرها عن تجار الحرف والقلم العاهر ... فيقول :

ضفادع الحزن على بحيرة المساء
كانت تصب في طواحين الليالي الماء

تقارض الثناء
ما بينها وتنشر الغسيل في الهواء
وتشرب الشاي ، وفي المكاتب الانيقة البيضاء
والصحف الصفراء
كانت تقيء حقدها على الجماهير ، على المارد وهو يكسر الاغلال
ضفادع كانت تسمي نفسها « رجال »

يتابع البياتي شيخه الجواهري ·· فيدين المجتمع وينكر عليه ان شوّه الانسان ومسخ صورته · الا انه يختلف عن شيخه في انه لم يشأ ان يحطم الشكل الآدمي لمصطفى الكادح بالذات ، وانما أبقاه على صورته انسانا ، وان كان مهشما جاحظ العينين مجدور الوجه مكدودا · كأنه اراد بذلك ان يقول لنا : ان مصطفى وان اجهده الاستغلال والنهب فناء بكاهليه وحطم قواه ، الا انه لم يقو على مسخ جوهره العظيم ·· فظل انسانا لانه ظل على صلته الحميمة بالعمل · ولذلك لم يتوقف وجوده عن العطاء والبحث عن الجذور والمنابع · والشاعر في هذا انما يقرر ضمنا ان العمل كان وما زال هو جوهر الوجود الانساني ومصدر كل خصب وعطاء · في حين ان الفكر عنده ، وان كان هو ما انفرد به النوع الانساني وارتفع على غيره درجة ، لم يشفع لاصحاب القلم العاهر – اذ لم يبق كذلك بعد ان انفصل عن العمل المنتج وطفق يشوه الواقع ويزيف الحقائق · ولذلك شاهت صور ممتهنيه ·· فكانوا ضفادع حقودة تغتال الغد الجميل وتجزر الاحلام فيما تدبج من خطب طويلة في مدح السلطان وتبرير جرائمه ·

هذا في الوقت الذي لم يبق استاذنا الجواهري على الشكل الآدمي للمستغل فحسب ، ولكنه زاده جمالا بان أضفى عليه ما في الفعل « يجتني » من موسيقى وظلال ·

وهكذا تختلف الصورتان ، وان اتحدتا موقفا وهدفا · ففي الاولى مباشرة في تصوير سيل الوقائع ، في حين ان صورة البياتي فيها تمثل لحركة الواقع ونفاذ حي الى اعماق الجدل الذي ينتظم حركة الحياة · ولذلك وجدناها متفجرة بحركة اكثر غنى وفكر اعمق دلالة واشمل علاقة ·· وهي – قبل وبعد كل هذا – اقرب الى ثراء الديالكتيك منها الى جمود المنطق الشكلي ·

من هنا ·· نستطيع ان نفهم لماذا كان الشكل الحديث للقصيدة أقرب الى روح العصر واكثر استيعابا لمضامينه الحية · فيما يمتاز به من مرونة في موسيقاه وديمقراطية في لغته وصوره ؛ وبما يدل به من تعدد في الصوت وثراء في التركيب وموضوعية في الرصد وشمولية في التمثيل وبعد عن الذات ، استطاع ويستطيع هذا الشكل الحديث للقصيدة العربية ان يرتفع الى معطيات عصر العلم والاشتراكية · فلا بدع اذن ، ان تظهر الاشكال الحديثة

على غيرها من اشكال كلاسيكية او رومانسية فيما تتناول من موضوعات وتعالج من قضايا الانسان والثورة ٠

لقد انتهى العصر الذي كانت فيه القصيدة لا تحتاج الى اكثر من وعي الشاعر بالكون والانسان من حيث هو ذات مستقلة ٠ اذ نحن من عصرنا ، اليوم ـ عصر العلم والاشتراكية بحاجة الى القصيدة التي يحل فيها وعي المجموع ٠٠ حيث النظرة الموضوعية والرؤيا التركيبية والموقف المنحاز الى عملية البناء والتقدم الانساني ، هي ما يسم هذا الوعي ويلزم الشاعر المعاصر ان يتمثله ليكون مؤثرا بالفعل فيما يحيط به من ضرورات التطور وممكناته٠

ومهما يكن ٠٠ فلقد جاءت خمسينات هذا القرن بالشكل الحديث للقصيدة العربية وكانت ثمة ارهاصات بذلك منذ الاربعينات ٠٠ منها الظاهرة الجواهرية في شموخها الكلاسيكي بالذات ، ومنها ما احدثته الذات المتمردة ـ وهي ذات المثقف البرجوازي الصغير الذي اكتشف عبثيةالاوضاع الاجتماعية في ارضه ، الا انه لم يستطع ان ينتهي الى تحديد موقف صريح منها ـ اقول ما احدثته هذه الذات من هزة عنيفة في مجمل القيم والمعايير الاخلاقية والمؤسسات السائدة حيث لفتت اليها الانظار بشكل دراماتيكي صاخب شهدته قاعات المحاكم التي وقف فيها حسين مردان ليدفع عن شعره وحريته في ان يقول الذي يراه ويحس به في الموضوعات التي يحرص على ان يكون هو المسئول عن اختيارها ٠ حتى اذا اكتملت هذه الارهاصات نضجا واستنفذت طاقتها في الخلق واداتها في التعبير نهض الشكل الحديث ليواصل المسيرة التطورية للشعر العربي وليرتفع بوعي الانسان العربي وحسه الجمالي الى مستوى العصر الذي يعيش فيه ٠

واذا كان قد سبق او رافق البياتي الى اكتشاف الشكل الحديث للقصيدة ، هذا الشاعر او ذاك ، هنا في العراق او هناك في غيره من أقطار العروبة ، فان البياتي هو الذي نهض بمهمة تطويع امكانات هذا الشكل لاغراض الثورة العربية المعاصرة ٠٠ ووضع هذه الامكانات في خدمة مطالب تلك الثورة ٠٠ ثم واكبها بعطاءاته منتقلا معها من مرحلة لاخرى تعبيرا وموقفا ٠٠ ومتساوقا معها في ذلك وعيا وضرورة ٠

وفي ستينات قرننا الحالي ، كان انتقال وعي الثورة وأساليبها ووسائلها في المواجهة والتحرك الى مرحلة جديدة مدعاة للبحث عن اشكال جديدة في التعبير ترتفع الى هذا الجديد من فكر الثورة واساليبها ٠ بيد ان مرونة ولا محدودية طاقة الشكل الحديث الذي جاءت به الخمسينات مكنت له ان يتسع لهذا البحث بل ان يحتويه في اكثر محاولاته خصوبة وانضجها عطاء ٠ ولذلك فقد اتصل عطاء هذا الشكل ، ولم يتوقف عند حد كما توقفت الاشكال التي سبقته ٠

وهنا ٠٠ لابد من الاشارة ، قبل ان نضع القلم ، الى ان الغزو الثقافي الامبريالي الذي رافق محاولات البحث عن اشـــكال جديدة للتعبـــير في الستينات ، وخاصة فيما بعد حزيران الهزيمة ، اسقط العديد من المواهب الواعدة ٠٠ وبدد الكثير من الطاقات الشعرية الشابة ، فيما اغراها بالركض وراء أشكال وتصورات ميتافيزيقية غريبة ترضي طموحات مثقفي البرجوازية الصغيرة في السعي وراء كل غريب جليب ٠ بيد ان هذا لاينفي ارتفاع عديد من المواهب الشابة التي حرصت ان تكون مع الناس والثورة في ســـماء الابداع الشعري ٠٠ حيث اصالة موقفها وصدقها الفني ووضوح رؤياها ، ارتفع بكلمتها الى مستوى المعركة الدائرة بين الجماهير الكادحة واعدائها ٠٠ فكانت شعر المقاومة الذي ليس له ان ينتسب الى غير الموقف الثوري الذي ينتظم الانسان العربي من محيط الوطن الى خليجه ؛ كما ليس له ان يقبـع كسيحا في حدود الذات وتيار المشاعر الوجدانية الخاصة ، وانما ان يلتحم بموضوعه فيكون صوته الجمالي واداة تحققه الحي ٠

وبعد ٠٠ فالذي ارجـــوه ان اكون قد وفقت الى اثارة الموضـــوع – موضوع الشعر والثورة ، في هذا اللقاء الادبي الرائع ٠٠ ليغتني بما ستثيرونه أنتم من ملاحظات وأفكار ٠

محمد مبارك

الشعر الحديث وحده الذي يستحق

احمد ابو سعد

المربد اهميته تأتي من حيث كونه لايتيح فقط الفرصة للسامع لكي يستمتع بالشعر ويتعرف الى شتى الوانه في البلاد العربية وانما من كونه يفسح كذلك المجال لابداء الراى فيه من وجهة نظر النقد ومذاهبه المتعددة .

ولكي يكون النقد في المستوى الذى يطمح اليه صاحبه وهو المساعدة على تذوق النص الشعرى وتحديد قيمته بالكشف عن ابعاده واستخلاص العناصر المتميزة التي يتصف بها صاحبه فانه لا يكفية مجرد الاستماع الى القصيدة ، او قراءتها على هذا النحو العجل الذى تفرضه عليه الاحاطة بأكثر من نص والوقوف امام اكثر من شاعر لا سيما وان الشعر الحديث – وهو وحده الذى يستحق ان يوقف عنده – هو شعر ذو تركيب معقد يتجاوز الوضوح المباشر المنطقي العقلي الى التصور الحافل بالرموز والاشارات التاريخية والاسطورية المنوعة – ولذا فليسمح لي ان لا اسمى ما سوف ابدية من آراء حول بعض الشعراء وبعض قصائدهم نقدا او انما هو مجرد انطباعات او شيء من قبيل التعليق فقط لا غير .

مذهبى الذى انطلق منه في فهم الشعر وتذوقه مستمد من النظرة الجديدة الى القصيدة على انها تجربة عملية ابداعية يشترك في تأليفها الحس والفكر معاً ، ويمارسها انسان زخرت نفسه بطاقات رؤياوية وتعبيرية امدته بها الطبيعة الخارجية او نبعت من داخل ذاته واشواقها وحاجاتها

ومن شروط جودة القصيدة ان لاتكون محض ذاتية او تكون ذات جانب واحد في الرؤية بل يستحسن ان تتعدد فيها الجوانب وتتحد الذات بالموضوع ويتعدى فيها صاحبها الاشكال الظاهرة الى الحياة الباطنة ويسكن في قلب الاشياء ويتعامل مع لغة متحركة ويرفعها الى مستوى فني عال من غير ان يعزلها عن الناس الذين يجب ان تتجه اولا وقبل كل شيء الى مخاطبتهم ونقل العدوى اليهم بقصد بث عمق الوعي فيهم وتغييرهم وشع المعرفة بينهم وافعامهم بالهناء والسعادة والمرح.

ومما لا أغفره لاى من الشعراء ان تخلو قصيدته من الايقاع الموسيقي او نظام الهارموني وان تتفكك عناصر قصيدته الى صور ورموز مقفلة لا رابط يجمع بينها .

هذا هوالمذهب الذى اؤمن به ومنه انطلق في فهم الشعر وتذوقه فأين قصائد امسية البارحة على ضوء هذا المفهوم ؟

من يقرأ القصائد او يعد بالذاكرة اليها يجدها تتوزع بين اتجاهين الاتجاه الاول وهو الاتجاه التجديدي والاتجاه الثاني وهو الاتجاه التقليدي ذوو الاتجاه الاول هم السادة : بلند الحيدري ويوسف الصايغ وخليل الخوري ومعين بسيسو وعبدالرزاق عبدالواحد ويمكن الحاق السادة أحمد المجاطى وحميد الخاقاني وعلي الحلي بهم . وذوو الاتجاه الثاني هم السادة : عدنان فرهاد وحافظ جميل وخالد البرادعي وصادق القاموسي ويمكن الحاق الشيظمي بهم .

المقلدون يتفاوتون في ما بينهم بدرجات التقليد فمنهم المقلد تقليدا بحتا كعدنان فرهاد باختياره موضوعا قديما ونظمه على النهج العمودي واقتفائه آثار الاقدمين واعتماده على التقرير والمحاكاة لا على التجديد والمعاناة ... ومنهم من يتناول موضوعات جديدة معاصرة مما حدث في البلاد او اضطرب به المجتمع كالشعراء الباقين دون ان يجدد في الشكل او ينجح الى الخيال والتصوير بدلا من الاخبار والتقرير .. ورأس ما يهم هذا الفريق ان يقوم بوظيفة الداعية والخطيب اكثر من قيامه بوظيفة الشاعر والفنان ولهذا فان اثر الشعر عند الواحد منهم ينحصر في الظرف المحلي الاني من غير ان يمتزج بالشعور الوجداني او يخرج الى الشمول الانساني .

والمجددون الذين تقاسمتهم مع الاستاذ سامي خشبه وكان حظي منهم الحيدري والصائغ وعبدالرزاق عبدالواحد وكان حظه الباقين لا ادري اذا كان يصح ان أحكم على أولهم وهو الحيدري من خلال مقطع اجتزأه من قصيدة له طويلة انتهى من تأليفها في الاونة الاخيرة وقد جعلها تحت عنوان «حوار عبر الابعاد الثلاثة» ولكن اطلاعي على القصيدة بكاملها يجيز لي ان أقول ان بلند منذ « أغاني الحارس المتعب » بدأ يتجه الى

نوع من التجارب جديد بالنسبة الى شعره متسم بطابع فكري فوامه صراع الانسان في داخله ومعاناته للعصر ولمعطياته الحديثة ولتفاعله مع الالة وخضوعه لتأثير الصحافة وشعوره بانه في الحياة متهم وبريء وبحاجة يوميا الى الاف من اقراص النوم المخدرة

واكثر ما يتجلى هذا المنحى الجديد في شعر الحيدرى في قصيدته الاخيرة التي لم يسمح لي الوقت بقراءتها كاملة ولذا فانني اتركه وانتقل الى زميله عبدالرزاق عبدالواحد ، في قصيدته «مقاضاة رجل اضاع ذاكرته » ٠

هذه القصيدة محورها معاناة انسان فقد انتماءه واخذ يتمزق من الداخل تمزق المخلص الذى يعيش بين حنينه وتردده ، بين رفضه لواقعه وكبريائه أزاء الاعين التي تنظر الى بعضها كلّما اقترب ٠

وهي بمثابة تجربة يحاول فيها هذا الانسان خلال العذاب الذى يعانيه ان يقف على قدميه من غير ان يفرط بشيء من كرامته اوبشيء من صدقه ٠

وهي وأيم الله لتمثيل لمأساة عدد كبير من مثقفينا الذين تحرسهم يقظتهم وثقافتهم وتاريخهم النضالي وتعصمهم من السقوط ، في حين لا يجدون ملجأ لتمزقهم بين اهلهم وهي محاولة للتفاهم والفهم ، يرغم فيها الانسان حتى لا يقع ان يتمسك بحبل صوته ، يدين نفسه ويرفضها معززاكبرياءه خلال عملية الادانة والرفض ، ويوشك ان يدين الناس الطيبين لما هو فيه ولاعتقاده انهم جزء من سبب ما هو فيه ٠٠ عقدة قضيتهانه لايرفضهم ، بل يحن اليهم حتى الموت ، ولكنه لا يضحي بكرامته للوصول اليهم وهم لايريدون ان يفهموه ، وهو يدفع ثمن كل كلمة لوم يوجهها اليهم نصلا يضع عليه كل اوردته وشرايينه ٠

القصيدة تحفل ببعض الرموز فالذاكرة التي فقدها الشاعر هي التاريخ المدعى الذى يكتبه الاخرون لانفسهم ٠ وكلمة الموت تعني في معظم القصيدة الانتماء أو الاستشهاد من أجله والموتى يعني بهم الذين أضاعوا انتماءهم ٠ ومجمل ما تعيشه هذه القصيدة صورة لكل الصدوع التي تحدث بعد انهيار او رجة مروعة ٠

ويؤسفني شديد الاسف ان اتوقف هنا ولا اجد وقتا يمكنني من الرحلة بصحبتكم داخل قصيدة الشاعر يوسف صايغ «مذكرات بطل عادى جدا» لنكشف مضامينها معا اذ انها من الشعر الذى يؤلف بذاته مربدا والذى لا اعتقد ان وقفة قصيرة كهذه يمكن ان توفيها حقها ولذا فاني اذ أختم هذه الكلمة اكرر أسفي من أجل هذا التقصير وأزجي الشكر للقيمين على مهرجان المربد الثاني على تلطفهم بدعوتنا وارجوهم اذا قيض للمربد الاحياء مرة ثالثة ان يعيدوا النظر في الشعراء كمية ونوعا والسلام٠

البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث

صبري حافظ

قد يبدو عنوان هذه الدراسة طموحا اكثر مما ينبغي لدراسة في هذا الحجم ٠٠ لانه يثير بداءة كل القضايا النظرية التي طرحتها حركة من اخصب الحركات الادبية في تاريخنا الحديث ٠٠ الا وهي حركة التجديد التي اثبتت جوهر القصيدة منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان والمعروفة بحركة الشعر الحديث ، ولان دراسة تريد ان تزعم لنفسها انها تبحث عن منهج نقدي جديد أو تبلور مجموعة من القيم والمفاهيم الجمالية والفكرية لنقد هذه الحركة الشعرية لابد وان تلجأ الى اثبات مقولاتها الجديدة من خلال تمحيص المقولات القديمة ونفيها ، ولابد وان تتبنى خلال عملية التمحيص تلك مفهوما معينا للحداثة وللتجديد وان تعتنق تصورا للضرورات الحضارية والفكرية والجمالية التي انبثقت عنها التجربة الشعرية الجديدة والمعالجات النقدية التي صاحبتها ٠ ولابد وأن تطرح كل هذه القضايا والتصورات امام القارىء قبل ان تصحبه معها في رحلة البحث عن المنهج الجديد ٠ وهذا ما لا يمكن ان يتوفر لدراسة في هذا الحجم الصغير وان سعت الى الاحاطة ببعض جوانبه ٠

من هنا فان هذه الدراسة لن تدعى لنفسها القدرة على ان تستنفد لا من وجهة النظر المنهجية ولا على الصعيد التاريخي ـ المشاكل التي تثيرها ٠ ولن تستطيع التوقف ازاء ما نعتقد انه قد اصبح لدى القارىء الذي تطمح في مخاطبته نوعا من البديهيات ٠ والا استغرقتها محاولة تفنيد هذه البديهيات حتى اغرقتها ٠ ولكنها ـ اي الدراسة ـ ستحاول ان تطرح مجموعة من القضايا والافكار النقدية التي تنطوي بدورها على مفهوم معين للشعر والحداثة معا ٠ والتي تبلور من خلالها مشاركتها في البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث ٠٠ منهج يتخلق

من خلال المعايشة الامينة لنصوص هذه الحركة وانجازاتها · ومن الفهم الدقيق للنوعية الخاصة للشعر كجنس ادبي له خصائصه الفريدة وتاريخه الطويل · ومن استيعاب الكثير من قضايا هذه الحركة الشعرية ومشكلاتها النقدية على صعيد البناء والرؤية · ومن احتكاك بالمدارس والمناهج النقدية الحديثة التي بلورت مجموعة من الاسهامات الهامة عن تحليل القصيدة الشعرية والكشف عن كنوزها وخباياها · ولا تطمح هذه الدراسة في الوصول الى منهج شامل لنقد الشعر الحديث وان كانت هذه غايتها البعيدة ·· بل كل ما تطمح الى تحقيقه هو اثارة قضية حاجتنا الى منهج نقدي يشارك بفعالية في بلورة قضايا الحركة الشعرية الجديدة ويساهم في حل بعض مشكلاتها ·· اقول يساهم في الحل ولا اقول يطرح حلولا ·· لان الحلول مرهونة في النهاية بالمغامرات الابداعية لا بالاستقصاءات النقدية · وكل ما تستطيعه الدراسات النقدية هي تنبيه الشعراء الى الدروب التي تفضي الى المفازات الجرداء حتى لا يمعنوا السير فيها ·· والى الدروب التي تعد المغامرة فيها بشيء من الحصاد حتى يغذو السير نحوها ·

ولا تزعم هذه الدراسة ـ كما قد يوحي عنوانها للبعض ـ انها تنطلق من الفراغ او انها ترفض كل التنازلات النقدية لحركة الشعر الحديث · لانها في الواقع تقيم بناءها فوق الارض التي صاغتها المحاولات السابقة · ولان الدراسات النقدية (١) التي حاولت ان تحيط بابعاد الحركة الشعرية الجديدة وان تتناول بعض حصادها وقضاياها كانت من وجهة نظر هذه الدراسة محاولات هامة في طريق البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث ·· محاولات تفاوتت قدرتها على الانجاز ومساهمتها في بلورة هذا المنهج الذي يرتفع انجازه النقدي الى مستوى الانجاز الشعري للحركة الجديدة ومعاناتها · وهي محاولات جنح اغلبها الى الجانب الوصفي من العملية النقدية وكان نصيبها من المعيارية ضئيل للغاية · واذا كان النقد الادبي الحديث معيارا بقدر ما هو وصفي فان على هذا المنهج الجديد ان يعوض جنوح الدراسات السابقة الى المنحى الوصفي بنوع من التأكيد على الجوانب المعيارية · وسوف يتضح لنا بعد قليل ان التأكيد على الناحية المعيارية في المنهج النقدي الذي نبحث عنه ليس ناجما فقط عن نزعة تعويضية تسعى الى رأب صدوع المحاولات النقدية السابقة ولكنه ايضا وليد حاجة حتمية ترتوي من طبيعة الصورة التي الت اليها القصيدة الحديثة وتستجيب لها · واذا كانت حركة الشعر الحديث ذاتها قد ظهرت تلبية لمجموعة من الضرورات الجمالية والفكرية والحضارية منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عاما · فان البحث عن منهج نقدي لهذه الحركة وليد مجموعة جديدة من الضرورات · بعضها

مبني على الضرورات السابقة وبعضها الاخر متجاوز لها · واذا كانت هذه الدراسة ليست المجال المناسب للحديث عن الضرورات التي انبثقت عنها حركة التجديد الشعري فانها انسب المجالات للحديث عن الضرورات التي تستلزم البحث عن منهج متكامل لنقد الشعر الحديث ·· ولنبدأ باولى هذه الضرورات ··

١ ـ رحلة القصيدة الجديدة نحو التركيبية

وتنحت اهم هذه الضرورات ملامحها من تلك الرحلة الطويلة التي قطعتها التجربة الشعرية الجديدة · فبعد ان استبدل الشاعر العربي الحديث مفهوم التجربة الشعرية بالمفهوم القديم عن اغراض القريض قطع بهذا المفهوم الجديد رحلة طويلة امتدت من القصيدة الغنائية البسيطة ذات الصوت المفرد والايقاع المنفرد حتى القصيدة التركيبية ذات البناء الكثيف والاصوات المتداخلة والايقاعات المتناغمة والمستويات المتعددة من المعنى مرورا بالقصيدة القصصية ذات النفس القصير ـ وهي شيء غير القصيدة الملحمية رؤية واسلوبا ـ والقصيدة الغنائية التي تنطوي على اكثر من صوت واحد والقصيدة الدرامية وغير ذلك من الاوعية التي استوعبت في بنيانها بعض مطامح التجربة الشعرية الجديدة لفترة ثم ضاقت عليها فتجاوزتها لوعاء اكثر اتساعا · او حاولت ان تجري داخل بنية الوعاء القديم بعض التعديلات حتى يستطيع ان يستوعب الروافد الجديدة للتجربة · فبعد ان كانت القصيدة الجديدة مجموعة من الاستطرادات النغمية العذبة والصور الشعرية الشفيفة · اصبحت بناء تركيبيا معقدا يستخدم مجموعة كبيرة من الادوات والوسائل البنائية التي تصوغ مسار الحركة الشعرية في القصيدة الجديدة · وهي حركة تعتمد على نوع من التتابع الكيفي الذي ينهض على المفارقات وعلاقات التماثل والتضاد والجدل المستمر بين الصفات والخصائص النوعية المختلفة · وذلك بعكس المرحلة الاولى من تاريخ القصيدة الحديثة · حيث كانت الحركة الداخلية للقصيدة تنهض على اساس من التتابع المنطقي والتسلسل السببي الذي تؤدي فيه المقدمات الى النتائج وفقا لاستطراد منطقي متكامل ··حتى في نطاق التنوع والتعدد · بينما تلجأ القصيدة الحديثة في مرحلتها الاخيرة الى نوع جديد من الحركة الداخلية · لا يتم وفقا للمنطق الصوري ولكن طبقا لديالكتيك شديد التشابك والتعقيد : يتم فيه حوار جدلي عميق بين الجزئيات المختلفة للعمل الشعري · ويفقد فيه المتلقي خاصية الاشباع المستمر لتوقعاته ذات الطابع الاستطرادي · ويجسد نفسه معه ازاء نوع جديد من التلقي الفعال الذي يتطلب جهدا ومشاركة لم يعتدهما من قبل · ولذلك فانه يطلب من النقد الذي من دوره ـ كما يقول سانت بيف ـ ان يعلم الاخرين كيف يقرأون ، ان

يساعده فيهذا المجال · وان يقدم له مجموعة من المفاتيح التي تيسر له ولوج عالم الشاعر الحديث ·

وقد كان من الطبيعي ان تقطع القصيدة الجديدة في ربع قرن من الزمان هذه الرحلة الهامة في طريق النضج وان لم تقطع الطريق اليها في خط مستقيم · بل تطلب الامر مجموعة من التعرجات واجتياز المضايق العسرة · مما يجعلنا نجد اكثر اشكال القصيدة الحديثة جدة وتراكبا وتعقيدا تكتب مع اكثر اشكالها بساطة وسذاجة وغنائية في الوقت نفسه· وتعثر كل منهما على اصداء حقيقية لدى قراء متفاوتي الحساسية والثقافة اقول كان طبيعيا ان تقطع القصيدة الحديثة هذه الرحلة « لان شكل المعاناة يختلف باختلاف الازمنة · ولان حساسيتنا تتغير باستمرار كما تتغير الدنيا من حولنا · فحساسيتنا ليست كحساسية الصينيين او الهنود · وليست ايضا كحساسية اجدادنا منذ مئات السنين · ولا حتى نفس حساسية ابائنا · ونحن ذاتنا لسنا على ما كنا عليه منذ سنة مضت، ولعل هذا امر واضح · اما ما لم يتضح تماما فهو ان هذا بعينيه هو السبب الذي لا نملك معه التوقف عن كتابة الشعر » (٢) والذي لا يملك معه شعرنا بالتالي التوقف عن التطور والتغير حتى يتمكن من استيعاب ذلك التغير المستمر في الحساسية والتعبير عنه · ومن مواكبة الوجدان القومي في رحلته الخاصة لملاحقة التطور الحضاري في عصرنا ·

وهذا التغير المستمر في شكل القصيدة ومبناها والذي ينطوي بدوره على تغير في رؤى القصيدة ومعناها هو الذي استلزم اسلوبا في معالجتها ووجهة نظر جديدة في تناولها · لان طبيعة المنهج الذي كان قادرا على استيعاب كل قضايا القصيدة الحديثة في مرحلة الغنائية البسيطة لا تجعله قادرا على تلبية جميع متطلبات القصيدة التركيبية او استنفاد كافة مشكلاتها ·· بل ان وجود القصيدة التركيبية الجديدة الى جوار الاشكال الاولى من القصيدة الغنائية يؤدي بدوره الى تفاعل الشكلين معا والى تبادل التأثير والتأثير بينهما · ومن هنا فان القصيدة الغنائية هي الاخرى قد جنحت نحو نوع خاص من التراكب والتعقيد يتناسب مع طبيعة منطلقها ورؤيتها · فمالت الى استخدام اكثر من صوت واحد · وكفت عن الاستطرادات والاسترسالات الغنائية · وعمدت الى التركيز والتكثيف · ومن هنا فان استقصاء قضايا القصيدة الحديثة غنائية كانت او تركيبية يتطلب منا بحثا جادا عن منهج وعن اسلوب نقدي جديد · كما ان ضرورة التعرف على مراحل وتعرجات وروافد الرحلة التي قطعتها هذه القصيدة خلال ربع قرن من عمرها تتطلب البحث عن هذا المنهج النقدي ·· فضلا عن ان الرغبة في استشراف آفاق المستقبل بالنسبة لهذه الرحلة تتطلب هي الاخرى منا بحثا جادا عن هذا المنهج النقدي ·

٢ ـ جمهور القصيدة الجديدة بين المد والجزر

اذا كان الشعر ريادة ونبوءة وبشارة ورؤيا ، فانه بذلك يكون اكثر الاشكال الفنية حساسية للتغير المستمر في الحساسيـــة ٠٠ واسرعهـا استجابة لتلك التغيرات وتعبيرا عنها ٠ وهذا هو ما يجعله اكثر الاشكال الفنية اصطداما بالذهنية السائدة في التلقي ٠ واشدها عراكا مع ما اعتاد عليه الجمهور واستقر عليه عرفه ٠ وهو لذلك من اقل الفنون الادبيـــة حظوة بدائرة واسعة من الجمهور ٠٠ وقد يسارع البعض الى المبـــادرة بالاحتجاج على هذه المقولة ٠ لذلك فانني احب ان ازيد هذا الامر ايضاحا فالشعر الذي اقصده هو ذلك الذي يستجيب للحساسية المتغيرة دومـا والذي يصدم باستجابته تلك الذهنية السائدة في التلقي ٠ وهذا النوع من الشعر هو اجدر انواع الشعر استحقاقا لكلمة الشعر وهو اقلهـــا حظوة بالجمهور في لحظته الانية ٠٠ صحيح انه يكتسب بمضي الزمـــن وبرسوخ التغيرات الجديدة في الحساسية مزيدا من الجمهـــور ، الا ان الشاعر الحقيقي ما يلبث ان يبرح هذه الرقعة الواسعة من الجمهور ٠ في مغامرته لاستشراف التغيرات الجديدة في الحساسية ، وهي لما تزل نذرا تلوح في الافق البعيد ٠ وحينما يستجيب لاطلالات هذه الحســاســـية الجديدة يجد رقعة الجمهور الواسعة وقد ضاقت من جديد ٠٠ وتظـــل جوقة الشعراء ـ من متوسطي الموهبة ـ تعمل على توسيع هذه الرقعـة وتستفيد من تناميها ٠٠ بينما يواصل الشاعر الحقيقي الرحيل صـوب رؤى جديدة وحساسية جديدة وبالتالي رقعة ضيقة من الجمهور الجديد٠ وبقدر جدة الرؤى وتشابكها وخصوبتها تكون كثافة البناء وتعقيده وهي خاصية تصوغ حتمية ضيق رقعة الجمهورفي لحظة ميلاد المغامرة الجديدة٠

واذا عدنا الى التجربة الشعرية الجديـدة سنجـد ان القصيـــدة التركيبية ، وهي انضج مراحل القصيدة الجديدة واكثرها استجابةللتغيرات الدائمة في الحساسية واستيعابا لاطلالاتها الوليدة ، من أقل انواع القصائد الجديدة حظوة بالجمهور ٠ بينما نجد ان القصيدة الغنائية ما زالت قادرة بعذوبتها وسهولتها معا على الاستئثار بالنصيب الاكبر من جمهور الشعر الحديث ٠ وهذه في حد ذاتها ظاهرة صحيـــة « لان من شأن الشـــاعر الذي يجمع حوله بسرعة فائقة جمهورا كبيرا من الناس ان يثير فينـــا التشكك ، فهو يجعلنا نخشى الا يكون قد اتى بجديد ٠ وان يكون قـد اقتصر على اعطاء الجمهور ما تعود عليه ٠ اي ما تلقاه من قبل من الجيـل السابق من الشعراء ولكن من الاهمية بمكان ان يكون للشاعر في زمنه جمهوره الحق مهما ضاقت دائرة هذا الجمهور ٠ وينبغي ان توجد دائما دائرة من الرواد ، قادرة على تذوق الشعر ، مستقلة الرأي ، تسبقزمانها او تتمتع باستعداد اكبر لتذوق الجديد ٠ ولا يعني تطور الثقافة ان يصل

كل شخص الى المقدمة لان ذلك يعني الا يتقدم احد وانما يعني الاحتفاظ بفئة متقدمة جنبا الى جنب مع التيار العام لجمهور قراء لا يتخلف سوى جيل او ما يقارب ذلك ٠ وستنتقل التغيرات والتطورات في الحساسية التي تظهر بادىء الامر بين قلائل الى كتاب أكثر شعبية ٠ وتترك بذلك اثرها التدريجي في اللغة ٠ وعندما تثبت دعائم هذه التطورات يتطلب الامر خطوة جديدة للامام »[٣] يواصل بها الفن جنوحه الدائم الى استيعاب حركة الحياة الدائبة التطور ٠ ويجد النقد لزاما عليه ازاءها ان يعمل على تكوين وخلق هذه الدائرة الهامة والضيقة من الجمهور الذي يتمتع بحساسية مرهفة واستقلال في الرأي وقدرة على تذوق الجديد ٠٠ لانه بدون هذه الدائرة الضيقة من الجمهور لا يستطيع الشاعر ان يمارس دوره في الريادة والاستشراق والرؤيا ٠٠ لان بشارة الشاعر ان لم تجد ولو عدد قليل من الاذان الصاغية لها ما تلبث ان تتحول الى نذير بموت الشاعر نفسه ٠٠ ومن هنا كان تأكيد اليوت الحاد على ضرورة هذه الدائرة من الجمهور مهما ضاقت رقعتها ٠٠ لانها وحدها الضمان الاول لاستمرار مسيرة الشاعر والشعر معا ٠ ومن مسئولية النقد ان يرقب دائرة الجمهور الطليعي تلك وان يحول دون ان يتحول جزرها الى جفاف كامل او يتحول مدها الى بحر من الابتذال والسوقية ٠ وان يحافظ على هذه الدائرة الطليعية ، ينميها باستمرار ويمكنها من مواكبة الخطوات الجديدة لمغامرة الشاعر التعبيرية ٠ ولما كان جزر هذه الدائرة في واقع حركتنا الشعرية الجديدة يكاد يتحول الى جفاف كامل ، فانه بذلك يصوغ واحدة من الضرورات التي تحتنا نحو البحث عن منهج نقدي يكفل لهذه الدائرة الوجود والتطور ، ذلك لانه ـ كما يقول ستانلي هايمن ـ كلما اتسعت الهوة بين الادب وذوق الجمهور ، تصبح لمهمة الناقد التي تتطلب منه ان يكون جسرا بين الاثر الغامض والقاريء اهمية كبيرة ٠

٣ ـ غموض القصيدة الحديثة وغناها بالتأويلات

الشعر بنبيان ٠٠ وهو كبنيان له طبيعته النوعية الخاصة ٠ لكنه ككل الابنية الفنية يحاول دائما الانفلات من اسار الموروث الثابت والتملص من قيوده التي تحد مع حركته ٠ ويحاول في الان نفسه الاستفادة من كل الانجازات البنائية التي حققتها الفنون الاخرى او التي خلفها طابع العصر فوقها ٠٠ ونزوع القصيدة الدائم نحو الكمال وتوقها الى استيعاب اكبر قدر من الرؤى والاصوات ، والى الدخول في تعقيدات العالم المعاش للانفلات منها، وخلق قوانين شعرية تماثلها تعقيدا وشمولا هو الذي يدفعها الى انتهاج اسلوب البناء المتراكب ، والى استخدام الكثير من الوسائل البنائية المستعارة من الفنون الاخرى كالقطع والمزج والحوار واللعب بالنغمة الواحدة في مستويات لحنية متعددة ، وخلق التأثير من

خلال احتكاك الصفات الكيفية المتضادة ، والمناجيات الذاتية والمنولوجات والانتقال بين الازمنة والامكنة والمونتاج واستخدام الاقنعة والاحالات الى الاساطير والموروثات الشعبية والذهنية وغير ذلك من الاساليب البنائية التي استعارت القصيدة معظمها من الفنون الاخـــرى دون التخلي عـن الانجازات البنائية الشعرية التي تتواءم مع تجربة قانونها الاساســـي هو التقيد لا التبسيط · وبنيانها الغالب هو التركيب في التداخـل ·· بل لقد غامرت القصيدة الحديثة بهذه الانجازات المعروفة مثل الاستعارة والايقاع والتضمين وغيرها مغامرات طموحة ·· فاستحال التضمين مثلا في القصيدة الجديدةالىوسيلة بنائية شديدة التكثيف لان الشاعر الحديث قد صاغها من دمجه بين الصورة والكناية والرمز بصـــورة يثرى معهـا التضمين القصيدة بعدة مستويات من المعنى تزداد ثراء وخصوبة بقـدر توفيق الشاعر في دمج هذه الوجوه المتعددة للتضمين بعضها في البعض الاخر بطريقة يستحيل فصمها ·· لانه ان عجز عن ذلك الدمج الكامـل يظل تضمينه صورة او كناية او رمزا · ولا يستطيع التفاعل مع الدلالات المتعددة لهذه الوجوه واستحضار ثقل الرؤى التي يجتلبها الشـاعر الى قصيدته من افاق ميثولوجية او شعبية او دينية او فكرية او ما شابـه ذلك ·

ومغامرة القصيدة الدائمة مع الشكل ورغبتها في اقتناص ذلـك التغير المستمر في الحساسية والتعبير عنه هي التي تدفعها صوب التركيب والتعقيد ·· لان على الشاعر ــ كما يقول اليوت ــ في ظـل حضـارة كحضارتنا ان يميل الى الصعوبة والتعقيد · فحضارتنا تتسع لتضـم تنوعا وتركيبا · وهذا التنوع والتركيب لابد وان يفرز نتائج متنوعـة ومعقدة اذا ما تأثرت به حساسية رقيقة · ولابد للشعر ان يصبح اكثـر شمولا وايحاء ، واكثر ميلا الى عدم المباشرة حتى يتمكن من الخروج من اللغة بالمعنى ولو اضطر في سبيل ذلك الى انتزاع المعاني انتزاعا اوتعبير اطاراتها ،، (٤) ومغامرة الشاعر مع اللغة ورغبته في ان يصبح شـعره اكثر شمولا وايحاء واكثر ميلا الى عدم المباشرة هي التي تدفعه الى استخدام ما يسميه جون كرورانسوم باللغة البدائية وهي اللغة التي اذا حـاول الكلام فيها ان يكون فكريا او عقلانيا اضطر ان يكون صوريا او محسوسا ·· تميل فيها الكلمات الى ان تكون (جذرية) بمعنى ان كلا منهما يعني شيئا كاملا او حدثا كاملا ،،(٥) وهذا ما يجعلها قادرة على الايحاء والشمول معا وحرب الشاعر من اجل ان يعيد الى اللغة هذا البعد الصوري الذي فقدته من طول استعمالها لنثرى بمنطق استدلالي وتجريدي معا ·وتعامله معها بمنطق استعاري مغاير الى حد كبير للمنطق السائد · هو الذي يجنح مع الميل الى التعقيد والتراكيب بالقصيدة الجديدة الى نوع من الغموض

وخاصة بالنسبة للمتلقي الذي يساهم يوميا في تجريد اللغة من بعدها وهذه اللغة التي يستعملها الشاعر تزعج علماء السمانتيات ـ علم الصورى ذاك ٠

المعاني ـ ازعاجا كبيرا كما يقول كينيث بيرك ٠ وتصدم القاريء الذي يريد الوصول الى تأويل نهائي لاي عمل مبني من الكلمات ٠ لانها تضعه في مواجهة واحدة من الافكار الاساسية لمدرسة الصورة في علم النفس المعروفة باسم الجشتالت ، حيث لا تعترف هذه المدرسة بوجود الصورة الصرف ، اي بوجود الصورة التي يثبت فيها انتباهنا بالتساوي على الصفات كلها ٠ بل الامر بالعكس « اذ اننا لا نستحوذ على صورة الشيء الا في اثناء عملية تبينه ولا نتبينه الا برؤية صفة سطحية ما طاغية عليه٠ او صفة لاحد اوجهة ذات قيمة ظاهرة٠حينئذ ندرك صفات الشيء الاخرى على نحو يشبه (التواري) ٠٠ كما نحصل على تفاصيل الهوامش بالنظر من زاوية العين ٠ او بتسليط البصر مباشرة عليها ٠ ولكن لبرهة قصيرة ٠٠ ولعل هذه هي الطريقة التي يستخدمها الشعر ٠٠ انها طريقة اللامباشرة الا انها قد تكون الطريقة الوحيدة لادراك جمال الدنيا وروعتها وحيويتها الوهاجة » (٦) فالشعر يرينا الاشياء بطريقة نوقن معها ان ما حسبنا اننا عرفناه حق المعرفة مازال جديدا كل الجدة بالنسبة لنا ٠ وينبهنا الى بقية الصفات التي كنا ندركها بطريقة التواري ٠ ويشككنا في تأويلاتنا النهائية للاشياء وفي فهمنا الراسخ للاحداث ويصحبنا في مغامرة جسورة مع تأويلات جديدة ورؤى جديدة ٠ انه يرد للاشياء والوقائع بكارتها وقدرتها على الايحاء ، ويرد لنا حس الدهشة الذي افقدتنا اياه الحضارة الحديثة بحساباتها الصارمة وتعقيداتها وجفافها٠ لان الشعر يزيل حجاب الالفة الذي يقف بيننا وبين الوجود ٠ ويجرد امام عيوننا الجمال النائم الذي هو روح الكون بكل صوره ٠٠ ويرفع اللثام عن الجمال المختفي وراء استار الالفة والاعتياد ٠ ويجعلنا نبصر الاشياء المعتادة وكانغام نشهدها من قبل على الاطلاق (٧)

ومنذ ان اعلن بودلير قبل اكثر من قرن من الزمان ان وظيفة الشعر هي استخراج المدهش الذي يغمرنا ويروينا كالفضاء من اليومى التافه والمبتذل ٠ وان الشاعر الحقيقي هو من يعرف كيف ينتزع من الحياة الحاضرة وجهها الملحمى وان يكون تجسدا لعصره ، والشعر يواصل المغامرة من اجل تحقيق هذه المهمة ٠ ويجاهد الشعراء من اجل هذاالفهم الجديد للشعر مكان المفاهيم الاخرى له ٠ ومن اجل الا يكون الشعر وصفيا ولا روائيا بل ـ كما يقول مالارميه ـ ايحائيا ٠ وان يتكلم المرء كشاعر يعني ان اكتفي بالتلميح عن الاشياء او ان يستخرج صفتها التي تجسم فكرة ما ٠ وليس للقاريء ان يقاد بيده الى موطن فكرة

الشاعر الدقيقة · بل عليه ان يجد الفكرة التي يتضمنها حقل القصيدة الضبابي · وان تقوده علامة لا تدرك الى احد الامكنة ، حيث تختبيء او تتفتح فكرة هي غامضة لانها مركبة · وكل قاريء يجد ما يناسبه في هذه الفكرة المركبة · وفقا لخياله ونفسه وزمنه او بيئته · ويكون القاريء امام الموسيقى (٨) · وهذا الموقف الجديد للقاريء ازاء العمل الشعري وليد تلك التغيرات التي انتابت موقف الشاعر من الشعر جملة وفهمه الجديد لوظيفته الفنية والاجتماعية · واذا كان الشاعر قد حارب من اجل تأكيد هذا الموقف الجديد وهذا الفهم الجديد فان على المتلقي هو الاخر ان يخوض حربا مشابهة ليخلص نفسه من اسار الفهم المدرسي للشعر كفن قائم على النظم وكرسالة قائمة على مجرد التعبير عن الواقع · ولكن يدرك ان قيمة الشعر ليست في كونه جزءا او صورة من العالم الحقيقي — بالمدلول الشائع لهذه العبارة — بل هي في كونه عالما قائما بذاته كاملا ومستقلا (٩) ·

من هذه النقاط كلها ·· استخدام الوسائل البنائية المستعارة من من الفنون الاخرى · وتطوير الادوات الشعرية القديمة وتركيزها وتكثيفها · وجنوح القصيدة نحو التعقيد لاستيعاب التعقيد الحضاري والميل الى استخدام الكلمات الجذور واللغة البدائية · والرغبة في ايقاظ حس الدهشة في اغوار المتفرج ومنحه الرؤيا — حسب تعبير بول ايوار — وفي اضفاء البكارة على الحياة والاشياء · والميل الى الايحاء والبعد عن الافكار ومحاولة اخفائها في طيات القصيدة حتى يتمكن الشعر — كما يقول براديل — من ان يخلق عالما مستقلا له كينونته الخاصة · من كل هذه العناصر يولد غموض القصيدة الحديثة · وهو غموض لا تستأثر به القصيدة التركيبية وحدها ولكنه يشيع في كل القصائد الحديثة ·· ولا ينجم هذا الغموض عن كل العوامل التي ذكرتها فحسب · ولكنه يزداد ثقلا وضبابية بفعل عنصر اخر هو اعتياد المتلقي على زاوية نظر جامدة او بالاحرى خاطئة للقصيدة · وهو عنصر يعتبر رزونتال المسئول الاول عن هذه الظاهرة » « لان الغموض الذي نسمع الكثير عنه ليس غموضا في الحقيقة · ولا ينجم من القصيدة نفسها · وما يجعل القصيدة تبدو صعبةانما ينجم عادة عن الزاوية التي ينظر الى هذه القصيدة منها» (١٠) وبحثنا عن منهج جديد لنقد الشعر الحديث نابع ايضا من ضرورة بلورة زوايا صحيحة للنظر الى القصيدة الحديثة · تضع القاريء امام المدخل الصحيح لها ثم تتركه يستجيب لتأثيراتها بالطريقة التي تتواءم مع قدراته وثقافته · فبهذه الطريقة يشارك النقد في اسقاطدعوى الغموض التي الصقت بالقصيدة الحديثة ·

٤ ـ الحاجة الى مراجعة الحصاد الشعري والنقدي ٠

الضرورة الرابعة التي تستلزم البحث عن منهج جديد لنقد شعرنا الحديث تصوغها ظواهر ثلاث تشارك معا في ابراز تفاصيل تلك الحاجة الى مراجعة الحصاد الشعري والنقدي لحركة الشعر الحديث ٠ وأولى هذه الظواهر الثلاث هي غياب الخط التطوري الواضح لمسار هذه الحركة الشعرية خلال ربع قرن من عمرها ٠ فالطريق الذي انتهجه عبدالوهاب البياتي في تطوير تجربته الشعرية وتنميتها منذ (ملائكة وشياطين) عام ١٩٥٠ حتى (قصائد حب على بوابات العالم السبع) عام ١٩٧١ يختلف عن الطريق الذي سارت فيه تجربة بدر شاكر السياب الشعرية منذ (ازهار ذابلة) عام ١٩٤٧ حتى اخر ديوان اصدره قبيل وفاته وهو (شناشيل ابنه الجلبي) عام ١٩٦٥ ٠ كما يختلف هذان الطريقان عن الطريق الذي انتهجه ادونيس (علي احمد سعيد) لبلورة كشوفه واستقصاءاته الشعرية منذ (قالت الارض) عام ١٩٥٠ حتى (وقت بين الرماد والورد) عام ١٩٧١ ٠٠ واذا كان ثمة ما يجمع هذه الطرق الثلاثة فهو التشوف لارتياد بقاع جديدة والتوق للاقتراب من جوهر الشعر والتجديد ٠ وهذه الشهوة العارمة للمغامرة مع الشعر هي التي توهن الصلة بين الديوان الاول والديوان الاخير لكل شاعر من هؤلاء الشعراء الثلاثة ٠ وهي التي تجعل مغامرة كل شاكر نسيجا وحدها ، وان جنحت مغامرات الشعراء جميعا الى تطوير بناء القصيدة وتركيبها وفق رؤى الشعراء واستجاباتهم لحساسية اللحظة الحضارية التي يعيشونها ٠ وهذا ما يجعلنا نعثر على خطوط تطورية تكاد تتساوى مع عدد الشعراء الممتازين ومع تنوع رؤاهم ٠

صحيح اننا نستطيع رصد بعض ملامح التطور الذي حققته هذه الحركة كما نستطيع العثور على بعض علاماتها البارزة ٠ لكننا لا نصل الى هذه الملامح او تلك العلامات الا بعد السير في مجموعة من الدروب المتشابكة والمتعرجة ٠ وكثرة هذه الدروب المتعرجة هي التي تستلزم التوقف حيالها والتعرف من خلال دراستها على الروافد الناضبة والمناهل الواعدة بالعطاء ٠٠ وذلك حتى لا تضطر كل شريحة جديدة ـ ولا اقول جيل جديد ـ من الشعراء ان تبدأ المغامرة من اولها وان نعيش بنفسها مرة اخرى جفاف الروافد الناضبة حتى تتيقن من عمقها ٠ بل تجد الارض امامها محروثة ومدروسة فتدخر كل طاقاتها للاستقصاءات الواعدة بالخصوبة والثراء٠ولا يعني هذا اننا نطالب بتوفير مجموعة من الوصفات الجاهزة التي تكفل للشاعر التقدم وللشعر التجريب والازدهار ٠٠فهذا ابعد شيء عما نقصده ٠ بل واكثر الامور عداء للبحث المنهجي السليم

وللمغامرة الشعرية التي لا تكف عن الحلم والطموح · ولكن كل ما يعنيه هو ان يشارك هذا المنهج الجديد في ارهاف قرون استشعار التجربة الجديدة حتى تستطيع التمييز بين ما يدفعها الى الامام وما يشدها الى الخلف · وان يمنح حدس الشاعر المرهف بصيرة عقلية يخرج بها من دائرة الحدس المبهمة التي لا يستشعرها غير شاعرها وحده الى مجال الوضوح النظري الذي يفيد منه بقية الشعراء ·

اما الظاهرة الثانية فهي تبلور مجموعة من المصطلحات النقدية والشعرية التي تكاد تصبح قيدا على حركة التجديد · تشدها الى سلفية جديدة وجمود من نوع جديد · وتدور بالكثير من القصائد وبالكثير من المراجعات النقدية في دائرتها المكرورة · وتبلور مصطلحا شعريا يكاد من كثر استعماله والالحاح عليه يتحول الى عدد من الكليشيهات المجوجة· تتكرر فيها بعض المفردات والتراكيب اللغوية حتى تكف عن الدلالة والايحاء · وتلح فيه بعض الصور او تتلاحق بطريقة محفوظة تفقد معها فعاليتها وتأثيرها · اما على الصعيد النقدي فانهناك مجموعة من المنطلقات المكررة في تناول التجربة الشعرية · يبدأ بعضها من تصور وجود مجموعة محدودة من التأويلات السياسية للتجربة الشعرية يقيس الناقد وفقا لها حظ هذه التجربة من الاخفاق او التوقيف · ودخول الناقد الى عالم الشاعر عبر هذا التصور المسبق وغير الشعري دائما ما يحول دونه ورؤية القصيدة بشكل حقيقي · ودائما ما يجهض ايحاءات القصيدة وفعالياتها بين يديه · وهناك عدد من التنويعات على هذا المنطلق السياسي يرتدي فيه المنطلق السياسي نفس المسوح ، وان اختلفت مسمياته ·· فهي القضية الاجتماعية تارة وهي ظاهرة الحزن ثانية وهي قضية الاغتراب ثالثة وهي الالتزام رابعة ··· الى آخر هذه المسميات ·· وهناك منطلق اخر يبدو للوهلة الاولى انه نقيض هذا المنطلق ولكنه في النهاية يتفق معه من حيث الجوهر · انه يستبدل القضية الفكرية سياسية او اجتماعية او نفسية بالقضية الفنية· ويرتد الى نوع من السلفية الشكلية الجديدة تريد في بحثها عن اسس معيارية لموسيقى القصيدة الجديدة ومبناها ان نضع على مغامرة الشاعر مجموعة من القيود ذات المنطلق الخليلي ·وترى الاكتفاء بالنقلة العروضية التي حققتها بدايات القصيدة الجديدة ، بدعوى انه لا يمكن لعصر واحد ان يستوعب اكثر من ثورة واحدة · وان هذه الثورة على عروض القصيدة القديمة هي التعبير الحقيقي عن روح العصر ون ما عداها تمرد فوضوي لا معنى له ·· وكل هذه المصطلحات النقدية والشعرية ـ ولم اذكر منها سوى مجرد امثلة ـ في حاجة الى التريث عندها واعادة النظر فيها حتى

لا يتحول بعضها الى قيد على حركة الشعر والنقد في طموحها معا لاستيعاب الحساسية المتغيرة لعصرنا ٠

الظاهرة الثالثة التي تشارك مع غياب الخط التطوري الواضح لحركة الشعر الحديث وتبلور مجموعة من المصطلحات الشعرية التي تحولت الى قيد على حرية التجديد ٠ هي وفرة الدراسات النقدية التي تناولت حصاد هذه الحركة الشعرية وتعدد مناهجها واساليبها ٠وتتراوح هذه الدراسات شمولا بين المراجعة السريعة لشاعر او لديوان ، والدراسة المنهجية الشاملة لانجازات الحركة باكملها وتتفاوت عمقا بين الملاحظات النقدية الخلاقة التي تكشف عن بصيرة عميقة وحس بالشعر شفيف والتهويمات الساذجة التي تدلف الى القصيدة وقد حجبت عنها الافكار المسبقة وزاوية النظر الخاطئة ما فيها من كنوز ٠ وبرغم وفرة هذه الدراسات فان النماذج الجيدة منها قليلة للغاية واسهامها في توسيع افق القصيدة الحديثة ضئيل الى اقصى حد ٠ وان كان من المجحف ان نذكر دورها في سد الفجوة بين القصيدة الجديدة والقراء ٠ وفي مساعدتهم على تذوق الشعر الحديث بصورة افضل وتمكينهم من دخول عالم التجربة الشعرية له ٠ واذا كانت اغلب هذه الدراسات قد وضعت معظم نتائجها في اطار عدم اليقين متعللة بقصر عمر القصيدة الحديثة وبقلة نماذجها الجيدة من ناحية ٠ او بتحور هذه النماذج وتطورها الدائم من ناحية اخرى ٠ فان انقضاء اكثر من ربع قرنمنالزمان من جهة ووفرة الدراسات النقدية التي حاولت الاقتراب منها من جهة اخرى تتطلب منا ضرورة التريث ازاء هذا الكم الكبير من النتائج التي وضعت بين اقواس من التحفظات او في اطار من عدم اليقين ٠ لنعرف ايها ثبت للتجربة وايها تساقط على طريقها ٠ ولنشكل من هذه الثوابت رقعة صغيرة من الارض المنهجية التي يمكن ان تنطلق من فوقها محاولة جادة للبحث عن منهج لنقد شعرنا الحديث ٠

٥ ـ توزع الدروب بجيل الستينات من الشعراء

لا شك ان قضية المجايلة في حركة الشعر الحديث من القضايا الخلافية الشائكة ٠ لان محاولة مجموعة قليلة من شعراء جيل الرواد لتجاوز انجازاتها وتطوير رؤاها جعل من الصعب القول بوجود جيلين متمايزين ، بالمعنى الاصطلاحي لا الزمني فرؤى بعض الشعراء الرواداكثر تقدما ومعاصرة من رؤى الكثير من شعراء الستينات وان كان هذا لاينفي انلبعض انجازات الجيل الجديد سمات وملامح متمايزة ٠٠ والذي يجعل القضية اكثر غموضا وتعقيدا هو توزع الدروب بالجيل الثاني او الجديد من شعراء حركة الحداثة في شعرنا العربي ٠ والذين اصطلح على تسميتهم بشعراء الستينات ٠ بصورة يصعب معها العثور على اتجاهات او تأثيرات

واضحة ينطوي تحتها الشعراء في مجموعات متمايزة ·· اللهم الا فيمجال التأثر بشاعر من شعراء هذه الحركة الكبار ، وأدونيس هو اكثر الشعراء الكبار تأثيرا في جيل الستينات · سواء اكان هذا التأثير في مجال الرؤية او في نطاق المفردات والتراكيب والبناء · واذا كان هذا التفرد علامة صحة على صعيد ما · فانه عرض خلل على صعيد الصوت المتميز الذي لابد ان ان يميز كل شاعر ، والتوق الى الانفلات من اسار القوالب الجامدة الذي لابد ان يصاحب كل مغامرة حقيقية لاستشراف الشعر · ولكنه علامة خلل اذا ما اخذنا في الاعتبار ان الشعر صدور عن حساسية معينة ـ ولا اريدان اضيقها واقول عن واقع حضاري معين ـ واستيعاب لها · ولابد ان تظل حساسية اللحظة الواحدة بادية ـ ولو ـ في الخلفية البعيدة لابداع مرحلة معينة ·· وهي تتبدى غالبا من خلال عدد من التنويعات التي ندعوها بالتيارات والاتجاهات ·· وقد يكون افتقاد هذه التيارات والاتجاهات هو الشكل الذي تعبر به حساسية اللحظة الحضارية الراهنة عن نفسها · وهذا ما اميل اليه · غير ان هذا يحتاج منا بحثا عن منطلق جديد غير منطلق القوالب المحفوظة التي حاول النقد بها ان يضع شعراء المدرسة الحديثةفي اطاراتها من رومانسية وواقعية اشتراكية ، ورومانسية اشتراكية ورمزية وغير ذلك من القوالب والاسماء ·

وقد حاول (البيان الشعري) الذي قدمته مجلة (الشعر ٦٩) وهو الوثيقة النظرية الوحيدة لعدد من شعراء الستينات ، ان يقدم تحليلا نظريا لهذه الظاهرة من خلال طرحه لمفهومه عن الشعر وعن دور القصيدة في العالم · ويرى هذا البيان « ان القصيدة تبدأ تعاملاتها مع العالم من خلال افتراض جوهري ذي اهمية خاصة هو ان العالم ناقص وكذلك الموجودات والاشياء ·· وانها ليست تعاملا مع ما هو وجود يومي اولحظي من جهة · او وجود نهائي مطلق من جهة اخرى بقدر ما هي تساؤلات وجودية غير انانية امام وهم لانشناء المطلق للعالم ·· وان الشاعر ينتمي الى حلم البشرية العام الذي لا يمكن ان يتحقق في اي زمن ، ويصبح مستقبليا على الدوام بحكم تطلعاته غير النهائية ·· ومع ذلك لا يوجد قانون في العالم كله يحرم الشاعر من استغلال علائقه اليومية الانسانية · بل على العكس من ذلك يأخذ الشاعر كل مادة شعره من العالم · ولكن عالم الشاعر ليس هذا العالم المرئي الذي تسوده قوانين منطقية فحسب وانما هو العالم المرئي مضافا اليه العالم اللامرئي والعالم الشخصي والاجيال والازمنة · وعالم الشاعر وفق هذه الرؤيا عالم مصاغ صياغة خاصة داخل حلم يوحد كل الموجودات في لحظة واحدة ويهدمها في لحظة واحدة ايضا ··· وولوج منطقة الشعر اشبه ما يكون بولوج مدينة اسطورية مسحورة غامضة · كل شيء فيها يكتسب براءته خارج المعرفة

المسبقة مع الوعي بوجود قوة حامية تسيطر على المدينة المفيدة الى الابد. والشاعر الذي يقتحم بوابة هذه المدينة لايمكن ان يدخلها كمقاتل ارضي يسعى لانقاذ المدينة من سيطرة الساحر المختفي وراء ستارة قوته ، وانما كضيف مبهور واقع هو الاخر في اسر سحر البراءة ، والحقيقة التي تغير الوان الاشياء . تصلبها في الزمان . توقف الزمان وتمزج الحلم بالواقع والمثال بالديالكتيك والحياة بالموت .. وهو يكتب الشعر من خلال صبوة الروح للتماس مع تلك الحقيقة التي تعذب كيانه .. فالشاعر الحقيقي هو الذي يحاول الوصول الى الحقيقة بطريقته الخاصة مع الاحتفاظ باحترام خاص لكل الطرق التي تساعد على الوصول .. الا انه عبر اختراق هذه العوالم المتناقضة يجب الا يسقط في اسرها ذلك لان مهنة الشعر ترفض اي عبودية مقننة .. ان الشاعر الحقيقي هو الذي يحاول فهم العالم ويرفض في الوقت نفسه الايغال داخل وهم الحياة .. يرفض ان يجعلنا جزءا مشتركا في طقوس هذه الحفلة غير المؤكدة .. واذا كان الحلم هو جواد الشاعر الى العوالم غير المرئية فانه في الوقت ذاته صوت ذاته صوت الرفض والتحدي للبؤس الذي يغمر العالم . انه صوت الشاعر الذي يحتج ضد كل ما هو بربري ومعاد وخالق للعذاب . ورغم ان الشاعر صوت كل الاجيال والعالم فانه في الوقت نفسه صوت عصره وامته وشعبه ايضا » (١١) .

من خلال هذا المونتاج السريع لاهم الافكار التي تضمنتها هذه الوثيقة النظرية التي بلغلت حدا كبيرا من العمق والنفاذ والتشويش نضع يدنا على الكثير من الملامح التي صاغت رؤية الشاعر الحديث في الستينات . فهو في ضيقه من النماذج الشعرية المكرورة ينزع الى البحث عن حقيقة مفارقة للعالم ثم يعود الى تأكيد ضرورة الانطلاق من هذا العالم الذي يراه غارقا في الوهم والنقص وغير مؤكد . والحقيقة التي تجاهلها هذا البيان وان لم يستطع التملص من قبضتها ، هي ان تشوف شاعر الستينات الى حقيقة مفارقة لعالم الواقع نابع من احساسه بفقدان السيطرة على مقدرات واقعه المحلي .. ومن تعلل فعلياته للتغيير ازاء واقع باطش غارق في التخلف على جميع المستويات ولكنه شديد التقدم في الاخذ باحداث اساليب القمع التي انتجتها الحضارة الحديثة او الحضارة القمعية حسب تعبير ماركوز ، ومن تلك الفجوة الكبيرة بين تألق صورة الحلم العربي في الاربعينات والخمسينات . وبشاعة هذه الصورة حينما ارتدت جسد الواقع في الستينات .. فها هي كل الافكار التي نادى بها جيل الحلم والنبوءة وقد استحالت الى مسوخ شوهاء مفرغة من المعنى. وها هي الكلمات التي سفحت في سبيلها اطهر الاعمار تتحول الى حبال تلتف على رقاب هذا الجيل الجديد وتحكم قبضتها عليه لتحوله الى انسان

ذي بعد واحد (١٢) لا يفكر ولا يحلل ولا يعارض لان هذه الامور تورد التهلكة • وعليه الانصياع الى كل ادوات الحضارة الذرائعية وتأكيد اغترابه ان اراد لنفسه النجاة التي تستوى في النهاية مع الموت •

ووعى جيل الستينات بتفاصيل هذه الصورة وعجزه عن المبادرة الى تغييرها هو الذي يدفعه الى تقنيع احتجاجه عليها في صور بالغة التشابك والتعقيد حتى تصبح بالغة التخفي • وخلال عملية التخفي الجماعية تلك حاول كل شاعر ان يموه ملامحه وان يرتدي اكثف الاقنعة وابعدها عن اثارة الريب • ومن قواعد لعبة التخفي تلك انها برغم جماعيتها تعتمد كل الاعتماد على وسائل فردية الى اقصى حد • تتم فيها عمليات تحويل ـ بالمصطلح النفسي والفكري ـ لا حصر لها ، تشكل التعدد الذي ينطوي في اخر الامر على الوحدة • فكلها محاولات تستهدف المجاهرة باشياء لا يستطيع الفنان ان يعبر عنها بشكل مباشر • وتبغي الافلات بالادب من قبضة المراقبة والمساءلة دون ان يضحي بطاقته النقدية الخلاقة • وبين الرغبة في الاضطلاع بدور نقدي واضح والخرف من التردي في فوهة الصمت الفاغرة فيها تنوعت منطلقات الشاعر الى استشراف حساسية اللحظة والتعبير عنها • وتمايزت بصورة يصعب معها الحديث عن مجموعة من الاتجاهات او التيارات وهذا ما يتطلب منا تنازلا نقديا جديدا يتخلق فيه الاسلوب والمنهج من خلال المعايشة الكاملة لرؤى الجيل الجديد والفهم العميق للمناخ الحضاري الذي صدر عنه • وللمفهوم الجديد الذي يطرحه لطبيعة الشعر ودور الشاعر •

٦ ـ استشراف الافاق الجديدة

اذا كانت الضرورات السابقة ذات طابع تاريخي وفني فان هذه الضرورات ذات طابع حضاري بكل ثقل الكلمة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري •• الخ • ومن هنا فان هذه الضرورة ظلت كامنة تحت قشرة حديثنا عن الضرورات السابقة • تطل برأسها على استحياء لحظة وتختفي لحظات • في جنوح القصيدة نحو التراكب • في استيعابها للحساسية الجديدة وملاحقتها لتفتتها وتغيرها • وفي غموض القصيدة الجديدة وتصور جيل الستينات المميز لها •• في كل هذه الضرورات كانت تلوح وتختفي الرؤى الجديدة التي تصاغ من جماعها هذه الضرورة •• كان هناك دائما ذلك التوق الى معارم الى استشراف الافاق الجديدة • وذلك الضيق المتبرم برسوخ الاوضاع القديمة وزحف الرؤى والتصورات السلفية وهي تكبل باغلالها الجديدة مطامح تلك المغامرة التي « تطمح الى ان تفسر العالم وتغيره كما يرى بدر شاكر السياب •والى ان تجعل ما يفلت من الادراك العقلي ، مدركا او ان تكشف عن عالم مجهول لم يعرف بعد كما يرى ادونيس » (١٣) فتحيلها الى شيء مهدر

ممجوج فاقد للفعالية كاغلب الاشياء في عالمنا العربي • وكان هناك دائما الحلم بدور جديد للشاعر وبفهم جديد للشعر يرتد به الى الدور الـــذي اضطجعت به عرافه دلفى في اساطير العالم القديـــم •• دور النبـــوءة والاستشراف والرؤيا • وكان هناك دائما الحنين الى ارتياد المطلق والبحث عن الحقيقة والتوحد مع سر الخلق وفعل الكينونة وكانت هناك ايضـــا الشهوة العارمة للكشف والمغامرة في البقاع المجهـــولة للتعبير عـــن ادق تذبذبات الوجدان العربي في تشوفه لاكتشاف الذات والطريق •

لكن لم يكن واضحا الى جانب كل هذا ان التوق العارم الى استشراف الافاق الجديدة ليس ترفا محضا ، ولكنه وليد طبيعي للظروف الحضارية التي عاشتها الامة العربية في الستينات • لان « الصفات النوعية لمجتمع من المجتمعات تتطابق بدقة مع بعض التراكيب الخاصة بلغة معينة ،وغير القابلة للترجمة » (١٤) والتي نسميها شعرا • ولان تشوف الشـــعر الى استشراف الجمعي الى تجاوز الواقع من جهل وحماقة ، وتجوف وزيـــف وفساد • بكل ما فيه من قشور مظهرية واذاعات بليغة وخطباء مزعجين وانتهازيين • ولان تشوف الشعر لارتياد هذه الافاق الجديدة نابع مـــن رغبته في المساهمة في تعويض انعدام التوازن في واقعنا الراهن ـ كمـــا يقول موندريان ـ والعمل على خلق هذا التوازن وعلى تصحيح قبه المائل• واذا كانت هذه الرغبة قد وجدت في الشعر تعبيرا موفقا عنها فان ذلـك راجع الى طبيعة الظروف التي عاشها مجتمعنا العربي طوال الســـنوات العشر الماضية والتي تقع هزيمة حزيران الدامية في منتصفها تماما •

ولن اتحدث هنا عن سنوات ما قبل الهزيمة ولا عن ارهاصاتهـــا التي تبدت في الكثير من الاعمال الادبية الناضجة قبل وقوعها سنوات • ولكني سأكتفي فقط بدور سنوات ما بعد النكسة في ارهـاف حســـنا بالحاجة الى المراجعة الشاملة لشتى الثوابت والرواسخ في واقعنـــا • وبالحاجة الى ان نجعل هذا التاريخ الدامي ـ يونيو ١٩٦٧ ـ علامـــة فارقة فيحياتنا • ننطلق بعده الى افاق جديدة وقد اخذنا من وقائعـــه ابلغ الدروس والعبر • وقد انعكس هذا في توق الجيل الجديـــد مـــن الكتاب الى طرح رؤاه واعماله بعيدا عن حماية الجيل السابق ومفاهيمه• فكانت مجلة (٦٨) في القاهرة ومجلة (الشعر ٦٩) و (الكلمة) في العراق برغم كل ما قد نأخذه عليها ، تعبيرا عن هذه الرغبة وتأكيدا لها• تعبيرا يحمل في طواياه ضيق الجيل الجديد من تلك الازدواجية المروعة التي الفها جيل الاربعينات • ويشير الى رغبة هذا الجيل في الانفلات من قبضة ما رسخه جيل الاربعينات في واقعنا من قيم وتقاليـــد تصـــوغ تناقضاتنا كل تناقضات السنوات التي كانت احداث يونيو تعبيرا عـــن ذروة صراعاتها •

ولكن اهم ما يشير اليه جنوح جيل الستينات الى الانفلات من قبضة رؤى الاجيال السابقة ومفاهيمها هو ان ثمة تغييرا جذريا في حساسية اللحظة قد حدث • وان هناك مفهوما جديدا للادب والحياة قد بدأ يتخلق تحت قشرة المفاهيم القديمة ويجاهد للتملص من قبضتها ولتخليص وجهه من ملامحها •• واخذ هذا المفهوم الجديد وهو يرى الرغبة المخلص في التغيير التى انطلقت بعد النكسة تمسخ بأسم التغيير ذاته يضيق بتلك المقولات الراسخة عن كون الفن تعبيرا عن الواقع ويحاول بدلا عنهامجموعة من المقولاتالجديدةالتيترى انالفن تغييرا وان الفن تمردا وثورة وانالفن نبوءة ورؤيا• فمن خلال تلكالمقولاتوحدها يستطيع الفنانان يترجم ضيقه بالحلولالتي تطرحها الطلائعالسياسية للمعضلة القومية،الىمصطلحات جمالية محضة • وهذه المصطلحات الجمالية الجديدة هي تعبير عن احساسه بالظروف الحضارية التي يعيشها او هي الافراز الطبيعي لتناقضات هذه الظروف•ولذلك فانها تتطلب منها تناولا نقديا جديدا•• من التبعية الممجوجة للواقع نوعا من الهروب من الواقع او التعالي عليه• ولكنه ينفذ من خلاله الى طبيعة رؤى الفنان لهذا الواقع لا في لحظته السكونية الراهنة ولكن في صيرورته وحركته الدائمة •

وفي نهاية حديثي عن الضرورات التي تستلزم بحثنا عن منهج لنقد الشعر الحديث احب ان اشير الى ان كل ضرورة من هذه الضرورات لا تعمل بمعزل عن الاخرى ولكن في تشابك كامل مع غيرها من الضرورات• بالدرجة التي تجد معها من زاوية معينة للنظر ان كل واحدة من هذه الضرورات انما تنطوي في الواقع على الضرورات الباقية • وان تناولنا لكل واحدة بمعزل عن الاخريات انما كان لابراز الدور النوعي لها ولتبسيط الدراسة • وهذا ما قد يفسر بعض التكرار الطفيف الذي يطل بين لحظة واخرى وان حاولت دائما في هذه الحالات ان اكبح جماحه والا استسلم لاغراءاته حتى احتفظ للدراسة بالتركيز والوضوح معا •

٧ ـ البحث عن جذور تراثية للمنهج الجديد

اذا كانت حركة التجديد في القصيدة العربية قد انطلقت من استيعاب تراث القصيدة القديمة شكلا ومضمونا ثم انطلقت به في مغامرة تعقد تزاوجا بين افضل ما في القصيدة العربية وارقى انجازات القصيدة الانسانية وخاصة الاوروبية منها • فان على المنهج الجديد ان يعقد هو الاخر تزاوجا بين افضل اساليب نقد الشعر في ادبنا القديم وبين اكثر مناهج النقد الاوروبي تواؤما مع طبيعة القصيدة العربية الحديثة • وقد يتصور البعض انه ليس في تراثنا النقدي القديم ما قد يفيد الناقد الحديث

وقد تعقدت رؤاه وثقافاته وتساقطت بين يديه ثمار الكثير من المعارف بالحضارة الانسانية وبالنفس البشرية معا • غير ان التريث ازاء بعض الدراسات اللامعة في نقد الشعر العربي القديم ما يلبث ان يكشف عن مدى ما في هذا التصور من خطأ • حيث تتضمن فهما نقديا عميقا للشعر كان له طبيعته النوعية الخاصة ومبناه الفريد • وحيث تشير بعض دراساته الى كشوف العقل العربي الباكرة في ميدان النقد • فالنقد الادبي سابق عند العرب للتاريخ الادبي » (١٥) وهذا السبق يؤكد المنحى الفني الباكر للنقد قبل ان تسيطر عليه النزعة التأريخية • لذلك نلمس في اول الكتب النقدية التي الفت في تاريخ الادب العربي وهو (طبقات الشعراء) لابن سلام الجمحي مجموعة من القيم النقدية الهامة يجملها الدكتور مندور في البدرية والممارسة وادراك اهمية تحقيق صحة النصوص وصحة نسبتها ومحاولة تفسير الظواهر الادبية وتعليلها بالرجوع الى مجموعة من العوامل التاريخية والبيئية • وبلورة مجموعة من المبادىء العامة التي يمكن اتخاذها كأساس للمفاضلة مثل كثرة شعر الشاعر وتعدد اغراضه وجودته •

ولقد اخذت هذه القيم النقدية في الاتجاه نحو النضج والعمق والتحدد بعد ذلك لدى ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) ثم بدأت تميل الى المنهجية والمعيارية لدى ابن المعتز في كتابه (البديع) وقدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) وصلت الى ذروة النضج من حيث التحليل والمقارنة في الموازنات والخصومات والسرقات وغير ذلك من الدراسات النقدية التي تعتمد على اسس منهجية راسخة وعلى معرفة وثقافة شعرية شاملة • ثم تعددت بعد ذلك كتب النقد واساليبه وان اندرجت كلها تحت خمسة انواع : « احدها يصنف الشعراء القدامى الى طبقات • والثاني التعريف بالشعراء والترجمة لهم دون تصنيف • والشعراء لهم دون تصنيف • والثالث افراد كل بيئة من البيئات الكبرى المعاصرة للمؤلف بقسم من اقسام الكتاب • ونضيف الان اليها نوعين اخرين احدهما يمثل عناية المؤلف ببيئته ومن فيها من اعلام الادب • والثاني يصور الاتجاه الموسوعي او المعجمي في التعريف بالسابقين من الادباء والعلماء الى عصر المؤلف » (١٦) وفي كل هذه الدراسات النقدية استطاع نقد الشعر في تراثنا القديم ان يبلور له مجموعة من الخصائص المعيارية والمنهجية ومجموعة من القيم الجمالية تتبدى بشكل واضح في كتابي (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (الصناعتين : الكتابة والشعر) لابي هلال العسكري وغيرهما •

ففي (نقد الشعر) لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ نعثر على اول تشريع فلسفي للادب كما يقول

الدكتور طه حسين (١٧) فنحن عندما نقرأه نحس من اول فصوله اننا بازاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل » روح ينزع نحو التقرير العلمي والتحديد الفلسفي ويحاول ان يبلور قيمه ومقاييسه من خلال استقراء شبه علمي يعتمد على البصيرة النافذة والحس المرهف ·· انظر مثلا كيف يعرف الشعر وكيف يحلل تعريفه له فستجد ذلك شيئا تقريريا محضا فهو يقول « انه قول موزون مقفى يدل على معنى ·· فقولنا : قول، دال على اصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر · وقولنا : موزون يفصله مما ليس بموزون اذ من القول موزون وغير ، وقولنا : مقفي : فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين مالا قوافي له ولا مقاطع · وقولنا : يدل على معنى ، يفصل بين ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى · مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ·· فاذا كان قد تبين ان الشعر هو ما قدمنا ، فليس من الاضطرار اذن ان يكون ما هذه سبيله جيدا ابدا ولا رديئا ابدا : بل يحتمل ان يتعاقبه الامران : مرة هذه واخرى هذه على حسب ما يتفق · فحينئذ يحتاج الى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء » (١٨) اذا كانت هذه العبارة التي اقتطفناها من بداية الفصل الاول في كتاب قدامة تدل على منتهى التفكير الفلسفي ـ كما يقول طه حسين ـ فانها تكشف ايضا عن بصيرة نقدية تعرف ان تحديدات الشكل الخارجي لا تكفي لسبر اغوار العمل الفني ، بل يظل هناك ، مع توافر كل شروط الشكل عمل جيد واخر رديء · وفي المعايير والخصائص التي تميز العمل الجيد من الرديء يقدم قدامة تحليلا باهرا للقصيدة العربية يكتشف قبل اكثر من الف عام ان الشعر بنيان وان الطريق الصحيح لاكتشاف القصيدة هو التحليل اللغوي لمفرداتها ولتراكيبها ولطريقة صياغتها لصورها ·

لذلك فانه يخصص القسم الاكبر من كتابه للجانب الوصفي من عملية التحليل تلك · ويعمد في البداية الى تقسيمها الى اقسام اربعة من حيث ائتلاف مكونات القصيدة الاربعة من لفظ ومعنى ووزن وتقفية واتساقها في بنيان جيد متكامل · وهذه الاقسام هي « ائتلاف اللفظ مع المعنى · وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية » (١٩) ويبدأ قدامة بعد ذلك حديثه عن هذه الاقسام الاربعة بشكل نظري وتطبيقي معا · يفصل في البداية فكرته ثم يورد بعد ذلك مجموعة من الشواهد التي لا تجعل حديثه مجردا والتي تساهم في تقريب استقصاءاته النظرية في الاذهان · وفي الفصل الثاني الذي يخصصه للنعوت مكونات القصيدة يتحدث عن نعت القوافي · ويكشف خلال هذا الحديث عن رؤى وقيم جمالية على درجة كبيرة من النضج والجمال · ثم يفرد لنعت المعنى بابا اضافيا يفصل فيه المعاني وفق ما

تعارف عليه العرب من اغراض القريض فيذكر نعت المديح ونعت الهجاء ونعت المراثي ونعت الوصف ونعت النسيب ونعت التشبيه • ثم ما يلبث ان ينتقل بعد ذلك من الكليات الى الجزئيات او من الوصف الى التحليل فيتناول صحة التقسيم داخل القصيدة الواحدة وصحة المقابلة وصحة التفسير • ثم يعود الى الاقسام الاربعة التي ذكرناها من قبل فيتريث عند كل قسم منها محللا •• فيرى ان لائتلاف اللفظ مع المعنى عدة وجوه ايجابية هي الاشارة والارداف والتمثيل • وعدة وجوه سلبية هي المعاظلة والاخلال • وان لائتلاف اللفظ مع الوزن وجها ايجابيا اساسيا يمكننا ان ندعوه بالمصطلح المعاصر الحتمية لانه يتجلى في « ان تكون المعاني تامة مستوفاة لم تضطر باقامة الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه • وان تكون المعاني ايضا مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من اجل اقامة الوزن والطلب لصحته » (٢٠) بينما ـ لائتلاف اللفظ مع الوزن ـ عدة وجوه سلبية هي الحشو والتثليم والتذنيب والتغيير والتعطيل • وان لنعت ائتلاف القافية وجهان ايجابيان هما التوشيح والايغال ووجهان سلبيان هما تكلف في طلب القافية او ان يؤتى بها لكي تكون نظيرة لاخواتها في السجع • ويستمر قدامة بهذا الاسلوب التحليلي في حديثه المدعم بالامثلة والشواهد عن عيوب اللفظ وعيوب الوزن وعيوب القوافي ـ مثل التجميع والاقواء والايطاء والاسناد ـ وعيوب المعاني وغير ذلك من اغراض الشعر وضروبه •

وقد اطلت في عرض النقاط الاساسية لكتاب قدامة حتى اوضح الى اي مدى جنح نقد الشعر العربي القديم الى استنباط منهجه في تناول القصيدة من معايشته للقصيدة نفسها ومن احساسه بالنوعية الخاصة للشعر • ولو استسلمنا لاغراءات الحديث عن الشواهد المتعددة على عمق انجازات العقل العربي في مجال نقد الشعر لكان علينا ان نكتب كتابا وخاصة اذا ما اضفنا الى حديث النقاد عن الشعر حديث الفلاسفة القدامى كحديث ابن سينا عن المدركات الحسية والمدركات المعنوية في القصيدة وتحليله لما يمكن ان نسميه بالمصطلح المعاصر سيكلوجية العملية الابداعية • خلال ملاحظاته الهامة عن عملية الخلق الفني للقصيدة وهي لما تزل كيانا غامضا في نفس الشاعر • او حديث ابن خلدون عن علاقة البيئة بالصورة التي يتبدى فيها الادب في عصر معين وعمق فعالية هذه البيئة في صياغة صور ادبية ذات طابع خاص • او حديث غيرهما من الفلاسفة كالفارابي وابن رشد والقشيري وغيرهم • لكنني احب هنا ان اشير الى مواصلة ابي هلال العسكري لتحليلات قدامة واستقصاءاته مستفيدا من كتاب ابن المعتز عن (البديع) •• مبلورا مجموعة من الافكار المبهمة عما نسميه الاستعارة بالمصطلح المعاصر • وهي بتعريف ريتشاردز « الوسيلة العظمى التي يجمع الذهن بواسطتها في الشعر اشياء مختلفة

لم توجد بينها علاقة من قبل • وينجم هذا التأثير عن جمع هذه الاشياء وعن العلاقات التي ينشئها الذهن بينها • واذا فحصنا اثر الاستعارة جيدا وجدنا ان هذا الاثر لا ينشأ عن العلاقات المنطقية المتضمنة الا في حالات قليلة جدا • ان الاستعارة هي وسيلة شبه خفية يدخل بواسطتهـــا في نسيج التجربة عدد كبير من العناصر المتنوعة »(٢١) •

واذا حاولنا ان نقارن هذا التعريف الحديث للاستعارة لا بالفصل الاول من الباب التاسع والذي كرسه ابو هلال العسكري للاســـتعارة والمجاز ولكن بالباب التاسع باكمله والذي عدد فيه العسكري خمســـة وثلاثين ضربا من ضروب البديع ، وجدنا ان حديث العسكري عن البديع ينطوى على مجموعة كبيرة من الجزئيات التي يمكن ان نقيم على نثارهـا مفهوما للاستعارة يقترب الى حد كبير من تعريف ريتشاردز لها •• لان فنون البديع التي حصرها العسكري في « الاستعارة او المجاز والتطبيق والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم وصحة التفسير والاشارة والارداف او التوابع والمماثلة والغلو والمبالغة والكناية والتعريض والعكســـس او التبديل والتذييل والترصيع والايغال والتوشيـــح ، ورد الاعجـــاز على الصدور والتكميل او التتميم والالتفاف والاعتراض والرجوع وتجاهـــل العارف او مزج الشك باليقين والاستطـــراد وجمـــع المؤلف والمختلـــف والسلب والايجاب والاستثناء والمذهب الكلامي والمجاورة والاســـتشهاد والاحتجاج والتعلف والمضاعفة والتطريز والتلطف » (٢٢)تتضمن مـــن الجزئيات ما يشيد نظاما حديثا في الاستعارة بمفهومها الحديـــث كأداة لبناء المعنى داخل التجربة الشعرية • غير ان ابا هـــلال العســـكري لا يدلف الى هذه الفكرة من خلال مصطلح نفسي كما يفعل ريتشاردز ولكن من خلال منطلق لغوي يعمد الى تحليل علاقات الالفاظ في تجاوزها وتنافرها وجدلها • وكان ابا هلال العسكري قد تصرف قبل الف عام وفقا لمقولـــة ريتشارد بلاكمور « لا يكتب الشاعر افكارا بل الفاظا » وهي المقولة التي اسس بلاكمور وفقا لها منهجا متميزا في تحليل التجربة الشعريـــة (٢٣) واذا نظرنا وفقا لذلك الى انجازات ابي هلال من خلال منطلق معاصـــر في تحليل الالفاظ سنجد انه لم يقدم تحليلا لغويا فحسب ولكنه اشـــار الى نوع من تحليل المعنى داخل العمل الشعري فيه الكثير من العمق والحداثة

وقد اردت من حديثي عن قدامة والعسكري ان اشير ــ مجرد اشارة لا تدعى الاحاطة الكاملة بل تكتفي بادل الامثلة ــ الى ان في نقدنا العربي الكثير من القيم البناءة التي لابد ان نلتفت اليها ونحن نبحث عن منهـــج نقدي جديد • ولا يعني التفاتنا اليها اننا ننقل عنها بلا روية او تبصر • وانما الذي يعنيه ان نأخذ منها ما كان لصيقا بطبيعة القصيدة العربية وان وان نمرره عبر معارفنا العصرية حتى يأخذ شكلا يتواءم مع عصرنا دون

ان يفقد صلته بالماضي • وفي حديث ابي هلال عن البديع الكثير من الملاحظات التي يمكنها ان تساهم في بلورة مفهوم خاص للاستعارة في القصيدة وبناء خاص لفكرة المفارقة التي يرى النقد الحديث انها العصب الرئيسي للبنيان في مختلف الاعمال الفني • واذا كانت هذه الملاحظات تستطيع ان تقدم لنا عونا مباشرا ونحن نبلور منهجنا لنقد القصيدة الحديثة ، فانها من وجهة ثانية للنظر تقدم لنا عونا اخر غير مباشر ولكنه اجل نفعا وابلغ فائدة • لانه عون منهجي يضع ايدينا على حقيقة هامة اكتشفها النقد العربي منذ امد بعيد • وهي ضرورة توافق المنهج النقدي مع مناهج التفكير الشعري السائدة او ضرورة تولده منها • فتركيز النقد العربي على التناول اللغوي للقصيدة كان ابن اسلوب الابداع السائد للقصيدة كعمل بلاغي بالدرجة الاولى • وقد استطاع توافق المنهج النقدي مع الفهم السائد للقصيدة ان يقدم مجموعة من الخدمات الجليلة للقصيدة وصلت بها درجة عالية من التألق والتبلور اللغوي •• ولا يعني هذا التوافق تبعية من النقد للعمل الابداعي • ولكن مشاركة منه في ترسيخ منهج التفكير الشعري وتعميق ابعاده •• فالمنهجان معا وليدا مجموعة من العوامل الحضارية اعم منهما واشمل واكثر تجذرا في الواقع الذي انجبهما معا • وهما يتبادلان التأثير والتأثر ويتفاعلان فيعدل كل منهما الاخر ويطوره •

وهذه الحقيقة المنهجية التي تقدمها لنا الدراسات النقدية القديمة هي اهم ما يجب ان نضعه نصب اعيننا ونحن نشرع في البحث عن منهج جديد •• فمن خلال هذه الحقيقة يمكننا ان نفرز عطاء هذه الدراسات فنأخذ منه ما يفيدنا ونترك ما لا فائدة لنا منه • وحتى الجزئيات التي سنأخذها علينا ان نخضعها للنظرة الحديثة كما ذكرت وان نطورها وفقا لها دون ان نفقدها اصالتها وتجذرها في العقل العربي • حتى نستطيع ان نخلق من خلال التزاوج بين هذه النظرات الاصيلة في تراثنا والمحاولات المنهجية النقدية في عصرنا منهجا جديدا يستطيع ان يستشرف ابعاد التجربة الشعرية الجديدة في حاضرها وصيرورتها معا • فهذه المزاوجة وحدها هي القادرة على ان تمنحنا منطلقا نقديا لا يغرق في شكلية المنطلقات القديمة • ولا تعميه سياسية المنطلقات المعاصرة عن تناول التجربة الشعرية كمخلوق عضوي له حيويته وطابعه الفريد • ولابد اذا اردنا ان نتعرف عليه حقيقة ان نجهد انفسنا في العثور على الطريق الصحيح الذي سيفضي اليه وعلى المفاتيح التي يمكن ان تلين امام حركتها ابوابه المغلقة •• فهل ترانا نستطيع ؟! هذا ما سنحاوله في النقاط القادمة •

٨ ـ سمات المنهج الجديد وملامحه

اذا كانت الضرورات التي استلزمت ميلاد القصيدة الجديدة قد

ساهمت في صياغة الطابع الخاص لهذه القصيدة وبلورت ملامحها • فان الضرورات التي تستلزم البحث عن منهج جديد هي التي تشارك في خلق سمات هذا المنهج وتحديد ملامحه • ومن هنا كان ضروريا ان نتريث طويلا عند هذه الضرورات • لان تريثنا عندها في الحقيقة ليس الا تريثا عند هذا المنهج نفسه ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، ولانها تنطوي على اهم سمات هذا المنهج وملامحه •• واذا كان علينا ان نتناول هذه السمات بشيء من التحديد فلابد ان نتحفظ بداءة ازاء ما قد يبدو لاول وهلة وكانه تحديد قطعي صارم • فنحن نطرح في هذا الجزء من الدراسة تصويرا للمناقشة ولا نقدم نتائج نهائية لا يأتيها الشك ولا تقبل الاجهاد • وهو تصور قابل للتعديل والتطور بالحذف وبالاضافة على حد سواء • ذلك لانه ليس ثمة منهج نهائي واحد بقدر ما انه ليس ثمة تجربة شعرية نهائية • فلابد ان يكون هذا المنهج منفتحا بقدر انفتاح التجربة الشعرية وقابليتها للاضافة والتطوير • وان يكون قادرا على استيعاب مغامرات القصيدة مع التجديد ومطامحها مع التغيير • وان يوطيء الارض الجديدة امام المغامرة الشعرية ويفتح امامها الافاق الجديدة • وهذا التفاعل المستمر بين المنهج النقدي والتجربة الشعرية هو الذي يدفعنا الى القول بانه لابد ان تتنوع اساليب التناول النقدي ــ في داخل اطار منهجي رحيب ــ بقدر تنوع اساليب التفكير الشعري وتعددها •• فان كل اسلوب متميز في التفكير الشعري يطرح على الناقد منهجا متميزا في تناوله •

ولا يعني هذا التعدد اننا قد نجد انفسنا فجأة في متاهة منهجية تفضي بنا الى القول بان لكل قصيدة منهجا خاصا في تناولها وان كان في هذا القول قدر من الصحة اذا اخذنا كلمة المنهج بمعناها الضيق • لان تعدد القصائد داخل اسلوب معين للتفكير الشعري وفهم معين للتجربة الشعرية يقابله تعدد التطبيقات داخل اسلوب منهجي واحد لا تتعدد المناهج النقدية نفسها واساليب التفكير الشعري لا تتغير الا بصعوبة وعلى فترات متباعدة • وهذا ما يدفعنا الى القول بضرورة العثور على مجموعة من التحديدات المنهجية تدوم طوال دوام اسلوب التفكير الشعري الذي رافقته وتخلقت من خلال معايشته • لان كل منهج نقدي ينطوي على تصور معين للفن • وهذا التصور المعين للفن هو ما نسميه في الشعر باسلوب التفكير ينهض بدوره على تصور لوظيفة الشعر ولدوره وللعوامل المشاركة في صياغة التجربة الشعرية •• من صور والفاظ وتراكيب ومواقف وايقاعات •• الخ • لذلك فان اسلوب التفكير الشعري بهذا المعنى يكون مرادفا للمدرسة الشعرية او للحركة الشعرية والمدارس والحركات الشعرية ــ في تاريخ الشعر الانساني كله ــ تعد على الاصابع • لان احداث تغيير جذري في اسلوب التفكير الشعري يحتاج الى ثورة والثورات

الحقيقية في عالم الادب قليلة او بالاحرى نادرة ·· فتاريخ الادب لا يعرف سوى بضع ثورات كبيرة ومجموعة ممائلة من الانتكاسات على كل ثـورة جديدة واعادة بعث رفاة الثورة السابقة مع تغييرات طفيفة ·

وقد كانت حركة الشعر الحديث ثورة حقيقية في تاريخ القصيـدة العربية لانها طرحت اسلوبا للتفكير الشعري يختلف عن الاسلوب السائد في القصيدة القديمة ·· وهي ثورة بدأت بشائرها وارهاصاتها مع مـا اصطلح على تسميته في نقدنا الحديث بمدرسة الديوان (٢٤) ثـم مـع اسهامات جماعة ابوللو في الشعر العربي ·· ففي الديوان وابوللو البذور الاولى لبعض عناصر التفكير الشعري التي تبلورت واكتملـت مراحـل نضجها مع حركة الشعر الحديث · لان الاسلوب الجديد للتفكير الشعري لا يولد فجأة بل يحتاج الى عناء طويل ·· ولقد صادفت البذور الجيدة التي القتهامدرسة الديوان وجماعة ابو للو ارضا قاحلة فيالقصائد التقليدية التي كتبها شعراء ابو للو والديوان · وظلت تعاني من الشحوب حتى التقطها شعراء المدرسة الحديثة ونقلوها الىالارض التي سرعان ما ازدهرت فيها ونمت · وقد تبلورت هذه البذور في عدة افكار اساسية هي فكرة التجربة الشعرية ، والبنيان العضوي للقصيدة ، واهمية التوازن بـين ضرورات الايقاع والحتمية في بناء التجربة الشعرية ، وتحرير الشاعـر من الفهم القبلي لوظيفته في المجتمع مع التركيز على ذاتيته بفهم رومانسي ينتمي في الغالب الى الرومانسية الانجليزية عند وردزورث وشيللى لا عند كولريدج وكيتس ·

وقد جاءت القصيدة الحديثة فهيأت لهـذه الافكار الارضـ التي ترعرعت فيها وازدهرت · وان حاولت العودة الى الفهم القديـم لـدور الشاعر باعتباره صوت القبيلة ومغنيها والمعبر عن هواجسها وصبواتها والمستشرف لرؤها · وحتى يضطلع الشاعر الحديث بهذه الوظيفة المعقدة كان عليه ان يخلص لقضية الشعر ذاتها ، لانه بدون الاخلاص لقضيـة الشعر لا يمكن ان يكون ثمة اخلاص لقضية اخرى · او بالاحرى لايمكن ان نحس نحن ـ كمتلقين ـ بهذا الاخلاص مهما توفرت للشاعر اطيـب النوايا · واخذ النقد يحاسب الشاعر لا على مدى اضطلاعه بكافة ابعاد هذه الوظيفة المعقدة ولكن على مدى توفيقه في ان يكون الصوت السـكوني لهموم القبيلة السياسية دون بقية الوظائف الاخرى ·· ومن هنـا دار الشعر في دائرة مغلقة لسنوات عديدة · وكان للنقد دور كبير في تكريس هذا الدوران وفي تطويل امده · لكن الشعرما لبث ان تجاوز هذه الكبوة· وها نحن نستشعر عبر عدد كبير من الضرورات الحاجة الى منهج نقدي جديد لا يقف عاجزا امام تردي الشعر في المتاهات والدوائر المغلقة · بل يساهم بفعالية في تطوير التجربة الشعرية وتوسيع افقها · منهـج لا

يستوعب هذه الضرورات ـ التي سبق ان تناولناها بشيء من التفصيل ـ في سكونها وانينها ولكن في استمرارها وصيرورتها ٠

واذا كانت القصيدة التركيبية هي احدث مراحل القصيدة الجديدة فانها ليست مرحلتها الاخيرة ٠ فلابد ان هناك اشكالا جديدة لم يسفر عنها المستقبل بعد ٠ وعلى هذا المنهج ان يتخلق من هذهالضرورات وان يترك الباب مفتوحا بل ومستعدا لتقبل التغيرات الجديـــدة في شكـــل القصيدة واسلوبها ٠

وقد لاحظنا ان رحلة القصيدة تتجه صوب التركيب ٠٠ وطالمـــا ان القصيدة تجنح نحو التركيب فان من الضروري ان يجنح المنهج النقدي بالقدر نفسه نحو التحليل ٠ فليس باستطاعة المنهج الوصفي ان يستوعب قضايا القصيدة الجديدة وليس بمقدوره النفاذ الى اغوارها ٠ بل لابـد لهذا الامر من منهج تحليلي يميل الى المعيارية ٠ ويستفيد من الانجازات النقدية القديمة وخاصة من تركيزها على التحليل اللغـوي للقصـــيدة ومحاولتها اضفاء طابع معياري على هذا التحليل ٠ لذلك فلابد ان يوجـه المنهج الجديد عناية خاصة الى دور الكلمة في العمل الشعري ٠٠ فالشاعر الحديث لا يتعامل مع الكلمة كرمز او كأشارة يراد بها الدلالة على شيء ما ٠ولكنه يتعامل مع الكلمة كجسم كامل له طبيعته الجرسية الخاصة٠٠ الخافتة الهامسة او الصاخبة المتفجرة او الكظيمة المدهدمة او المهمهمـة المبهمة ٠ يتعامل مع كل عضو في جسد الكلمة الحي ٠٠ مع حروفهـــا الصامتة او الصائتة ، الساكنة او المتحركة ٠ فالكلمة لدى الشاعر جسم حي يتفجر تحت يده الساسة باضعاف الحياة التي يتفجر بها لدى الناثر، ويتشح بجمالية فريدة وتنبثق منه دلالات وعلاقات متشابكة وشديدة التعقيد ٠ اذ تثرى الطبيعة الاستعمالية للكلمة كجسم في القصيـــدة ، الكلمة في حد ذاتها بدلالات وايحاءات تفوق طاقة الكلمة ذاتها وتفيـض على هيكلها المحدود المألوف المتعارف عليه بمعان جديدة ٠ او بمعنى ادق بظلال وتنويعات جديدة على نفس المعاني القديمة ٠ فالشـاعر ينتـــزع الكلمات من محدودية معانيها القاموسية ويغامر بها في بقاع جديدة حتى ترد لها المغامرة بعض بكارتها وبدائيتها وسحرها ٠ ومن هنا تصـــدق كلمة سارتر القائلة بان : « الشاعر يخدم الكلمات قبل ان يستخدمهـا» لانه يثرى الكلمة بهذه الاضافات الجديدة ٠ ويعقد علاقة وثيقة بين جرسها ومعناها سواء اكانت هذه العلاقة تجاوبا او تنافرا ، مرافقة او مفارقة٠ لانه يشد الانتباه من جديد الى الكلمة كصوت بدلا من الكلمة كمعنـــى فحسب ٠ والى ذلك الشيء الثانوي الهام الذي نسى او تجوهل عندمـا جنح استعمالنا للكلمات الى الجانب الاستدلالي الذي يحول الكلمـــة الى رمز واشارة ٠٠ الى شيء لا الى كائن حي مليء بالامكانيات ٠ انه يخلص

الكلمة من امتهانات النثر اليومية لامكانياتها الخلاقة ومن طمسه المتعمد للكثير من ملامحها ودلالاتها ٠

وعلى هذا المنهج الجديد ان يبادر عند تناوله للتجربة الشعرية بالتعرف على مدى اقتراب الشاعر من هذا بالاستخدام الشعري للكلمات وبدراسة الكلمات الاثيرة لدى الشاعر وطريقة استعماله لها ٠ ثم يتتبع المصادر التي استمد منها هذه الكلمات وقرائنها ٠ وعلى الناقد ان يحلل الاستعمالات المختلفة للكلمات الاثيرة لدى الشاعر، وان يطور هذا التحليل الى اقصى حد بان يتتبع مثلا المعاني والايحاءات المتعددة للفظة واحدة اثيرت في عدد من القصائد والاستعمالات بصورة تصبح معها اللفظة الميتة المحدودة المعنى والدلالة في النثر مرتكزا لرؤية شعرية للحياة ولتصور فلسفي عن الماهية او الكينونة او الانسان ٠ «فالشعر محاولة ــ عمادها الالفاظ السحرية ــ للايحاء بالكينونة من خلال التلاشي الاهتزازي للكلمات وبواسطتها ٠ فالشاعر بمزيداته على عجزه اللفظي وبجعله الكلمات مجنونة ، يوحي الينا من وراء هذا الهرج والمرح الذي ينعدم من تلقاء نفسه بكثافات ضخمة صامتة ٠ وما دمنا لا نستطيع ان نصمت فعلينا ان نسمع الصمت باللغة (٢٥) وايحاء الكلمات بالكينونة من خلال ما يدعوه سارتر بالتلاشي الاهتزازي للكلمات ، ينتقل بنا توا الى تطور الكلمات كاصوات وكرموز معا وهي تتلاشى بصورة اهتزازية كتلاشي الدوائر التي يحدثها سقوط حجر في الماء ٠ ثم تترك مساحات اوبالاحرى كثافات من الصمت العامرة بالايحاءات والرؤى ٠ وعلى الناقد ان يترجم هذه الكثافات الصامتة الى افكار واشياء محسوسة من خلال دراسته للطبيعة الشعرية للكلمات في القصيدة ، وللشكل الذي توجد عليه الكلمات فيها ٠ فان هناك فارقا كبيرا بين سيطرة الكلمات الايجابية على عمل شعري او سيطرة الكلمات السلبية المسبوقة دائما بادوات النفي٠ لان شكل الكلمة في الشعر لا ينطوي على معنى فحسب وانما ايضا على احساس وموقف ٠

من هنا كان لابد للمنهج الجديد ان يعطي الكلمة اهمية كبيرة ٠٠ لان دراسة الكلمات في الشعر هي الطريق الحقيقي الى كل ما في عالم الشعر من رؤى وايقاعات واحاسيس ٠ فبالكلمات وحدها يبني الشاعر تجربته ويصوغ لنا عالمه٠ وخلال هذا البناء يحمل الشاعر الكلمات بنوع خاص من المعنى بصورة تصبح معها» « الكلمات مشحونة بالمعنى داخل القصيدة ولكنها ليست مشحونة بالمعنى خارج القصيدة ٠ او بالاحرى انها مشحونة فيالقصيدة بنوع خاص من المعنى : معنى يشق طريقه مباشرة الى ما نسميه القلب ونعني بهذا عضو المعرفة الذي يأخذ المعاني حية كاملة لا مقضومة مقسمة

الى تجريدات ممضوغة (٢٦) • ويذهب ريتشاردز الى ان هذا الاستعمال الشعري للكلمات اكثر قدرة على الوصف والتحديد » « فالوسيلة التي يستخدمها الشاعر ، نغمات صوته والايقاع الشعري ، تؤثر في نزعاتنا وتجعلها تصطفى الافكار المعينة التي تحتاج اليها من بين ذلك العـــدد المائج المبهم من المعاني الممكنة والافكار التي يذهب اليها المعنى • وهـذا هو ما يمكن ان يفسر لنا السبب في ان الاوصاف الشعرية تبدو ادقمن الاوصاف النثرية غالبا • فاللغة اذا استعملت استعمالا منطقيا علميـا تعجز عن ان تصف منظرا طبيعيا او وجها انسانيا • انها لكي تؤدي هذا تحتاج الى جهاز هائل من الاسماء والالفاظ التي تدل على الظلال والفروق الدقيقة التي تحدد الصفات الفردية الخاصة • ولا تحوي اللغة مثـــل هذه الاسماء ولا تلك الالفاظ • لذلك وجب استخدام وسائل اخرى »(٢٧) وهذه الوسائل هي ما يلجأ اليها الشاعر عندما يتيح للقارىء ان يصطفي المعنى الدقيق المطلوب من بين عدد غير محدود من المعاني الممكنـــة التي تحتوي عليها لفظة او عبارة او تركيب معين من الكلمات •

لذلك لابد للمنهج الجديد ان يتناول كلمات القصيدة بعيدا عـــن الاساليب السمانتية في تحليل الكلمات •• لان الكلمة في الشعر تحاول دائما التملص من تحديدات علماء السمانتيات ــ علم المعاني ــ لتسترد البكارة وبراءة الرؤيا كما يقول مالارمية • وعلى هذا المنهج الجديد ان يحارب باستمرار من اجل تنمية ذوق فعال في القراءة •• يعايش الكلمات وينصت لظلالها وايحاءاتها قبل معانيها المجردة ، ذوق يستبدل القـراءة ــ التلقي او القراءة ــ الاستسلام ، التي نمتها النماذج القديمـــة مـــن القصائد باستعمالها للكلمات كدلالات نهائية لا تقبل اكثر من تأويـــل واحد • والحقيقة ان هذه مهمة في غاية الصعوبة • ليس على المتلقيالذي تعود على نمط معين في الاستجابة للعمل الفني طوال سنوات ، وهـــو نمط ما زالت عشرات العوامل السياسية والمجتمعية تشارك في تأكيده • ولكن ايضا على الناقد الذي عليه ان يستعمل الكلمات في عملية التحليل نفسها بطريقة مضادة للطريقة التي يطمح الى تربيتها في المتلقـي • لان الناقد في عملية التحليل يستخدم الكلمات استخداما نثريا • ويحاول ان يقدم مجموعة من التحديدات لاشياء تسعى بطبيعتها الى التملص من كل تحديد • كما يحاول ان يستخدم اللغة بطريقة مضادة لاستخدامات الشاعر لها •

فاهم الصعوبات التي يواجهها الشاعر عنداستخدامه للكلمات هي : « ان اللغة عنصر عملي شائع • وهي بالضرورة اداة خشـنة لان كـــل انسان يتناولها ويعالجها حسب احتياجاته ويميل الى الالتواء بها حسب شخصيته • ان اللغة مهما تكن شخصية ، وطريقة التفكير بالكلمات مهما

تكن قريبة الى نفوسنا ، فان لها مع ذلك اصلا نفعيا ،ولها غايات عملية خالصة • ومن هنا فان مشكلة الشاعر هي ان يستخلص من هذه الاداة العملية وسيلة لخلق عمل هو في جوهره غير عملي » (٢٨) وهـذه المهمة الصعبة التي يتصدى لها الشاعر هي نفسها مهمة الناقد ولكن في الطريق المضاد • ان على الناقد ـ او بالاحرى على المنهج النقدي الجديـد ـ ان يسير نفس مسيرة الشاعر ، ولكن في الطريق المضاد • وهو في سيره بعكس اتجاه الشاعر لابد ان يحرص على الا تكون مسيرته ضد مسيرة الشـاعر بل لابد ان تكون معها • لذلك فانه بازاء اسلوب للتفكير الشعري يجنح نحو التركيب يشيد منهجا نقديا يعتمد على التحليل عكس التركيـب بالمعنى المجرد فانه هنا نوع من اعادة التركيب ولكن بشكل له نوعيتـه الخاصة • شكل لا يرى اللغة من منطلق نثري جاف ولكن يراها ـ كمـا يقول كينيث بيرك نموذجا من العمل وهي كوسيلة للعمـل قابلـة لان تؤدي مرة ومرات » ، « فحين نعد اللغة وسيلة للمعرفة يكون نظرنا اليها من زاوية ابستمولوجية اي سمانتية فنراها من زاوية علمية • وحـين نعدها نموذجا من العمل نراها من زاوية الشعر • لان القصيدة فعل •• فعل رمزي اداه الشاعر الذي صنعها • فعل ذو طبيعة تمكننا نحن القراء من ان تؤديها مرة اخرى اذ تبقى في ايدينا في صورة مبنى او شيء»(٢٩)

والنظر للغة على انها نموذجا من العمل وضرب من ضروب الفعـل هو الذي يتيح لنا التعرف على المهمة الحقيقية للكلمة الشعرية « فمهمة الكلمة الشعرية ليست محاكاة الاشياء والتشكل طبقا لها • بل مهمتها على العكس تفجير تعريفاتها وحدودها النفعية ومعانيها التقليدية الشائعة الاستعمال لنستخلص منها امكانيات غير متوقعة وامال ومعـان كامنـة مدهشة تحملها في طياتها • تحول الوقائع المعروفة بابتذالها الشديد الى مادة تخلق الاساطير » (٣٠) واذا كان المنهج النقدي الجديد يدرك هـذه الوظيفة الهامة للكلمة الشعرية • ويعرف ان الشاعر يتعامل مع الكلمـة بمنطق مغاير للمنطق المألوف ، ومن زاوية تجعلها اكثر قدرة على الوصف والتجسيد من اللغة العلمية ذاتها • فان عليه بعد هذا الادراك ان يوجه جل اهتمامه الى الكلمات في القصيدة كما سبق ان اشـرت وان يتبـع المصادر التي استمد منها الشاعر كلماته • « اذ يجـري في كـل كلمة يسطرها عقل تخيلي ـ كما يقول رسكن ـ تيار سفلي مخيف من المعاني• كما ان لكل كلمة ظلا تلقيه عليها الاماكن العميقة التي قدمت منها ودليلا يشير الى مصدرها • وغالبا ما تكون معانيها غامضة غير صريحة لان من يكتبها لا يعبأ بالشرح المفصل لانه يرى الاعمال بوضوح تام • واذا اردنا ان نركز على المعاني ونقتفي اثرها فلابد من ان تقودنا دائما وباستمرار الى عاصمة

مملكة الروح ، ومن هناك نستطيع ان نتتبع جميع الطرق والممرات المؤدية الى ابعد شواطئها » (٣١) ٠

وعلى هذا المنهج الجديد ان يبحث بالاضافة الى كل ما سبق عن مدى التواءم بين طبيعة الكلمة وطبيعة القصيدة ككل ٠ فلابد ان تكون ظلال المفردات واصواتها وايحاءاتها شديدة القرب من جوهر المناخ العام للتجربة ولا يعني هذا القرب ضرورة الالتصاق اللزج بالمعنى العام للتجربة ٠ فربما يكون التنافر والتعارض وسيلة ملائمة لتحقيق الاقتراب من مناخ التجربة اكثر من الاستطرادات الرتيبة « فالكلمات نفسها مبنية بناء مزدوجا ٠ انها اصوات تعتبر رموزا للمعاني ٠ وهي ايضا رموز للمعاني تعتبر اصواتا ٠ وانت لا تستطيع ان تستعملها باحدى الصفتين دون ان تستعملها بالصفة الثانية »(٣٢) وهذه الطبيعة المزدوجة للكلمات تجعل الامر على درجة من الصعوبة لان الكلمات كاصوات قد تحقق اقترابا من مناخ التجربة في حين ان هذه الكلمات نفسها كرموز للمعاني قد تتنافر مع هذا المناخ ٠٠ فقليلة هي الكلمات التي تتطابق اصواتها مع معانيها ٠ لكن على الشاعر ان يحقق نوعا من التوازن ، الذي يضع في اعتباره هذه الطبيعة المزدوجة للكلمات ، بين طبيعة الكلمات ومناخ التجربة الشعرية ٠ واذا كان على المنهج الجديد ان يلتفت الى هذا التوازن فلأن هذا هو بداية الطريق نحو توازن من نوع اكثر تعقيدا يهتم هذا المنهج به ٠٠ وهو توازن تتوافق فيه الصور الجزئية حسا وشعورا وصوتا وملامحا مع الصورة الكلية للقصيدة ومع طبيعة المناخ العام للتجربة الشعرية ككل ٠٠ بمعنى انه لابد ان يلتفت هذا المنهج الى شيء اكثر تعقيدا من الوظيفة الدلالية للصورة ٠ ٠ فالصورة في القصيدة ليست دلالة فقط كما ان الكلمة فيها ليست دلالة فحسب ٠ ولكنها حس وشعور وصوت وتكوين وكينونة ٠ وهي في تكاملها الحي ذاك لابد وان تكون موظفة بكافة ابعادها تلك في داخل التجربة الشعرية ٠٠ ولا يعني هذا البحث عن التوازن الاجهاز على مفهوم المفارقة وعلى عناصرها في القصيدة ٠ ولكنه يعني الوعي الحاد بطبيعة الكلمة الشعرية والصورة الشعرية ٠

وقبل ان نستطرد في الحديث عن الصورة علينا ان نتريث قليلا عند نقطة يجب ان يوليها المنهج الجديد نوعا خاصا من الاهتمام ٠ وهي نقطة ترتبط بطبيعة نظرته الى الكلمات ٠٠ هذه النقطة هي التكرار من اربع زوايا ٠٠ الاولى زاوية موسيقية ترى ان التكرار – سواء اكان تكرار كلمات ام ابيات باكملها – يحدث اثرا موسيقيا ٠٠ ويخلق مجموعة من المحاور او المرتكزات التي تغير من شكل التجربة وتدور بها بضع دورات كاملة او منقوصة على صعيد الايقاع الموسيقي ٠ ٠ وقد

يكون لهذا الاثر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفها • كما يمكن ان يؤدي الى العكس •• وعلى المسافة الممتدة من الدور البنائي ونقيضه يقف منهجنا الجديد ليحدد مدى توفيق الشاعر او اخفاقه في اللجوء الى التكرار من هذه الزاوية •• اما الزاوية الثانية فهي لفظية •• لان تكرار كلمات معينة له دور في اضاءة التجربة وتعميقها • اذ يشير الالحاح على بعض الكلمات داخل تراكيب ثابتة او متغيرة الى اشياء لا تستطيع التجربة الشعرية الايماء بها دون هذا التكرار •• وعلى المنهج الجديد ان يحاول التعرف على مدى توفيق الشاعر في تكراراته او اخفاقه فيها من هذه الزاوية •• اما الزاوية الثالثة فهي قاموسية فالتكرارات تشارك في صياغة قاموس الشاعر وتضع ايدينا على الكلمات الاثيرة عنده ـ وقد اشرنا من قبل الى اهميتها ـ وتوحي لنا بطبيعة موقفه من الكلمات وبنوعية الاشتقاقات التي يفضلها وبحركة الافعال التي يلجأ اليها وبازمنتها • واهتمام منهجنا الجديد بهذه الاشياء ليس ترفا ولكنه سبيله الى الكشف عن فكر الشاعر وعن موقفه ورؤيته • اما الزاوية الاخيرة فهي زاوية منطلقية •• يبحث فيها هذا المنهج علاقة التكرار لدى شاعر معين بتراث •• وهو من هذه الزاوية يطرح في دراسته لهذه الزاوية المنطلقية في التكرار على نفسه تساؤلات من نوع •• هل يشكل هذا الاستعمال للتكرار استمرارا للاسلوب السائد في المدرسة الحديثة ؟ •• ام اضافة له ؟ •• ام نكوص عنه ؟ •• ام ان الشاعر يطرح فهما جديدا للتكرارات ؟ •• وما مدى تواءم هذا التكرار مع طبيعة التجربة الشعرية التي يستعمل كاداة من ادواتها ؟ •

نعود بعد حديث التكرار من جديد الى الصورة •• والصورة تلك الاداة « التي تعرض تركبا ناشئا من فكر وعاطفة في لحظة زمنية » (٣٣) على درجة عظيمة من الاهمية في الشعر الى الحد الذي يعتبرها معه البعض تعريفا للشعر •• فيقال ان الشعر تعبير بالصورة او انه تفكير بالصورة وتعبير بها • « ففي النثر مواقف نموذجية معينة • وترتيب للكلمات يتحرك آليا عبر تركيبات اخرى كما يحدث في العمليات الجبرية • اما الشعر فيمكن اعتباره من ناحية واحدة على الاقل مجهودا لتجنب خاصة النثر تلك • اذ انه ليس لغة تصورات بل لغة محسوسات منظورة • وهو تسوية توصلت اليها لغة الحدس التي تنقل احاسيس جسدية • ومن ثم فانه يختار نعوتا وصورا واستعارات فنية ، لا بسبب جدتها وقد تعبنا من القديم ، بل لان النعوت القديمة لم تعد تعبر عن الاشياء المادية واصبحت تمثل تناقضات مجردة • والشاعر يعرف انه لا يمكن نقل المعاني المنظورة الا باستعمال وعاء المجاز الجديد بصورة واستعاراته • اما النثر فاناء قديم ترشح منه المعاني • والصور الشعرية ليست مجرد

اخيلة بل هي الجوهر الاساسي لما ندعوه بلغة الحدس · فالشعر يسير على قدميه فيجوب بك الارض كلها · اما النثر فقطار يوصلك الى مقصدك» (٣٤) والصورة بهذا المعنى تصبح جوهر كل عمل شعري ومن هنا فان على المنهج الجديد ان يوليها قدرا من العناية يتناسب مع اهميتها الكبيرة تلك · وان يعتبرها المدخل الحقيقي الى قضايا البناء والمعنى في عالم القصيدة · فان الطريقة التي يبني بها الشاعر صورة ونوعية علاقات التضاد والتماثل بين جزئيات الصورة الواحدة وبين الصور الجزئية كلها لا تشف فقط عن منهج في بناء الصورة وانما عن اسلوب في التفكير والتعبير وموقف من العالم ·

كما ان الطريقة التي تتلاحق بها الصور وتتتابع ·· هي التي تبني المفارقة التي يعتبرها عدد كبير من النقاد المحدثين مثل بروكس وبن وارن وومزات وتيت وليفيز وغيرهم جوهر كل عمل فني · خاصة وقد « حطمت اللغة القوانين الكلاسيكية واتجهت نحو اللاوعي والعناصر الوحشية حتى تشبع ادراكا جديدا حافلا بالقلق · ولم تعد الافكار تتجلبب بالشعر ولم تعد الرشاقة او الحكمة من صفات الشعر التي تثير الاعجاب · وانما اصبحت الصور تتتابع وتتلاحق ، وكأنها تجري في حلم مخيف بعيد عن المنطق » (٣٥) واذا كان هذا التلاحق والتتابع للصور في الشعر الحديث وثيق الارتباط بطبيعة العصر وايقاعه ، فانه بذلك يكون واحدا من السبل التي تكشف بها حساسية اللحظة عن نفسها ولذلك لا تستطيع ان تغلفه باي حال من الاحوال في تخطيطنا المبدئي لهذا المنهج · بل علينا ان نوجه اليه عناية خاصة تمكننا من النفاذ عبره الى الكثير مما في عالم القصيدة الحديثة من رؤى وافكار لان مبنى القصيدة الحديثة ومعناها يعتمدان على طريقة تتابع الصور فيها ، وعلى نوعية العلاقات بين هذه الصور « فالشاعر الحديث يوحد بين اجزاء قصيدته من الداخل · بسبب المعنى الواحد الشامل الذي هو موضوعه · وينتهي حين يتكامل على صفحة الورق وفي البصيرة تكاملا يكاد يكون جبريا في استدارته العضوية على نفسه » (٣٦) فالقصيدة الحديثة جسم عضوي مصاغ من مجموعة من الاعضاء او الجزئيات هي الصور · وطريقة تداخل هذه الصور وتعاقبها هي التي تمنحنا في النهاية الصورة الكلية لهذا الجسم القادر على الفعالية والتأثير او العاجز عنهما ·

من هنا يدلف هذا المنهج الى نقطة جديدة هي طبيعة البناء في القصيدة الحديثة · هذا البناء الذي لاحظنا ميله الى التراكب والتعقيد وجنوحه الى التركيز والتكثيف · هذا الجنوح هو الذي جعله يميل الى استخدام الكلمات بالطريقة التي تناولناها من قبل ·· وهو الذي دفعه الى اعتماد الصورة بنية عضوية اساسية لبناء تجربته الشعرية ··

فالقصيدة الحديثة ـ كما يقول فروست ـ تجربة وليست مجرد نقل للتجربة • وهو الذي ارهف احساس الشاعر بالشكل ، لا كشيء مجرد ولكن كمعنى ورؤيا • فشكل القصيدة الحديثة هو معناها ورؤيتها وموقفها من العالم • لان الشكل فيها ليس وعاء للمعنى ولكنه المعنى ذاته في تشكله الشعري وفي جنوحه الى التجسد والكينونة • ولان المنهج النقدي الذي يريد ان يستوعب قضايا القصيدة الجديدة يفهم الشكل بهذا المعنى،فانه يراه اوفق الطرق لبلوغ عالم القصيدة ولاستكناه اسرارها •ومن هنا فانه يعمد الىتحليل البنيانفتتساقط مععملية التحليل ثمار المعنى بين يديه • وبهذه الطريقة يمكن للمنهج النقدي ان يسد الفجوة بين القصيدة والجمهور بشكل فعال••لا بين هذه القصيدة المحددة التي يتناولها بالنقد القاريء في شعاب القصيدة وفق منهج تحليلي ، يربى لديه عادة التحليل نفسها • ويستثير فيه نوعا جديدا من القراءة هي القراءة ـ المشاركة والقراءة ـ المعاناة والقراءة ـ الحضور الفعلي في قلب التجربة والعالم • اما المنهج القديم الذي كان يكتفي بان يقدم له النتائج النهائية لمعايشة الناقد للقصيدة ، دون الطريقة التي وصل بها ـ الناقد ـ الى هذه النتائج، فانه كان الابن الشرعي لمادة القراءة ـ التلقي او القراءة ـ الاستسلام • وكان واحدا من العوامل التي اكدتها وكرستها •

وعلى هذا المنهج الجديد ان يولي جزئيات البناء اهتماما كبيرا • وان يدرس طبيعة اسلوب الشاعر في البناء بالايجاب او البناء بالسلب • في التأكيد عن طريق اليقين المباشر او التأكيد عن طريق النفي • وهل النفي عنده وسيلة لاقصاء مجموعة من التصورات والاحداث بعيدا عن عالمه • ام هروبا من فظاظة الموجودات المباشرة • ام هو طريقته للتخلي عن الافكار العيانية او عن الموجودات الحسية ، والانفلات من اسار احدهما بتأكيد نضارة نقيضه وعمقه وشاعريته في آن ؟ ان هذا الاسلوب يكشف فقط عن منهج الشاعر في التصور والتفكير ، ولكنه يهتك في نفس الوقت الكثير من الاستار التي يغلف بها العالم المعنى ومستوياته المتعددة عنده • وعلى المنهج الجديد ايضا وهو يدرس البناء من هذه الزاوية ان يتعرف على مطلق الشاعر في توثيق العلاقات بين الجزئيات وفي فصمه لعراها • وعلى توافق هذا المنطلق مع الاسلوب الذي اختاره للبناء بالسلب او بالايجاب • وحين ينعت هذا المنهج شاعرا بالتشتت فان عليه ان ان يفرق بين التشتت حين يكون خطأ وبين التشتت حين يكون جوهرا للتجربة نفسها •

ولا يستطيع المنهج الجديد ان يدرس هذه الجزئيات في معزل عن جذورها التراثية •• لان القصيدة الواحدة تجمع بين نوعي الذاكرة التاريخية والشخصية • والماضي والحاضر فيها ينير كل منهما الاخر •

بل ويمكن القول انهما يشكل كل منهما الاخر • وكان ثمة مؤلف واحد يعمل خارج حدود الزمن • ان تاريخ الشعر حي ماثل في قصيدة كل شاعر وكذلك الانغام والالحان التي يتردد صداها في سنواته المبكرة الاولى •• ويسعى الشعر الحديث دائما لاعادة الاتصال الحيوي بكل ما اوثر عن الماضي من ولع بالاساطير او تفكير في الخرافات او تمجيد للقوة او اكتشاف للمزيد من المعاني الجديدة الواسعة (٣٧) فلا يمكننا لذلك ان نغفل عند تحليل التجربة الشعرية هذا الجدل المستمر بين الذاكرة التاريخية المتمثلة في كل الرياح التي تهب على القصيدة من رؤى الذات الشاعرة وهي تحاول ان تتملص من اسار هذه الذات وتهرب منها• فالشعر الحديث يعمد الى طرح النزعة الذاتية ، والى خلق مسافة بين الشاعر – الذات والذات التي تتردد في شعره • ومن هذا لجأ بعض الشعراء الى الاسماء المستعارة والى التخفي خلف ملامح الاقنعة • وعماية التخفي بقدر ما تنطوي على اخفاء للذات فانها تشير الى نوع من التأكيد عليها • ومن هنا يظل الصراع بين الذات ورياح الماضي متفاعلا في كل قصيدة • ليهب تفاعله العمل الشعري مزيدا من الرهافة والتألق •بصورة يرى معها اليوت « ان خبر اجزاء القصيدة تؤكد فيها اثار اسلافه الموتى من الشعراء خلودها في اقوى صورة » (٣٨) ليس فقط لان هذه الاجزاء هي قمة تفاعل الذاكرتين التاريخية والشخصية ، ولكن ايضا لان في هذه الاجزاء تكتسب رواسب التجربة التي جاءت عن طريق الذات بعدا تاريخيا يثريها • وتكتسب الروافد التراثية حضورا ينقذها من الاندثار والموت•

من هذه النقطة ندلف الى الايقاع •• ليس باعتباره الاوزان الموروثة التي يصلصل بها صوت رياح الماضي ، ولكن باعتباره الروح النفسي الاكثر شمولا من مجرد الاوزان •• باعتباره نوع من الخيال الاسمى يدعوه ماثيسن بالخيال السمعي وهو « احساس بالمقطع والايقاع يتغلغل بعيدا وراء مستوى الفكر والشعور الواعيين ، منعشا كل كلمة ، خاتما الى اشد الاشياء البدائية والمنسية ، عائدا الى الاصل ، راجعا بشيء ما ، باحثا عن البداية والنهاية • احساس يعمل من خلال المعاني على وجه اليقين او لا يستطيع ان يعمل دون معان – بالمعنى المألوف • وبمزج القديم والمنسي والرث والجديد والمدهش ، واشد الذهنيات قدما واشدها تمدنا » (٣٩) واذا اخذنا الايقاع بهذا المعنى الشامل فاننا سنجد انه مشتبك بالكثير من القضايا والافكار الهامة في النقد الحديث • مشتبه بفكرة المفارقة كاساس للبنيان في العمل الشعري • وبفكرة كوليردج الرائعة عن وظيفة المخيلة الثانوية في التأليف بين مجموعة من الخصائص الكيفية المتضادة • وبفكرة البحور والعروض والقوافي في نقد الشعر العربي القديم • ولن يعزل المنهج الجديد الايقاع عن اي من الافكار

العديدة التي يتفاعل معها • ولن ينزع اي من هذه القضايا بعيدا عنه ، بل سيدرسه في القصيدة بهذا المعنى الشامل الذي يثير الكثير من الافكار ويضيء عددا من الابعاد في التجربة الشعرية •

ولكن عليه ان يوجه عناية خاصة الى نقطة من النقاط التي اهملها كلية نقد الشعر العربي الحديث الا وهي القافية • واذا كانت القافية قد عادت من جديد لتحتل مكانا بارزا في الشعر الاوربي المعاصر كما تقول اليزابيث درو « اصبحت القافية هذه الايام تحتل مكانا هاما • بعد ان تجددت وانتعشت بفضل التئامها مع ايقاع الكلام البسيط • وازدادت عمقا باستعمال القافية النصفية والقافية الداخلية وتقفية المقاطع غير المرتكزة • واي تنويع اخر ينميه شعراؤنا المبدعون » (٤٠) •• اقول اذا كانت القافية تحتل مكانا في الشعر الاوروبي الحديث ، فان الاولى بها ان تضطلع بدور افعل في شعرنا الذي يملك ميراثا هائلا من القوافي ،والذي الزم بعض شعرائه العظام انفسهم بما لا يلزم في هذا المضمار • فكانت لهم بذلك تجارب على درجة كبيرة من النضج والاهمية • لذلك فان المنهج الجديد يولى هذه الجزئية من الايقاع عناية واضحة • فيدرس في القصيدة دور التقفية ومدى سيمتريتها او تسيبها او اعتمادها على الاستطرادات• بل ويذهب الى ابعد من ذلك قليلا فيتعرف على مدى علائقه السمترية او العفوية في التقفية بطبيعة التجربة الشعرية وبطبيعة رؤية الشاعر للعالم الذي يقومه • وليس عليه ان يدين منهج معين في التقفية العفوية او المتعملة ، الا وفق منطق ينبع من داخل التجربة الشعرية ، ولا يسقط تصورا مسبقا عليها • فعليه ان يستمد ادانته او اطراءه من دراسة ما اذا كانت القافية تخلق محاور للتجربة الشعرية تدور في اطارها وتلم شعثها • ام انها تعمد الى بعثرة جزئياتها ، ربما توافقا مع طبيعة التجربة التي قد تكون مفككة او مبعثرة ، او حتى توافقا مع رؤية الشاعر لتجربة متماسكة التفاصيل ، ولكنها تلوح لعينيه الحساستين مفككة الاوصال ممزقة •

وليس على هذا المنهج ان يتوقف عند التقفية الخارجية وحدها بل عليه ان يوجه اهتماماملحوظا الى الانواع الاخرى منالتقفية الجديدة•• فهذه التقفية هي التي تتواءم مع تجربة في تعقيد تجربة الشاعر الحديث• وهي تقفية تتجاوز التقفية الخارجية لتندغم في داخل البيت نفسه فتصبح تقفية داخلية • وعلى المنهج الجديد ان يدرس هذه التقفيات الداخلية ومدى تلقائيتها او منطقيتها او افتعالها • وهل يلجأ الشاعر لها بشكل متعمد او يحرص عليها ، وهل تثرى هذه التقفية موسيقى التجربة الشعرية ؟ وهل ثمة ضرورة لها ووظيفة ؟ واذا كان الامر كذلك فما علاقة هذا بطبيعة التجربة الشعرية سواء اكانت غنائية او درامية ؟ فقد يتوافق

نوع معين من التقنيات الداخلية مع القصائد الغنائية • وقد يثرى نوع اخر منها بعض التجارب الدرامية بامتدادات ورؤى • غير ان القافية الداخلية ليست هي القافية الجديدة وحدها • بل ان هناك القافية النصفية وقافية المقاطع وغير ذلك من الانواع الجديدة التي ما تزال في حاجة الى مزيد من الدرس والتبلور •• لان هذه الاشكال من التقفية هي الاشكال التي تتوافق مع القصيدة التركيبية باصواتها المتداخلة ومستوياتها المتعددة من المعنى • ويستخدم الشاعر الحديث هذه الانواع الجديدة من القافية ليبني لعمله ذاكرته الداخلية • تلك الذاكرة التي تسقط من مسيرتها بعض الاشياء ، وتؤكد بعضها الاخر وتنميه • وليخلق له منطقه الخاص ، الذي قد يكون مفارقا او مناقضا للموقف السائد او المألوف ولكنه قادر على التساوق مع نفسه وعلى خلق الايقاع الداخلي الخاص به •• فبهذه الطريقة الناضجة تستطيع القصيدة ان تعبر ـ كما يقول جارودى ـ عن شكل للوجود الانساني في العالم •

من خلال كل هذه النقاط يمكننا ان نبلور مجموعة من الخطوط العامة لمنهج نقدي جديد • لا يدعى الاحاطة ولا الشمول • ولا يفترض انه نهائي لا يقبل اي اضافة او تعديل • ولكنه يرى ان الشعر جنس فني له طبيعته الخاصة وسبيله الفريد للحديث عن الواقع واستشراف المستقبل • ومن خصوصية هذه الطبيعة وتفرد هذا السبيل يحاول منهجنا الجديد ان ينحت سماته وان يحدد ملامحه • فيجعل مبنى التجربة الشعرية سبيله الى معناها • ويعتمد على التحليل بشكل اساسي ويعوض جنوح المناهج الراهنة الى الجانب الوصفي ، بتركيز على الجانب المعياري من العملية النقدية • فاذا نظرنا عبره بعد ذلك الى كل مجموعة من القصائد ، كمجموعة ذات عدد من المراكز التي تدور حولها الافكار الرئيسية بصورة مستمرة • في الوقت الذي تسير فيه القصائد كلها الى الامام كعمل جامع متكامل • اذا فعلنا ذلك فلن نصادف اية صعوبة في الاحاطة بالخطوط العريضة لما يفعله الشاعر • واذا ما امسكنا بهذه الخطوط ، فليس من المحتمل ان تبعدنا عن جوهر القصيدة المسائل السطحية التي تصيب البلبلة حتى اوفر الناس حظا من الثقافة •• مثل الاشارات الى الكتب المقدسة وغير المقدسة ، والاستخدامات المتعددة للاساطير ولابطال المثولوجيا الدينية والانسانية ، والتوريات والكلمات المأخوذة من اللغات الاخرى ، والمقاطع المنتزعة من الاغنيات الشعبية او القديمة وغير ذلك من الاشارات • لان التجربة وقد فتحت ابوابها لاستقبالنا ستضيء لنا كل هذه الرموز والاشارات وستدلف بنا الى عالم الشعر الرحيب •• فنبلغ معه حافة المجهول ونرى ما لايرى ونسمع مالا يسمع كما يقول رامبو •

صبري حافظ

(١) مثل (قضايا الشعر المعاصر) لنازك الملائكة (شعرنا الحديث الى أين ؟) لغالي شكري و (الشعر العربي المعاصر) للدكتور عز الدين اسماعيل و (البحث عن الجذور) لخالدة سعيد .

(٢) ت. س. اليوت (المهمة الاجتماعية للشعر) من (مقالات في النقد الادبي) ترجمة د. لطيفة الزيات . مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ص٥١ .

(٣) ت. س. اليوت (المهمة الاجتماعية للشعر) ص ٥٣ .

(٤) د. لطيفة الزيات (مفهوم المفارقة في النقد الحديث) بحث باللغة الانجليزية ـ مكتبة الانجلو المصرية ، ص٣ .

(٥ و ٦) جون كرورانسوم (الشعر كلغة بدائية) ضمن كتاب (الاديب وصناعته) ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، منشورات مكتبة منيمنة ببيروت ، ص٩٩ و١٠٥ .

(٧) شيلي (دفاع عن الشعر) ضمن كتاب (النقد الروماني) نيوبرك ، ص ٦٤ .

(٨) فيليب فان تيغيم (المذاهب الادبية الكبرى في فرنسا) ترجمة فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ص ٢٨٠ .

(٩) رستريفور هاملتون (الشعر والتأمل) ترجمة د. محمد مصطفى بدوي ، وزارة الثقافة بالقاهرة ص ١٣٣ .

(١٠) م. ل. روزنتال (شعراء المدرسة الحديثة) ترجمة جميل الحسني ، المكتبة الاهلية بيروت ، ص ١٤ .

(١١) فاضل العزاوي وسامي مهدي وفوزي كريم وخالد علي مصطفى (البيان الشعري) العدد الاول من مجلة (الشعر ٦٩(العراقية .

(١٢) راجع هربرت ماركوز (الانسان ذو البعد الواحد) ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات دار الاداب ، بيروت .

(١٣) خالدة سعيد (البحث عن الجذور) منشورات دار مجلة شعر ، بيروت ص٨ .

(١٤) جان بول سارتر (اوفيوس الاسود) ضمن كتاب (ادباء معاصرون) ترجمة جورج طرابيشي دار الاداب ، بيروت ، ص ٩٠ .

(١٥) د. محمد مندور (النقد المنهجي عند العرب) مكتبة النهضة المصرية ، ص ٥ .

(١٦) د. محمد خلف الله أحمد (الاسلام والحضارة) وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ص ٨٦ .

(١٧) راجع د. طه حسين (البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر) مقدمة تحقيقه مع عبدالحميد العبادي لكتاب (نقد النثر) المنسوب لقدامه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ١٦ .

(١٨) أبو الفرج قدامه بن جعفر (نقد الشعر) تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص١١ .

(١٩) نقد الشعر ، ص ٢٠ .

(٢٠) نقد الشعر ، ص ١٦٥ .

(٢١) أ. أ. ريتشاردز (مبادىء النقد الادبي) ترجمة د. محمد مصطفى بدوي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، ص ٣١٠ .

(٢٢) راجع أبو هلال العسكري (الصناعيين / الكتابة والشعر) تحقيق محمد أمين الخانجي ، مطبعة صبيح بالازهر ، القاهرة ، الباب التاسع ، من ص ٢٥٧ ـ ٤١٧ .

(٢٣) راجع الفصل الخاص بريتشار بلاكمور في الجزء الثاني من كتاب ستانلي هايمن (النقد الادبي ومدارسه الحديثة) ترجمة د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم دار الثقافة ، بيروت .

(٢٤) لا أعتبرها مدرسة بالمعنى الذي اشرت اليه ولكن هكذا اصطلح على تسميتها ٠
(٢٥) سارتر (أورفيوس الاسود) ص ٩٣ ٠
(٢٦) ارشيبالد ماكليش (الشعر والتجربة) ترجمة سلمى الخضراء الجيوسى ، منشورات دار اليقظة العربية ، دمشق ، ص ٢٢ ٠
(٢٧) أ٠ أ٠ ريتشاردز (العلم والشعر) ترجمة د٠ محمد مصطفى بدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٤٤ ٠
(٢٨) بول ماليرى (الشعر الصافي) مقال ضمن كتاب (الرؤيا الابداعية) ترجمة أسعد حليم ، منشورات مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ص ٢٤ ٠
(٢٩) ديفيد ديتشس (مناهج النقد الادبي) ترجمة د٠ محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ، ص ٤٨٨ ٠
(٣٠) روجيه غارودي (واقعية بلا ضفاف) ترجمة حليم طوسون ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ، ص ٢٨ ٠
(٣١) ت٠ أ٠ هيوم (الكلاسيكية والرومانسية) ضمن الجزء الثاني من كتاب (أسس النقد الادبي الحديث) ترجمة هيفاء هاشم ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ص ٩٠ ٠
(٣٢) أرشيبالد ماكليش (الشعر والتجربة) ص ٣٨ ٠
(٣٣) ف٠ أ٠ مائيسن (اليوت ٠٠ الشاعر الناقد) ترجمة د٠ احسان عباس ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ١٣٧ ٠
(٣٤) ت٠ أ٠ هيوم (الكلاسيكية والرومانسية) ص ٩٤ ٠
(٣٥) آرنست فيشر (ضرورة الفن) ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية للتاليف والنشر ، القاهرة ، ص ٢٢٤ ٠
(٣٦) جبرا ابراهيم جبرا (الرحلة الثامنة) المكتبة العصرية ، بيروت ص ١٧ ٠
(٣٧) م٠ ل٠ روزنتال (شعراء المدرسة الحديثة) ص ٢٢ و٢٣ ٠
(٣٨) ت٠ س٠ اليوت (التقاليد والموهبة الفردية) ضمن كتاب (مقالات في النقد الادبي) ٠
(٣٩) ٠ف أ٠ مائيسن (اليوت ٠٠ الشاعر الناقد) ص ١٧٤ ٠
(٤٠) اليزابيث درو (الشعر ، كيف نفهمه ونتذوقه) ترجمة د٠ محمد ابراهيم الشوش ، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، ص ٤٨ ٠

هل كان المربد بمستوى التاريخ ؟

ابو القاسم محمد كرّو

استهل كلمتي بتوجيه الشكر ـ عميق الشكر ـ الى اللجنة العليا لمهرجان المربد على ما بذلته من جهود هائلة في بعث المربد ، فكرة ، ومهرجانا ، وملتقى عربي الوجه واللسان من الخليج الى المحيط .

اذ لاشك في ان الفكرة رائعة ، والقصد نبيل والاختيار في مستوى الظروف وفي مستوى التاريخ ....

ولكن هل المهرجان / اعني هذا الذي عايشناه في أيامنا الماضية ، وأعني بالذات أمسياته الشعرية ـ هل كان حقا في مستوى التاريخ ؟ وفي مستوى الظروف ؟

ان الافراط في الاسفاف ، والمبالغة في الانانية الى حد احتكار المنصة وجلد الجمهور بالسياط ورجمه بالحجارة الثقيلة ، وعدم الاكتراث بالغايات النبيلة المرجوة من المهرجان ، والسخرية من انانيتنا قد كانت كلها مهنة عدد غير قليل من شعراء هذا المهرجان ، وفي الامس بوجه خاص .

ان تعتقد بان المهرجان مسؤولية او لايكون وان الشعر مسؤولية وفن او لايكون فاين المسؤولية والفن في كل ماجرى ؟

اننا نعتقد بان مسؤولية المشرفين على اعداد المهرجان وتنظيمه مسؤولية ضخمة وبقدر ما نكبر فيهم بعثه فكرة وانجازا رائعا ، بقدر ما ندعوهم الى البعد به عن كل مجاملة او تساهل وان يوجهوا اهتمامهم أكثر نحو الكيف لا الكم .

وبكلمة صريحة اننا ندعو الى ان تكون اللجنة اكثر صراحة واكثر حزما نحو الشعراء وايضا اكثر رحمة بالجمهور ٠

اننا نقترح بان يكون الانتاج الذى يشارك به المشاركون فيالمهرجان معتمدا على شروط سبقته ، وان تكون حصيلة كل مهرجان وثيقة ادبية وقومية في مستوى التاريخ وفي مستوى ظروف الامة العربية ٠٠٠ وذلك لا يكون الا : ـ

١ ـ بالاقتصار على عـدد قليل جـدا من الشعراء ، خمسة أو سبعة في كل امسية ٠

٢ ـ بأن يكون انتاجهم قد أعد خصيصا للمهرجان ، وبذلك لا يجوز لهم نشره قبل القائه فيه وبعده أيضا ٠

٣ ـ ان يقدم الانتاج الى لجنة المهرجان ثلاثة شهور على الاقل قبل موعد انعقاده ليتيسر طبعه وتوزيعه على الباحثين والنقاد ٠

٤ ـ ان تعتمد اللجنة على اعضائها والمراسلين في كل قطر عربـي

لتحقيق تلك الشروط وبذلك يرتفع مستوى الشعر في المهرجان لا الى مستوى الفن الحقيقي فحسب بل والى مستوى التاريخ ومستوى المسؤولية ٠

ان المهرجان فكرة ممتازة وغاية جليلة ، وانه لمن الواجب ان يكون كل انتاج يقدم للمهرجان ممتازا وجليلا ٠

وعلى جميع الشعراء ـ وخاصة الذين فرضوا انفسهم على المهرجان ٠ ففرضوا علينا الارهاق والاجترار لقديمهم المنشور او جديدهم الغث على هؤلاء ان يدركوا بان المهرجان ليس منبرا للخطابـة ، ولا جمهوره مـن العبطاء والاميين ٠

واذا كانت الحرية ، حرية القول وحرية الاتجاه حقا مقدسا لكل واحد منهم ولكل انسان ، فان الممارسة لهذه الحقوق لاتعني تجاوز حقوق المهرجان وحقوق جماهيره الغفيرة ، وحقوق امتنا علينا في مثل هـذه الملتقيات ٠

واني اذ أهتف من أعماقي بكل معاني الاعجاب والحب للشعراء الذين اجادوا في جلسة الامس وهم يعرفون انفسهم ، كما تعرفونهم انتم اهيب بالآخرين أصحاب القوافي المرصوصة والصيغ المكدسة ومهتبلي المناسبات ، بأن يريحوا أنفسهم ويريحوا أدبنا وخاصة مهرجان المربد/ من طوفانهم اللفظي ، واسهالهم الصـحفي ٠٠ اذ أن في صمتهم الحكيم أروع شـعر يقولونه وخير عمل يقومون به ٠

أبو القاسم محمد كرو
تونس

كلمة المستشرق البولوغوسلافي سليمان جروزدانيتش

في مهرجان الشعر الثاني بالبصرة
نيسان ١٩٧٢

سيدي الرئيس ٠
سيداتي وسادتي

اسمحوا لي اولا ان اعبر عن شكري العميق للسيد وزير الاعلام لحكومة الجمهورية العربية العراقية على دعوته الطيبة لي للحضور الى هذا المؤتمر وهذه المناسبة الجميلة التي اعتبرها عيدا لما في الشعر من روح انسانية وحب بين الناس وتضامن بين الشعوب ٠

واسمحوا لي ثانيا ان احييكم راجيا لكم مزيدا من التوفيق والسداد في عملكم الخلاق في هذا المجال الهام من النشاط الانساني ونحن نعرف انه ليس هناك من مناسبة اجمل واكثر انسانية ليلتقي الناس ويتعارفوا من لقاء الشعراء ومحبي الشعر وعارفي فضله

ان الشعر ـ وهو يولد في نفس الانسان ـ يعبر عن كل ما ينبض به قلبه وروحه وعقله من احساس وشعور وافكار وميول وآمال وآلام٠ كل ما هو قريب من الانسان ٠ كل ما يقوم به ٠ كل ما يفكر فيه ٠ كل مايشعر به ويعيشه ٠ كل ذلك شعر حي وحيوي ٠ والشعراء هم القائمون على التعبير عن كل ذلك بصور جميلة واسلوب رصين ٠

واذا كان حقيقة ما يقال من ان الشعر هو صورة البيئة ، فالشاعر اذن هو المتحدث المصور لآمال وآلام شعبه وامته في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ٠ ولا بد للشاعر من أن يكون مخلصا لشعبه والا لما كان شاعرا ٠ والاساس الاول لاخلاصه لشعبه هو ان يكون مخلصا لنفسه ولمبادئه ولافكاره ولاحاسيسه ٠ ومسكين ذلك الشعب الذي يفتقر الى هذا النوع من الشعراء او الى ان يخلق وينشيء هذا النوع من الشعراء ويحفظهم في مآقي العيون ٠

كل ذلك اقوله لاقدم به اعترافي بالفضل للشعر العربي وشعرائه عامة وللشعر العراقي وشعرائه خاصة • ذلك الشعر الذي عاصر النضال العربي منذ فجر التاريخ والذي صور البيئة العربية اصدق تصويروكان له فضل ظاهر واثر واضح في نضال العرب وفي العصور الحديثة بالخصوص من اجل الوصول الى مستوى افضل ومن اجل تحقيق الاستقلال التام ومحاربة العناصر الدخيلة على هذا المجتمع العربي •

كلنا يعرف الكثير عن الشعراء المناضلين الذين سخروا اقلامهم وكرسوا حياتهم في سبيل تحقيق ذلك الهدف ، متعرضين لجميع انواع الظلم والاضطهاد والنفي والتعذيب ، بل ومضحين بارواحهم وحياتهم •

ان الشعب العربي المكافح يحق له ان يفتخر بدور شعره وشعرائه في هذا المجال • ومن الواضح ان وجود مثل هذا الدور لشعره ضمان اكيد لتحقيق كل الاماني والآمال •

واذا كان (معروفا) اثر الحضارة العربية والاسلامية في الحضارات في مجال النضال القومي فمن حقه ان يفخر اكثر واكثر بالدور الذي لعبه النشاط الثقافي والحضارة العربية عامة والشعر العربي خاصة في الحضارات العالمية المختلفة •

واذا كان (معروفا) اثرو الحضارة العربية والاسلامية في الحضارات العالمية فلا يفوتني في هذه العجالة ان انوه بأثر تلك الحضارة في بيئتنا اليوغسلافية • فكأن تلك الحضارة في تجوالها في المجتمعات المختلفة قد توقفت طويلا في بيئتنا اليوغسلافية واثرت فيها تأثيرا كبيرا ووثقت العلاقة بين شعبينا منذ قديم الزمان ، ولا زال اثر هذا النشاط وتأثيره وهذه العلاقةالوثيقة ودلائلها ماثلة ظاهرة في بيئتنا حتى الان •

واذا رجعنا قليلا الى الوراء لنلقي نظرة على المجتمع اليوغسلافي لوجدنا ان العلاقات بمختلف صورها بين شعوب يوغسلافيا والشعوب العربية كانت قائمة منذ امد بعيد •• وليس فقط منذ عصر الحكمالتركي ليوغسلافيا كما قد يظن •• وان كنا لا ننكر ان عصر حكم الاتراك ليوغسلافيا اضاف دفعا جديدا للعلاقات التي كانت قائمة في ذلك الحين وشد من ازر العوامل التي ساعدت على تقوية الروابط والصلات بين البيئة اليوغسلافية والبيئة العربية في المجالات المختلفة الثقافية ،والادبية، والدينية • مما اتاح لكثير من ابناء يوغسلافيا التعمق في الثقافة العربية عامة والادب العربي خاصة بل لقد نبغ من هذا المجال كثير مناليوغسلاف، ولم يكن الأمر في يوغسلافيا أمر استشراق فقط كما هو الحال في غيرها من البلدان وانما أصبح اندماجا حقيقيا واشتغالا باللغة العربية وآدابها وعلومها كأساس للنشاط الثقافي اليوغسلافي •

ان اللغة العربية في يوغسلافيا لم تكن تدرس باعتبارها لغة القرآن

فحسب ـ ذلك الاثر ذو قيم روحية وتاريخية وثقافية وأدبية ـ بل تدرس باعتبارها لغة شعر رائع ، وأدب عال ، وفلسفة عميقة ٠

ان اللغة العربية كانت تدرس عندنا على نطاق واسع ، وعلى مر العصور ، وكان هناك عدد كبير من المدارس والمكتبات لدراسة اللغة العربية وآدابها وعلومها ، ولا زال الكثير منها باقيا حتى الآن يزاول هذا النشاط الثقافي ٠

ان عددا لا يستهان به من ابنائنا قد ساهم في التطور المتزايد لهذه اللغة وآدابها وكانوا كعامل مشترك بين الثقافة العربية والثقافة اليوغسلافية ، وقد قضى كثير منهم حياته وافنى عمره في الابحاث اللغوية العربية سواء في يوغسلافيا او في اكبر المراكز الثقافية في العالم العربي، واصبح رفاتهم كلبنات في بناء صرح الثقافة العربية في كل من يوغسلافيا والبلدان العربية ، ولا زالت مؤلفاتهم الكثيرة باللغة العربية محفوظة بالمكتبات العربية ومعاهد المخطوطات اليوغسلافية تشهد بالاهتمام الكبير والشغف الواسع بهذه اللغة وآدابها وعلومها ٠

وجدير بالذكر ان بعض شعوبنا اليوغسلافية قد كونت ثقافتها القومية وآدابها تحت التأثير المباشر للثقافة والادب العربي الاسلامي حتى لنرى ذلك واضحا الان في اتجاهات المفكرين والادباء اليوغسلاف ، التي لا زالت عقولهم ووجداناتهم متأثرة بالثقافة والآداب العربية الاسلامية ، وليس ادل على ذلك من انتاجهم الادبي الموجود بين ايدينا ٠

هذا عن الفترة التي مضى عليها زمن غير بعيد ، اما بعد تحرير شعبينا ـ العربي واليوغسلافي ـ فقد اصبحت العلاقات المختلفة بيننا اكثر قوة وتماسكا وتنوعا وزاد اهتمامنا ـ في يوغسلافيا ـ بما يجري في العالم العربي في الوقت الحاضر سواء على الصعيد السياسي او الصعيد الثقافي وجميع الاصداء في العالم العربي تتجاوب بين شعوبنا اليوغسلافية، والمشاركة الوجدانية تامة ودائمة بيننا ٠

وفي المجال الثقافي نقوم الآن ببذل جهد كبير في دراسة الآثار والمخطوطات العربية وننشرها ، ويوجد عندنا كثير من المتخصصين في هذا المجال يتابعون نشاطهم المحمود بغية كشف ما تحويه هذه المخطوطات ٠

وفي لمحة خاطفة استطيع ان اذكر بعض صور النشاط الثقافي العربي الذي يمارسه الشعب اليوغسلافي هذا النشاط الذي يتمثل في الانتاج الادبي والعلمي للادباء المغفور لهم ، الدكتور صفوت بك باشا جيتش الذي هو بحق مؤسس الاستشراق ، في يوغسلافية ، والدكتور بايركتاروفيتش ، والدكتور شاكر سكريتش ، وغيرهم مما لا يتسع المجال لتعدادهم ٠

منذ امد بعيد ، وحتى الان ،توجد في سراييفو مكتبة ضخمة عامرة

بالكتب والمخطوطات العربية والتي يربو عددها على العشرين الف مجلد وهي مجال ابحاث كثيرة • كما يوجد بسراييفو ايضا معهد للاستشراق يقوم على الدراسة فيه متخصصون في جميع الوان الفنون الادبية والثقافية والعلمية حيث تنشر ابحاثهم تباعا في مجلة خاصة بالمعهد فضلا عن المجلات العلمية القومية والدولية الاخرى •

وكان اهتمام يوغسلافيا بهذا النشاط الاستشراقي حافزا على انشاء اقسام للغات الشرقية بثلاث من جامعاتها هي جامعات بلجراد ، وسراييفو ، وزغرب ، والاقبال على الدراسة بهذه الاقسام ينبيء بشكل ظاهر عن اهتمام ابناء يوغسلافيا بالدراسات الشرقية والثقافية والادب العربي •

وهناك كثير من البحوث والترجمات التي قام بها اساتذة هذه الجامعات ، فضلا عن رسائل الدكتواه والماجستير التي قدمها كثير من اليوغسلاف المهتمين بهذه الدراسات، بالاضافة الى ذلك فان نظام الدراسة باقسام اللغات الشرقية يقضي بالا يحصل الطلاب على دبلوماتهم الا بعد تقديم ابحاث وترجما تمن الادب والثقافة العربية •

والاهتمام بالادب العربي لا يقتصر على عصر معين بل يتناول العصور المختلفة من العصر الجاهلي حتى العصور الحديثة • والجمهور اليوغسلافي ، باقباله على ما ينشر في هذا المجال ، قد شجع الباحثين على مضاعفة جهودهم في الدراسة والترجمة ، وقد ظهر حديثا كتابان باللغة اليوغسلافية عن الادب والشعر العربي ، احدهما عن الشعر الجاهلي والاخر عن الشعر الحديث ، ويجري الآن تأليف كتابين عن تاريخ الادب العربي ، وعن الفن وتاريخه عند العرب ، وذلك بالتعاون بين جامعتي بلجراد وسراييفو ومعهد الاستشراق ، وتشجع الحكومة اليوغسلافية هذا النشاط بشتى الوسائل كما تقوم بالتمويل المالي

وستبدأ دور النشر اليوغسلافية في اصدار سلسلة ضخمة من الكتب قد تصل الى الخمسين كتابا في فنون الادب العربي المختلفة وفي تراجم الشعراء العرب في كل من البدان العربية منذ العصر الجاهلي حتى العصور الحديثة •

ونأمل ان تتوطد بين شعبينا صلات الدراسات الثقافية والعلمية والادبية وان تتكرر لقاءاتنا في هذا المضمار فمما لاشك فيه ان التعاون العلمي والادبي بيننا ودراسة المخطوطات والتراث الادبي العربي المحفوظ عندنا وتبادل المعلومات بين مفكري وادباء شعبينا سيأتي بنتائج باهرة ، وقيمة ، ومفيدة ، وسيكون حافزا جديدا للتقارب بين شعوبنا ، واني اذ ارجو ان يتحقق ذلك ـ وانا واثق من انه سيتحقق ـ لامل الخير فيكم• وأشكركم على الصبر والانتباه والسلام عليكم •

كلمة الأستاذ جلال فاروق شريف

بمناسبة اختتام المربد الثاني ارى من واجبي ككاتب من القطر العربي السوري دعي للمشاركة في هذا المهرجان ان اتوجه بالشكر للجنته العليا ولوزارة الاعلام في القطر العراقي الشقيق التي رعته ٠

ان فكرة اقامة مهرجانات ومؤتمرات ولقاءات للمثقفين العرب عامة وبخاصة الادباء ، ليست فكرة طارئة ٠ انها في هذه المرحلة من تطور المجتمعات العربية وما تعانيه من تناقضات وما تواجهه منفردة ومجتمعة من تحديات تلبية لضرورات اساسية ، في مقدمتها ان يتلاقى الادباء والكتاب العرب ويتعارفوا ويحاولوا ان يبحثوا بصورة مشتركة قضاياهم التي هي قضايا مجتمعاتهم ويتوصلوا الى تصورات مشتركة لمشكلاتها ويتلمسوا لها الحلول ٠ من هذا المنطلق فان المربد يجب ان يستمر ويجب ان تدرس جميع الوسائل التي تجعله يحقق خطوات متقدمة تترسخ باستمرار ٠ اننا نريد له ان لا يكون تجمعا عابرا تنتهي آثاره بمجرد انتهاء انعقاده ٠

بمثل هذه الارادة الطيبة قدمنا الى المربد ، وهذا ما نريده له دوما ٠ واذا كانت لنا هذه الارادة الطيبة فعلا ، فانها لا يمكن ان تدخل الى حيز التطبيق الا بجهد مشترك من الجميع للتغلب على جميع الصعوبات القائمة او التي قد تستجد ٠ ليس ثمة ما هو اسهل من ان تتوقف هذه البادرة باقامة المربد عند خطواتها الاولى ، وما أسهل ايضا ان تستمر دون ان تحقق

الاغراض المطلوبة منها • واعتقد ان الخطر الاساسي الذي يمكـــن ان تتعرض له بادرة المربد هو ان تتحول من مبادرة ثقافية رصينة هادفـة قوامها تقديم نتاج شعري جيد وجديد ، وحصيلة من الممارسات النقـدية الموضوعية الجادة ، هو ان تتحول الى مناســبة للتعبير عن الهمـــوم والانفعالات الشخصية والمزايدات السياسية وغير السياسية • ان مثل هذا الانحراف معرض له كل لقاء وهو لا يضيره اذا كانت رؤية الهـدف واضحة وكان الجهد صادقا لبلوغه وللتغلب على جميع العقبات الطارئة• ايها السادة

لقد قبلنا جميعا الدعوة لهذا المهرجان بشعور كامل بالمسؤوليـة تجاه اهدافه • وتحت وطأة الشعور بهذه المسؤولية تجشـمنا مشـــقة القدوم • لهذا اعتقد اننا يجب ان نكون في حرص مشترك على تحقيـــق هذه الاهداف اذا اردنا النجاح بجهدنا المتضامن ولذلك ان نبعد بحرص مشترك كل ما يمكن ان يخرج المؤتمر عن هذه الاهداف • لقد اقيم المربد الثاني تحت شعار الشعر والثورة • وعلى كل منا ان يتساءل هل استطعنا بالفعل ان نتعمق في هذا الشعار من كل ما قدم من نتاج شعري ؟ ومن ما قدم من محاولات نقدية ؟

لقد كانت لقاءاتنا مجدية لانها على الاقل حققـــت تعارفا فكريـــا وثقافيا لم يكن متيسرا لولا المربد •

كلمة الهيئة العليا لمهرجان المربد

بهذه الجلسة ينتهي مهرجان المربد ، ويتحول الى ذكرى نحملهـا معنا الى الاعوام القادمة وتأمل الهيئة العليا لمهرجان المربد الشـعري ان تتحول هذه الذكرى الى عطاء وخصوبة وثروة في النظرية والتطبيـق وان تفتح اكثر من باب مضاء ، وفي موازاة هذا الامل تعتذر عن الاخطاء التي كانت كلفا في وجه المربد وتشكر شكرا عميقا السيد محافظ البصـرة والسيد مدير مصلحة الموانيء العراقية والسيد مدير تربية البصرة وكافة مسؤولي البصرة على تعاونهم معها .

وتشكر الهيئة العليـا لمهرجان المربد الشعري السادة الذين لبوا الدعوة فقدموا من البلدان الصديقة : اسبانيا ، بلغاريـا ، رومانيـا ، يوغسلافيا ، تركيا كما تشـكر كافة الوفود العربية التي اقبلت من مغرب الوطن العربي او مشرقه .

وتعتبر الهيئة العليا الشعراء والنقاد الذين ساهموا في فعاليـات المربد متفضلين عليها وترجو ان تكون اللقاءات الادبية اكثر ازدهارا .

وقد كلفني السيد وزير الاعلام ان ارفع اليكم تحياته وان احيطكم علما بانه يعتبر الضيوف القادمين من خارج الجمهورية العراقية في وطنهم وان الدعوة مفتوحة لهم . كما يعتبر حضور ممثلي المنظمات الثقافيـة والادبية والجماهيرية بمثابة شدّ أزرٍ للهيئة العليا وتضامن معها .

وبعد .. ان محافظة البصرة وجمهورها الشعري سينتظركم عامـا آخر وينتظر معكم عودة الربيع وابتسام الحياة . وشكرا .

البيان الختامي

لمهرجان المربد

ابرز الشعراء ورجال الفكر والادب على المربد الثانى المعقود في البصرة من (١ ـ ٥) نيسان مجموعة من الحقائق والمظاهر والمواقف الفكرية والفنية وما تمخض عنها من نتائج متعددة جديرة بالاهتمام يمكن اجمالها بما يأتى :

١ ـ لقد اثبت المهرجان أن فن الشعر العربي لا يزال يتخذ سبيلا تطوريا فانه يجد بسرعة التفاف الجماهير حول هذا التطور كما اتضحت استجابه الجماهير حول هذا التطور يوءكد ان على الشاعر العربى أن يجد نفسه في ذاتيته وفي واقعه وفي عصره · وفي حالة فقدان أى عنصر من هذه العناصر الثلاثة يتعرض الشعر للسقوط في غيبوبة تثبت حينا عدم حضوره في العصر ، وحينا عدم قيامه في الواقع ، وحينا ثالثا فقدان التجربة المتميزة · ومن خلال معالجة النقاد للنماذج الشعرية أيام المهرجان تأكد في مجمل ما أدلوا أن المعاصرة ومعايشة الواقع ضمن المناخ الصحي للتجربة المتطورة ونستطيع أن نبلور من التجربة النقدية في هذا المهرجان ومن طريقة تلقي الجمهور اعتراضين يشيران الى وقوع بعض النماذج في سلفية تقليدية متحجرة وفي غلو بعض النماذج في التعمية والاغراب والبعد عن كل رغبة في التوصيل مما أدى الى الفصل في تلك النماذج بين التجربة وغايتها ·

٢ ـ أن الشعر العربى الاصيل يتمثل الحضارة العربية والانسانية ويصور واقع الانسان العربي ويلتزم بضرورة الثورة على التخلف والجمود والاستعمار والرجعية وسائر مظاهر التخلف ووجوب الاسهام بكل طاقاته الفنية في المعارك القائمة والتى ستقوم من أجل حاضر الامة العربية ومستقبلها ٠

٣ ـ ان موجة التشاؤم والحزن والكآبة والضياع كانت وما تزال تعبيرا عن المعاناة التى يكابدها الانسان العربى ، الا أن متطلبات الثورة والمعركة تستوجب التعبير عن الثقة والتفاؤل والصمود وكل ما يقوى الشخصية العربية ويحقق لها الانتصار من أجل غد أفضل

٤ ـ أن واقع الامة العربية والحضارة الانسانية يحتم زيادة النشاط في ميدان الابحاث العلمية الاصيلة التي تكشف محاسن التراث وتدرس مشاكل الحاضر العربى ، وان الالتزام بمنهج علمى منظم من مظاهر التطلع الى خلق اجيال تثمن دور العلوم والاداب في خلق مجتمع عربى عصرى يتمتع بعناصر القوة العصرية المادية والمعنوية ٠ وقد أثبتت بعض الابحاث التي ألقيت الادوار الايجابية التي قامت بها العبقريات العربية الماضية في خدمة الادب والشعر والحضارة العربية والانسانية ٠٠ وكان الخليل بن أحمد الفراهيدى رمزا متألقا وقوة فكرية وفنية اثبتت قدرتها على التطوير والتجديد ٠

الفهرست

الصفحة

مقدمة ٥
جلسة الافتتاح ٧
كلمة السيد رئيس الجمهورية ٩
كلمة السيد محافظ البصرة ـ الاستاذ سعدي عياش عريم .. ١١
كلمة السيد رئيس جامعة البصرة ـ د. ناصر حلاوي ١٣
كلمة اتحاد الادباء العراقيين ـ الاستاذ محمد مهدي الجواهري .. ١٦
الامسية الشعرية الاولى ٢/٤/١٩٧٢ .. .. .. ١٩
مقاطع للألم ـ شعر سليمان العيسى ٢١
احتراق ـ شعر سليمان العيسى ٢٢
طفولة ـ شعر سليمان العيسى ٢٣
قصيدة العمر ـ شعر سليمان العيسى ٢٥
رأيت الله في غزة ـ شعر : يوسف الخطيب ٢٧
مأساة الاعوام العشرة ـ شعر : مليكة العاصمي ٣٥
الفرحة خارج القلب ٣٦
الليلة الاولى ٣٨
الفداء بين رائده وجاحده ـ صالح الجعفري ٤١
تحياتي الى البصرة ـ لميعة عباس عمارة ٤٤
الى خبازة ٤٤
الى امرأة كانت تحبه ٤٥
للشعر ٤٥
عراقية ٤٥
الخطاب ـ نزار قباني ٤٦
مقاطع حزينة في مهرجان المربد ـ محمد بلقاسم خمار ٥٢
ملاحظات على تاريخ الله والوطن ـ عبدالامير معله ٥٨
عبور الوادي الكبير ـ سعدي يوسف ٦١

الصفحة

سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا ـ محمود درويش ٦٦
الرباعية الثالثة ـ حسب الشيخ جعفر **٧٦**
طائر من يافا ـ محمد جميل شلش ٨١
وقائع الجلسة الاولى للابحاث والنقد ـ ٣/٤/١٩٧٢ .. .. ٨٥
الشعر العربي الجديد بين مصدره ومعطاه ـ د. ميشال‌سليمان .. ٨٧
لكن الشعر لا بواكي له ـ د. عبدالقادر القط ٩٨
الامسية الشعرية الاولى ـ د. سهيل ادريس ١٠٢
الامسية الشعرية الاولى ـ د. أبو العيد دودو ١٠٧
الامسية الشعرية الثانية ـ ٣/٤/١٩٧٢ .. .. .. ١١١
النخلة ... علي الجندي ١١٣
ليلة مع الحرف ـ نعمان ماهر الكنعاني ١١٥
اللجوء الى مدن البراق ـ حميد سعيد ١١٩
العودة الى كربلاء ... أحمد دحبور ١٢٤
رسالة شخصية جدا ، الى‌امرأة مجهولة جدا ، ادعوها عادة .. أمي .. ١٢٧
جرير خارج المربد ـ فؤاد الخشن ١٣٠
درب الضباب ـ صالح الظالمي **١٣٤**
وقفة على الجولان ـ صالح الظالمي ١٣٥
قامة الريح ـ امال الزهاوي ١٣٨
الحرب تزهر أطفالا .. ممدوح عدوان ١٤٠
أغنّي وأكتب مرثيتي ـ محمد مفتاح الفيتوري ١٤٦
اغتيال ـ أحمد عبدالمعطي حجازي ١٤٨
محجة الشهداء ـ مصطفى جمال‌الدين ١٥٣
الطوفان ـ علوي الهاشمي ١٥٦
الأغبياء ـ مالك المطلبي ١٦٠
وقائع الجلسة الثانية للابحاث والنقد ٤/٤/١٩٧٢ .. .. ١٦٣
الايقاع في الشعر ـ محي‌الدين صبحي ١٦٥
قصائد الامسية الثانية ـ د. احسان عباس ١٦٩
قصائد الامسية الثانية ـ د. كمال نشأت ١٧٦
قصائد الامسية الثانية ـ صدقي اسماعيل ١٨٣
الامسية الشعرية الثالثة ٤/٤/١٩٧٢ .. .. .. ١٨٩
المتنبي وخواطر من اليوم ـ عدنان فرهاد ١٩١
حوار عبر الابعاد الثلاثة ـ بلند الحيدري ١٩٥
خواطر بطل عادي جدا ـ يوسف الصائغ ٢١٤

الصفحة

الموت والميلاد ـ علي الحلي ٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٢٢
قراءة في مرآة النهر المتجمد ـ أحمد المجاطي ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٢٥
تحية الى البصرة ـ حافظ جميل ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٢٧
يا صاحب التاج ـ حافظ جميل ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٢٨
الوحش والاسئلة الميتة ـ خليل خوري ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٣٠
مقاضاة رجل اضلع ذاكرته ـ عبدالرزاق عبدالواحد ٠٠ ٠٠ ٢٣٦
ما قاله آخر الخوارج لصغيره ـ خالد محي‌الدين البرادعي ٠٠ ٢٤٤
ما رواه الأقدمون عن سحيم ـ حميد الخاقاني ٠٠ ٠٠ ٢٥٠
رسالة الى حفيد ـ صادق القاموسي ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٥٤
وقائع الجلسة الثالثة للابحاث والنقد ١٩٧٢/٤/٥ ٠٠ ٠٠ ٢٥٧
الشعر والثورة ـ محمد مبارك ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٥٩
الشعر الحديث وحده الذي يستحق ـ أحمد أبو سعد ٠٠ ٠٠ ٢٧٣
البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث ـ صبري حافظ ٠ ٠٠ ٢٧٦
هل كان المربد بمستوى التاريخ ـ أبو القاسم محمد كرو ٠٠ ٣١٣
كلمة المستشرق اليوغوسلافي ـ سليمان جروز دانيش ٠ ٠٠ ٣١٥
كلمة الاستاذ جلال فاروق شريف ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٣١٩
كلمة الهيئة العليا لمهرجان المربد ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٣٢١
البيان الختامي ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٣٢٢
الفهـرس ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٣٢٥

السعر ٢٥٠ فلساً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٤٦٣ لسنة ١٩٧٣

تصميم الكتاب : صادق سميسم
الخطوط الداخلية : جاسم الدليمي
الغلاف والرسوم الداخلية : خالد النائب

دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الجمهورية
بغداد ـ ١٩٧٣